2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الخامس
المائدة - الأنعام

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر
أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٥

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير

في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الخامس

المائدة - الأنعام

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المائدة

[بسم الله الرحمن الرحيم][(١)]

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية[(٢)].

وقال مقاتل: نزلت نهارًا وكلها مدنية[(٣)].

وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] قال: وقيل: فيها من المكي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٢].

والصحيح أن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت [هذه][(٤)] بعرفة يوم عرفة، فلهذا نُسبت إلى مكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١].

---

(١) البسملة زيادة من (ج).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٤٧) وفيه: سورة المائدة مدنية، نهارية كلها، عشرون ومائة آية كوفية إلَّا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإنها نزلت بعرفة.

(٤) زيادة من (م).

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم المؤمنون من أُمتنا، وهذا قول الجمهور.

والثاني: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج.

و﴿بِٱلۡعُقُودِ﴾: العهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، والجماعة.

وقال الزجاج: «العقود»: أوكد العهود[1].

واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال:

أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحلَّ وحرَّم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن.

والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحِلْفُ الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله[2] على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جريج. وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٩).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (م).

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر أو يمين، وهذا قول ابن زيد[١]. [١٧٨/أ]

قوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

في «بهيمة الأنعام» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها أجنَّة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أُمهاتها إذا ذبحت الأُمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس.

والثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسُّدي.

وقال الربيع: هي الأنعام كلها[٢].

وقال ابن قتيبة: هي الإبل، والبقر، والغنم، والوحوش كلها[٣].

والثالث: أنها وحش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، روي عن ابن عباس، وأبي صالح.

وقال الفراء: بهيمة الأنعام: بقر الوحش، والظباء، والحمر الوحشيَّة[٤].

---

(١) قوله: (قول ابن زيد)، ليس في (ج).

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٣/ ٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٩) بلفظ: قَالَ: «الْأَنْعَامُ كُلُّهَا حِلٌّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا، فَإِنَّهُ صَيْدٌ، فَلَا يَحِلُّ إِذَا كَانَ مُحْرِمًا».

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٣٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٨).

قال الزجاج: وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت عن أن تميِّز، وكل حي لا يميِّز فهو بهيمة[١].

قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٢].

روي عن ابن عباس أنه قال: هي الميتة وسائر ما في القرآن تحريمه[٣].

وقال ابن الأنباري: المتلو علينا من المحظور الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾.

قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾.

قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال[٤].

وقال غيره: المعنى: أُحلت لكم بهيمة الأنعام غير مستحلي اصطيادها، وأنتم حرم.

قال الزجاج: الْحُرم: الْمُحرمون، وواحد الحُرم: حرام، يقال: رجل حَرامٌ، وقومٌ حُرمٌ[٥][٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤١).

(٢) الآية ليست في (ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: «هِيَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ».

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٧١).

(٥) قوله: (وقوم حُرم)، ليس في (ر).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤١-١٤٢).

قال الشاعر[١] [من الطويل]:

فَقُلْتُ لَهَا فِيئِي إِلَيْكِ فَإِنَّنِي ... حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَاكَ لَبِيبُ

أي: مُلبٍّ.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخلق له يحل ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد على من يريد[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

قوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن شُرَيْحَ بْنَ ضُبَيْعَةَ أتى المدينة، فدخل على النبي ﷺ، فقال: إلام تدعو؟ فقال: «**إِلى شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ**[٣]، وأَنِّي

(١) البيت للمُضَرَّبُ بْنُ كَعْب في لسان العرب (١/ ٧٣٠، ٧٣٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٧١)، وتاج العروس (٤/ ١٩٤)، وبلا نسبة في المخصص (٤/ ٢٤٢)، وجمهرة اللغة (ص: ٥٢١، ١٢٥٢)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٩٩).

(٢) قوله: (على ما يريد)، ليس في (ر).

(٣) قوله: (وحده)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

رَسُولُ الله»، فقال: إن لي أُمراء خلفي أرجع إليهم أشاورهم[١]، ثم خرج، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ، وَخَرَجَ بِعَقِبَيْ غَادِرٍ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ»، فمر شريح بسرح لأهل المدينة، فاستاقه، فلما كان عام الحُديبية، خرج شريح إلى مكة معتمرًا، ومعه تجارة، فأراد أهل السرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٢].

وقال السدي: اسمه الحطم بن هند البكري[٣].

قال: ولما ساق السَّرح جعل يرتجز [من الرجز]:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ ... لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ
وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الْوَضَمْ ... بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ
بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالزَّلَمِ ... خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ مَمْسُوحُ الْقَدَمْ

[١٧٨/ب] **والثاني**: أن ناسًا من المشركين جاءوا يؤمُّون البيت يوم الفتح مهلِّين بعمرة، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل[٤] نغير عليهم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[٥].

---

(١) في (ر): (أستأمرهم).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ١٨٩) عن ابن عباس.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤) من قول ابن زيد.

قال ابن قتيبة: و«شعائِر الله»: ما جعله [الله][(١)] علمًا لطاعته[(٢)].

وفي المراد بها هنا سبعة أقوال:

أحدها: أنها مناسك الحج، رواه الضحاك عن ابن عباس[(٣)].

وقال الفراء: كانت عامَّة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر[(٤)]، ولا يطوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تستحلوا ترك ذلك[(٥)].

والثاني: أنها ما حرم الله تعالى[(٦)] في حال الإحرام، رواه العوفي عن ابن عباس[(٧)].

والثالث: دين الله كله، قاله الحسن.

والرابع: حدود الله، قاله عكرمة، وعطاء.

والخامس: حَرَمُ الله، قاله السُّدي.

والسادس[(٨)]: الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام، قاله أبو عبيدة[(٩)]، والزجاج[(١٠)].

---

(١) من (ج)، و(ر).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢) من طريق ابن جريج، به، بنحوه.

(٤) في (ر): (من شعائر الله).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٨).

(٦) قوله: (الله تعالى)، ليس في (م).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣) بلفظ: «مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ أَنْ تُصِيبَهُ وَأَنْتَ مُحْرِمٌ».

(٨) ليست في (ر).

(٩) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٤٦).

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٢).

والسابع: أنها أعلام الحرم، نهاهم أن يتجاوزوها غير محرمين إذا أرادوا دخول مكة، ذكره الماوردي[١]، والقاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

قال ابن عباس: ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾ القتال فيه[٢].

وفي المراد بـ «الشهر الحرام» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ذو القَعدة، قاله عكرمة[٣]، وقتادة[٤].

والثاني: أن المراد به الأشهر الحرم.

قال مقاتل: كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ كلَّ سنة فيقول: ألا إني قد أحللت كذا، وحرَّمت كذا[٥].

والثالث: أنه رجب، ذكره ابن جرير الطبري[٦].

و﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾: كل ما أهدي إلى بيت الله تعالى من شيء.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨) بلفظ: «كَانَ الْمُشْرِكُ يَوْمَئِذٍ لَا يُصَدُّ عَنِ الْبَيْتِ، فَأُمِرُوا أَنْ لَا يُقَاتِلُوا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَا عِنْدَ الْبَيْتِ».

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٤٨) وفيه: «أن أبا ثمامة جنادة بن عَوف بن أميَّة من بني كنانة كان يقوم كُلّ سنة في سوق عكاظ، فيقول: ألا إني قَدْ أحللت المحرم وحرمت صفرا وأحللت كذا وحرمت كذا ما شاء».

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٥).

وفي ﴿ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها المقلَّدات مِن الهدي، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنها ما كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم[١] في الجاهلية، ليأمنوا به عدوَّهم، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحُرُم، فمن لقوة مقلِّدًا نفسه، أو بعيره، أو مشعرًا بُدنَهُ أو سائِقًا هديًا لم يُتعرض له.

قال ابن عباس: كانَ مَن أراد أن يسافر في غير الأشهر الحُرُم، قلَّد بعيره من الشعر والوبر، فيأمَن حيثُ ذهب[٢].

وروى مالك بن مِغوَل عن عطاء قال: كانوا يتقلَّدون من لحاء شجر الحرم، فيأمنون به إذا خرجوا من الحرم، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلَّد من السَّمُرِ[٤]، فلم يَعرِض له أحد، وإذا رجع تقلَّد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد[٥].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٧) عن قتادة، نحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨) من طريق وكيع، عن مالك بن مِغول، به، بنحوه.

(٤) السَّمُر: شجر الطَّلح، وهو نوع من العضاه، الواحدة: سَمُرة. انظر: المصباح المنير (١/ ٢٨٨).

(٥) رواه عبد الرزاق (٢/ ٤)، وابن جرير الطبري (٨/ ٣٨) في تفسيرهما، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٥٩)، والجصاص في أحكام القرآن (٣/ ٢٩٤) من طريق معمر، به، بنحوه.

وقال الفراء: كان أهل مكة يقلِّدونَ بلِحَاءالشجر، وسائر العرب يُقلِّدون بالوَبَر والشعر[1].

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تستحلُّوا المقلَّدات من الهدي.

والثاني: لا تستحلوا أصحاب القلائد.

والثالث: أن هذا نهيٌ للمؤمنين أن ينزعوا شيئًا من شجر الحرم، فيتقلَّدوه كما كان المشركون يفعلون في جاهليتهم، رواه عبد الملك عن عطاء. وبه قال مطرف، والربيع بن أنس. [١٧٩/أ]

قوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

«الآمُّ»: القاصد.

و«البيت الحرام»[2]: الكعبة.

و«الفضل»: الربح في التجارة.

و«الرضوان من الله»: يطلبونه في حجِّهم على زعمهم. ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه:٩٧].

وقيل: ابتغاء الفضل عام، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة.

قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٩).

(٢) قوله: (الآم: القاصد، والبيت الحرام)، ليس في (ر).

لفظُه لفظُ الأمر، ومعناه الإباحة، نظيره: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ {الجمعة:١٠}. وهو يدلُّ على إحرامٍ متقدِّم.

قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

روى الوليد عن يعقوب: «يجرمْنكم» بسكون النون، وتخفيفها[١].

قال ابن عباس: لا يحملنَّكم[٢].

وقال غيره: لا يدخلنكم في الجُرم، كما تقول: آثمتُه أي: أدخلته في الإثم.

وقال ابن قتيبة: لا يكسبنكم، يقال: فلان جارمُ أهله، أي: كاسبهم، وكذلك جريمتهم[٣].

وقال الهُذلي، ووصف عقابًا[٤][من الوافر]:

جَرِيمَةَ نَاهِضٍ فِي رَأْسِ نِيقٍ تَرَى لِعِظَامِ مَا جَمَعَتْ صَلِيبَا

والناهض: فرخها، يقول: هي تكسب له، وتأتيه بِقُوتِه[٥].

---

(١) في البحر المحيط (٤/ ١٦٨) قرأ الحسن، وإبراهيم، وابن وثاب، والوليد عن يعقوب: «يَجْرِمَنْكُمْ» بسكون النون، جعلوا نون التوكيد خفيفة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٣٩).

(٤) البيت في غريب القرآن (ص: ١٣٩)، وفي شرح أشعار الهذليين (ص: ١٢٠٥)، والمحكم والمحيط (٧/ ٤١٤)، وتاج العروس (٣/ ٢٠٤)، ولسان العرب (١/ ٥٢٨، ١٢/ ٩٢)، وبلا نسبة في شرح كتاب سيبويه (٣/ ٣٦٣).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

و«الشنآن» البغض، يقال: شنئته أشنؤه: إذا أبغضته.

وقال ابن الأنباري: «الشنآن»: البغض، و«الشنآن» بتسكين النون: البغيض.

واختلف القراء في نون الشنآن:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بتحريكها.

وأسكنها ابن عامر.

وروى حفص عن عاصم تحريكها[١]، وأبو بكر عنه تسكينها.

وكذلك اختُلف عن نافع[٢].

قال أبو علي: «الشَّنآن»، قد جاء وصفًا، وقد جاء اسمًا، فمن حرَّك، فلأنه مصدر، والمصدر يكثر على فَعَلان، نحو النَّزَوان، ومن سكَّن قال: هو مصدر، وقد جاء المصدر على فَعْلان، تقول: لويته دينَه لَيَّانًا، فالمعنى في القراءتين واحد، وإن اختلف اللفظان[٣].

واختلفوا في قوله: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾.

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالكسر.

وقرأ الباقون بالفتح[٤].

---

(١) من قوله: (وأسكنها ابن عامر)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٤٢)، والحجة (٣/ ١٩٥)، والتيسير (ص:٩٨)، والمبسوط (ص:١٨٤).

(٣) انظر: الحجة (٣/ ٢١٠).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٤٢)، والحجة (٣/ ٢١٢)، والتيسير (ص:٩٨)، والمبسوط (ص:١٨٤).

فمـن فتـح جعـل الصَّـد ماضيًـا[١]، فيكـون المعنى مـن أجـل أن صدوكم، ومـن كسرهـا[٢]، جعلهـا للشرط، فيكـون الصَّـد مترقَّبًا.

قـال أبـو الحسـن الأخفـش[٣]: وقـد يكـون الفعـل ماضيًـا مـع الكسر، كقولـه تعـالى: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف:٧٧] وقـد كانـت السرقـة عندهـم قـد وقعـت[٤].

وأنشد أبو علي الفارسي[من الطويل]:

إِذَا مَـا انْتَسَـبْنَا لَمْ تَلِـدْنِي لَئِيمَـةٌ ... وَلَمْ تَجِدِي مِنْ[٥] أَنْ تُقِـرِّي بِهِ بُدَّا[٦]

قـال ابـن جريـر: وقـراءة مَـن فتـح الألـف أبـيَن، لأن هـذه السـورة نزلت بعـد الحديبيـة، وقـد كان الصدُّ تقـدَّم[٧].

---

(١) في (م): (وقرأ الباقون بالفتح جعل الصد ماضيًا).

(٢) في (ج): (ومن كسر).

(٣) من قوله: (أن صدوكم، ومن كسرها)... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٢).

(٥) ليست في (ت)، و(ج).

(٦) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي في حاشية الأمي على المغني (١/ ٢٥)، وبلا نسبة في جواهر الأدب (ص: ٢٠٥)، وشرح شذور الذهب (ص: ٤٤٠)، وشرح شواهد المغني (ص: ٨٩)، ومغني اللبيب (ص: ٢٦).

(٧) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٥٠).

فعلى هذا في معنى الكلام قولان:

[١٧٩/ب] **أحدهما**: ولا يحملنكم بغض أهل مكة أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا فيه، فتقاتلوهم، وتأخذوا أموالهم إذا دخلتموه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: لا يحملنكم بغض أهل مكة[١]، وصدهم إياكم أن تعتدوا بإتيان ما لا يحل لكم من الغارة على المعتمرين من المشركين، على ما سبق[٢] في[٣] نزول الآية.

قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

قال الفراء: لِيُعِن بعضكم بعضًا[٤].

قال ابن عباس: البرُّ ما أُمرت به، و«التقوى»: ترك ما نُهيت عنه[٥].

فأمَّا ﴿ٱلْإِثْمِ﴾ فالمعاصي. ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: التَّعدِّي في حدود الله، قاله عطاء.

---

(١) في (م): (لا يحملنكم بغض أهل مكة أن يصدوكم عن المسجد الحرام).

(٢) في (ج): (كما سبق).

(٣) ليست في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٢) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة.

روي عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء. وكذلك قال أبو ميسرة في آخرين قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدي قبل أوان ذبحه.[١]

واختلفوا في «القلائد»:

فقال قوم: يحرم رفع القلادة عن الهدي حتى ينحر.

وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلِّد من شجر الحرم، فقيل لهم: لا تستحلُّوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا القاصدين إلى البيت.

والثاني: أنها منسوخة.

وفي المنسوخ منها أربعة أقوال:

أحدها: أن جميعها منسوخ، وهو قول الشعبي.

والثاني: أنها وردت في حق[٢] المشركين كانوا يقلِّدون هداياهم، ويظهرون شعائِر الحج من الإحرام والتلبية، فنُهي المسلمون بهذه الآية

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٥٧) من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة قال: «لَمْ يُنْسَخْ مِنَ الْمَائِدَةِ شَيْءٌ». وانظر: تفسير مجاهد (١/ ٣١٧).

(٢) ليست في (ج).

عن التعرُّض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ {التوبة:٥} وهذا قول الأكثرين.

والثالث: أن الذي نُسخ قوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ نسخه قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ روي عن ابن عباس، وقتادة[1].

والرابع: أن المنسوخ فيها[2]: تحريم الشهر الحرام، وآمُّون البيت الحرام: إذا كانوا مشركين، وهدي المشركين إذا لم يكن لهم من المسلمين أمان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ مفسَّرٌ في «البقرة»[3].

فأمَّا «المنخنقة»:

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ للنحاس (١/ ٣٩٥).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (منها).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٣).

فقال ابن عباس: هي التي تختنق فتموت[١].

وقال الحسن، وقتادة[٢]: هي التي تختنق بحبل الصائد[٣] وغيره.

قلت: والمنخنقة حرام كيف وقع ذلك.

قال ابن قتيبة: ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: التي تُضرب حتى تُوقَذ، أي: تُشرِف على الموت، ثم تترك حتى تموت، وتؤكل بغير ذكاة، ومنه يقال: فلان وقيذ، وقد وقذته العبادة[٤].

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: الواقعة من جبل أو حائط، أو في بئر، يقال: تردَّى: إذا سقط.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: التي تنطحها شاة أخرى أو بقرة، «فعيلة» في معنى «مفعولة».

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: افترسه فأكل بعضه. [١٨٠/أ]

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: «السَّبْع» بسكون الباء[٥][٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٨/ ٥٥) من طريق معمر، عن قتادة قال: «الَّتِي تَمُوتُ فِي خِنَاقِهَا».

(٣) في (ج): (الصيد).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٠).

(٥) في (ت)، و(م)، و(ج): (وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: السَّبْع: بسكون الباء، والمراد ما افترسه فأكل بعضه).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:٣٧)، بإسكان الباء هارون عن أبي عمرو، والمعلى، عن=

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه.

فأما الاستثناء، ففيه قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾.

والثاني: أنه يرجع إلى «ما أكل السبع» خاصة، والعلماء على الأول.

فصل في الذَّكاة

قال الزجاج: أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه الذكاء في السن، وهو تمام السِّن[1].

قال الخليل: الذكاء: أن يأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهمًا تامًّا[2]، سريع القبول. وذكَّيت النار، أي: أتممت إشعالها[3].

وقد روي عن علي، وابن عباس، والحسن، وقتادة، أنهم قالوا: ما أدركت ذكاته بأن توجد له عينٌ تَطْرِف أو ذنب يتحرك، فأكله حلالٌ.

=عاصم، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٥١) وقرأ الحسن، والفياض، وطلحة بن سليمان، وأبو حيوة بسكون الباء وهي لغة أهل نجد. وقرأ بذلك عاصم في رواية أبي بكر عنه.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٥، ١٤٦).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٤٨)، ولسان العرب (١٤/ ٢٨٧).

قال القاضي أبو يعلى: ومذهب أصحابنا أنه إن كان يعيش مع ما به، حل بالذبح، فإن كان لا يعيش مع ما به، نظرت، فإن لم تكن حياته مستقرَّة، وإنما حركته حركة المذبوح، مثل أن شُقَّ جوفه، وأُبينت حشوته، فانفصلت عنه، لم يحل أكله، وإن كانت حياته مستقرة يعيش اليوم واليومين، مثل أن يشق جوفه، ولم تقطع الأمعاء، حل أكله.

ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياة في الجملة أُبيح بالذكاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياة مستقرة، فهو في حكم الميت. ألا ترى أن رجلًا لو قطع حُشْوَةَ آدمي، ثم ضرب عنقه آخر، فالأول هو القاتل، لأن الحياة لا تبقى مع الفعل الأول.

وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان:

إحداهما: أنه[١] الحلقوم والمريء والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئًا لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله.

والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء[٢]، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل. وبه قال الشافعي.

وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم[٣] والمريء[٤] وأحد الودجين.

---

(١) ليست في (م).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قوله: (يجزئ قطع الحلقوم)، ليس في (ج).

(٤) ليست في (ر).

وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم.

وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم، ومنه موضع النَّفَس، وفيه شعب تتشعب منه في الرئة.

و«المريء»: مجرى الطعام، و«الودجان»: عرقان يقطعهما الذابح.

فأما الآلة التي تجوز بها الذكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفرى الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين أو غير منزوعين.

وأجاز أبو حنيفة الذكاة بالمنزوعين. [١٨٠/ب]

فأما البعير إذا توحش أو تردى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره.

وقال مالك: ذكاته ذكاة المقدور عليه.

فإن رمى صيدًا فأبان بعضه وفيه حياة مستقرة فذكّاه، أو تركه حتى مات جاز أكله، وفي أكل ما بان منه روايتان.

قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

في ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها أصنام تنصب، فتُعبد من دون الله، قاله ابن عباس، والفراء، والزجاج[1].

فعلى هذا القول يكون المعنى، وما ذبح على اسم النُّصب، وقيل لأجلها، فتكون «على» بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله:

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٦).

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ [الواقعة:٩١] أي: عليك، وقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧].

والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرِّحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج.

وقرأ الحسن، وخارجة عن أبي عمرو[١]: «على النَّصْب» بفتح النون، وسكون الصاد[٢].

قال ابن قتيبة: يقال: نُصُبٌ ونُصْبٌ ونَصْبٌ[٣]، وجمعه أنصاب[٤].

قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾.

قال ابن جرير: أي: وأن تطلبوا عِلم ما قُسم لكم، أو لم يقسم بالأزلام، وهو استفعلت من القسم[٥].

قال ابن قتيبة: الأزلام: القداح، واحدها: زَلَم وزُلَم[٦][٧].

والاستقسام بها: أن تضرب بها فتعمل بما يخرج فيها من أمرٍ أو

---

(١) في (ر): (ابن عمرو)!، وهو خطأ.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٧) عن الحسن بن صالح بن مسلم بن حيٍّ، وأبي عبيدة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٥٣) عن الحسن بن أبي الحسن، والبحر المحيط (٤/ ١٧٢) وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: بِضَمِّ النُّونِ، وَإِسْكَانِ الصَّادِ. وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ: بِفَتْحَتَيْنِ، وَرُوِيَ عَنْهُ كَالْجُمْهُورِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: بِفَتْحِ النُّونِ، وَإِسْكَانِ الصَّادِ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٥) انظر: تفسيره (٨/ ٧٢).

(٦) تكررت في (م).

(٧) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

نهي، وكانوا إذا أرادوا أن يقسموا شيئًا بينهم، فأحبُّوا أن يعرفوا قسم كل امرئٍ تعرفوا[١] ذلك منها، فأُخِذ الاستقسام من القسم وهو النصيب.

قال سعيد بن جبير: الأَزلام: حصى بيض، كانوا إذا أرادوا غدوًّا، أو رواحًا، كتبوا في قدحين، في أحدهما: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، ثم يضربون بهما، فأيهما خرج، عملوا به[٢].

وقال مجاهد: الأزلام: سهام العرب، وكعاب فارس التي يتقامرون بها.

وقال السدي: كانت الأزلام تكون عند الكهنة[٣].

وقال مقاتل: في بيت الأصنام.

وقال قوم: كانت عند سدنة الكعبة[٤].

قال الزجاج: ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو اخرج من أجل نجم كذا[٥].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

في المشار إليه بذلكم قولان:

أحدهما: أنه جميع ما ذكر في الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن

---

(١) في (م): (فعرفوا).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٧٣) من طريق أبي حصين، به، بنحوه.

(٣) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (٣/ ١٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٧).

عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: أنه الاستقسام بالأزلام، رواه أبو صالح عن ابن عباس[1].

و«الفسق»: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته.

قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾.

في هذا «اليوم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ مكة في حجة الوداع، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

وقال ابن السائب: نزلت ذلك اليوم[2][3].

والثاني: أنه يوم عرفة، قاله مجاهد، وابن زيد. [١٨١/أ]

والثالث: أنه لم يرد يومًا بعينه. وإنما المعنى: الآن يئسوا، كما تقول: أنا اليوم قد كبرت، قاله الزجاج[4].

قال ابن الأنباري: العرب توقع اليوم على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي، فيقولون: قد كنت في غفلة، فاليوم استيقظت، يريدون: فالآن، ويقولون: كان فلان يزورنا، وهو اليوم يجفونا، ولا يقصدون باليوم قصد يوم واحد.

---

(١) من قوله: (وبه قال سعيد بن جبير)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٥٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨،١٤٧).

قال الشاعر[1] [من المتقارب]:

فَيَــوْمٌ عَلَيْنَــا وَيَــوْمٌ لَنَــا[2]   وَيَــوْمٌ نُسَــاءُ وَيَــوْمٌ نُــسَرُّ

أراد: فزمان لنا، وزمان علينا، ولم يقصد ليوم واحد لا ينضم إليه غيره.

وفي معنى يأسهم قولان:

أحدهما: أنهم يئسوا أن يرجع المؤمنون[3] إلى دين المشركين، قاله ابن عباس، والسُّدي.

والثاني: يئسوا من بطلان الإسلام، قاله الزجاج[4].

قال ابن الأنباري: وإنما يئسوا من إبطال دينهم لمَّا نقل الله خوف المسلمين إليهم، وأمنهم إلى المسلمين، فعلموا أنهم لا يقدرون على إبطال دينهم، ولا على استئصالهم، وإنما قاتلوهم بعد ذلك ظنًّا منهم أن كفرهم يبقى.

قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾.

قال ابن جريج[5]: لا تخشوهم أن يظهروا عليكم[6].

---

(١) البيت للنمر بن تولب في ديوانه (ص: ٣٤٧)، وتخليص الشواهد (ص: ١٩٣)، وحماسة البحتري (ص: ١٢٣)، والكتاب (١/ ٨٦).

(٢) قوله: (ويومٌ لنا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) في (ج): (المسلمون).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨).

(٥) في (ت)، و(ر): (ابن جرير)!.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٧٩).

وقال ابن السائب: لا تخشوهم أن يظهروا على دينكم، واخشوني في مخالفة أمري[١].

قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجلٌ مِنَ اليَهُودِ إلى عمرَ فقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ اليَوْمَ الَّذي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا[٢]، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»[٣].

وفي لفظ: «نزلت عشيَّة عرفة»[٤].

قال سعيد بن جبير: عاش رسول الله ﷺ بعد ذلك أحدًا وثمانين يومًا.

فأما قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾

ففيه قولان:

أحدهما: أنه يوم عرفة، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه ليس بيوم معيَّن، رواه عطية عن ابن عباس.

---

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٧٤).

(٢) في (ت): (والمكان الذي نزلت فيه).

(٣) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٤) رواها عبد بن حميد (٣٠)، وأحمد (١/ ٣٢٠).

وقد ذكرنا هذا(١) آنفًا.

وفي معنى «إكمال الدين» خمسة أقوال:

أحدها: أنه إكمال فرائضه وحدوده، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قاله ابن عباس، والسدي.

فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم.

والثاني: أنه بنفي المشركين عن البيت، فلم يحج معهم مشرك عامئذ، قاله سعيد بن جبير، وقتادة.

[١٨١/ب] وقال الشعبي: كمال الدين هاهنا: عزه وظهوره(٢)، وذلُّ الشِّرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن، لأنها لم تزل تنزل إلى أن قبض رسول الله ﷺ، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم نصر دينكم(٣).

والثالث: أنه رفع النسخ عنه. وأما الفروض فلم تزل تنزل عليه حتى قُبض، روي عن سعيد بن جبير(٤) أيضًا.

والرابع: أنه زوال الخوف من العدو، والظهور عليهم، قاله الزجاج(٥).

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (م): (عز ظهوره).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٨٤)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/ ١٧) بلفظ: «نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَاتٍ، وَقَدْ أَطَافَ بِهِ النَّاسُ، وَتَهَدَّمَتْ مَنَارُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَاسِكُهُمْ، وَاضْمَحَلَّ الشِّرْكُ، وَلَمْ يَطُفْ حَوْلَ الْبَيْتِ عُرْيَانٌ».

(٤) في (م)، و(ر): (عن ابن جبير).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨).

والخامس: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها.

وفي «إتمام النعمة» ثلاثة أقوال:

أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس، وابن جبير، وقتادة.

والثاني: الهداية إلى الإيمان، قاله ابن زيد.

والثالث: الإظهار[١] على العدو، قاله السُّدي.

قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: دعته الضرورة إلى أكل ما حرُم عليه.

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ أي: مجاعة، و«الخمص»: الجوع.

قال الشاعر يذم رجلًا[٢][من الطويل]:

يَرَى الخَمْصَ تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَ شَبْعَةً ... يَبِتْ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الهَمِّ مُبْهَمَا

وهذا الكلامُ يرجع إلى المحرمات المتقدِّمة من الميتة والدم، وما ذكر معهما.

قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾.

قال ابن قتيبة: غير مائل إلى ذلك، و«الجَنَفُ»: الميل[٣].

---

(١) في (ت)، و(ر): (بالإظهار).

(٢) البيت؛ لحاتم الطائي في ديوانه (ص:٢٢٥)، وأساس البلاغة؛ للزمخشري (١/ ٢٦٦)، وخزانة الآداب (١٠/ ١٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٤١).

وقال ابن عباس[١]، والحسن، ومجاهد[٢]: غير متعمد لإثم.

وفي معنى «تجانف الإثم» قولان:

أحدهما: أن يتناول منه بعد زوال الضرورة، روي عن ابن عباس في آخرين.

والثاني: أن يتعرَّض لمعصية في مقصده، قاله قتادة.

وقال مجاهد: من بغى وخرج في معصية، حرم عليه أكله[٣].

قال القاضي أبو يعلى: وهذا أصح من القول الأول، لأن الآية تقتضي اجتماع تجانف الإثم مع الاضطرار، وذلك إنما يصحُّ في سفر[٤] العاصي، ولا يصح حمله[٥] على تناول الزِّيادة على سد الرَّمق، لأن الاضطرار قد زال.

قال أبو سليمان: ومعنى الآية: فمن اضطر فأكله غير متجانف لإثم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: متجاوز عنه[٦]، ﴿رَّحِيمٌ﴾ إذ أحل ذلك للمضطر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٩٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٩٥) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بلفظ: «غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لِإِثْمٍ، قَالَ: إِلَى حِرْمِ اللهِ مَا حَرَّمَ، رَخَّصَ لِلْمُضْطَرِّ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لِإِثْمٍ أَنْ يَأْكُلَهُ مِنْ جَهْدٍ؛ فَمَنْ بَغَى أَوْ عَدَا أَوْ خَرَجَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَهُ».

(٣) انظر: أثر مجاهد المتقدم.

(٤) في (م): (السفر).

(٥) في (م): (ولا يجوز يصح حمله).

(٦) قوله: (أي: متجاوز عنه)، ليس في (ت)، و(ر).

﴿ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾ [المائدة: ٤].

قوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب، قال الناس: يا رسول الله ماذا أُحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية. أخرجه أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي رافع عن النبي ﷺ(١).

وكان السبب في أمر النبي ﷺ بقتلها أن جبريل ﵇(٢) استأذن على رسول الله ﷺ فأذن له، فلم يدخل وقال: «**إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا**(٣) **فِيهِ كَلْبٌ**(٤) **أَوْ**(٥) **صُورَةٌ**»(٦)، فنظروا فإذا في بعض(٧) بيوتهم جرو. [١٨٢/أ]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٧٢٥-٥٧٢٦)، والطبراني في الكبير (٩٧١-٩٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٠)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٩/ ٣٩٣)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ١٩١) من طريق أبان بن صالح، عن القعقاع بن حكيم، عن سلمى أم أبي رافع، عن أبي رافع، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أُحِلَّ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَمَرْتَ بِقَتْلِهَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) قوله: (بقتلها أن جبريل ﵇)، ليس في (ر).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (م): (صورة كلب)!.

(٥) في (م)، و(ج): (ولا).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٤٢)، ومسلم (٢١٠٤)، وابن ماجه (٣٦٥١).

(٧) ليست في (م).

والثاني: أن عدي بن حاتم، وزيد الخيل الذي سماه رسول الله: زيد الخير، قالا: يا رسول الله إنا قومٌ نصيد بالكلاب والبُزاة، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما لا ندرك ذكاته، وقد حرَّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير(١).

قال الزجاج: ومعنى الكلام: يسألونك أي شيء أُحل لهم؟ قل: أُحل لكم الطيبات، وأُحل لكم صيد ما علَّمتم من الجوارح، والتأويل أنهم سألوا عنه ولكن حذف ذكر صيد ما علمتم(٢)، لأن في الكلام دليلًا [عليه](٣)(٤).

وفي ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها المباح من الذبائح.

والثاني: أنها ما(٥) استطابته العربُ(٦) مما لم يحرم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢) من طريق عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن عدي بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائيين سَأَلَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ حَرَّمَ اللهُ الْمَيْتَةَ، فَمَاذَا يَحِلُّ لَنَا مِنْهَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَعْنِي: الذَّبَائِحَ الْحَلَالَ الطَّيِّبَةَ لَهُمْ.

(٢) من قوله: (والتأويل أنهم سألوا عنه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٩).

(٥) ليست في (م).

(٦) ليست في (ر).

فأما ﴿ٱلۡجَوَارِحِ﴾ فهي[١] ما صيد به من سباع البهائم والطير، كالكلب، والفهد، والصقر، والبازي، ونحو ذلك مما يقبل التعليم.

قال ابن عباس: كل شيء صاد فهو جارح[٢].

وفي تسميتها بـ «الجوارح» قولان:

أحدهما: لكسب أهلها بها.

قال ابن قتيبة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لا جارح لها، أي: لا كاسب[٣].

والثاني: لأنها تجرح ما تصيد في الغالب، ذكره الماوردي[٤].

قال أبو سليمان الدمشقي: وعلامة التعليم أنك إذا دعوته أجاب، وإذا أسَّدته على الصيد استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك أمسك عليك لا على نفسه. وعلامة إمساكه عليك: أن لا يأكل منه شيئًا، هذا في السباع والكلاب، فأما تعليم جوارح الطير فبخلاف السباع، لأن الطائر إنما يُعلَّم الصيد بالأكل، والفهد، والكلب، وما أشبههما يعلمون بترك الأكل، فهذا فرق ما بينهما.

---

(١) في (ج): (فهو).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] يَعْنِي بِالْجَوَارِحِ: الْكِلَابَ الضَّوَارِي وَالْفُهُودَ وَالصُّقُورَ وَأَشْبَاهَهَا.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٤) انظر النكت والعيون (٢/ ١٥).

وفي قوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أصحاب الكلاب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك، والسدي، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة[١].

قال الزجاج: يقال: رجل مكلِّب وكلَّاب، أي: صاحب صيد بالكلاب[٢][٣].

والثاني: أن معنى ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مُضرِّين على الصيد، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد.

والثالث: أن ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بمعنى: معلِّمين. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما قيل لهم: مكلبين، لأن الغالب من صيدهم إنما يكون بالكلاب.

قال ثعلب: وقرأ الحسن، وأبو رزين: «مُكْلِبين»، بسكون الكاف[٤]. يقال: أكلب[٥] الرجل: كثرت كلابه، وأمشى: كثرت ماشيته، والعرب تدعو الصائد مكلِّبًا.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٩)، وغريب القرآن (ص:١٤١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) في المحتسب (١/ ٢٠٨)، والتحصيل؛ للمهدوي (١/ ٤٢٤) عن أبي رزين، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٥٧) عن الحسن، وأبو زيد، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٣٧) ابن مسعود، والحسن، وأبو رزين بن عون.

(٥) في (ر): (كلب).

قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

قال سعيد بن جبير: تؤدِّبونهن لطلب الصيد[١].

وقال الفراء: تؤدبونهنَّ أَلّا يأكلن صيدهنَّ[٢]. [١٨٢/ ب]

واختلفوا هل إِمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟

على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم تُؤكل[٣]، روي عن ابن عباس، وعطاء.

والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإِن أكلت، روي عن سعد[٤] بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي.

والثالث: أنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي.

وهو أصح لما بيَّنا أن جارح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل، فلم يُبح ما أكلت منه[٥].

فعلى هذا إِذا أكل الكلب والفهد من الصيد، لم يبحْ أكله.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٥٧) بلا نسبة.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٢).

(٣) في (ر): (لم يؤكل).

(٤) في الأصل، و(ت)، و(ر): «سعيد»، وهو خطأ، وهو على الصواب في بقية النسخ.

(٥) من قوله: (وسباع البهائم)... إلى هنا، ليس في (ج).

فأما ما أكل منه الصقر والبازي، فمباح، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه.

وقال مالك: يُباح أكل ما أكل منه الكلب، والفهد، والصقر، فإن قتل الكلب، ولم يأكل، أُبيح.

وقال أبو حنيفة: لا يباح، فإن أدرك الصيد، وفيه حياة، فمات قبل أن يذكيه، فإن كان ذلك قبل القدرة على ذكاته أُبيح، وإن أمكنه فلم يذكِّه، لم يبحْ، وبه قال مالك، والشافعي.

وقال أبو حنيفة: لا يباح في الموضعين.

فأما الصيد بكلب المجوسي، فروي عن أحمد أنه لا يُكره، وهو قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري لقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾[1] وهذا خطاب للمؤمنين.

قال القاضي أبو يعلى: ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود، وإن كان معلَّماً، لأن النبي ﷺ أمر بقتله، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت اليد، ويبطل حكم الفعل، فيصير وجوده كالعدم، فلا يباح صيده.

قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الأخفش: «من» زائدة كقوله: ﴿فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور:٤٣][2].

---

(١) قوله: (من الجوارح)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٦).

قوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الإرسال، قاله ابن عباس، والسدي، وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد.

والثاني: ترجع إلى الأكل فتكون التسمية مستحبة.

قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

قال سعيد بن جبير: لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥].

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يريد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه الآية، ويجوز أن يريد اليوم الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقيل: ليس بيوم معين.

وقد سبق الكلام في «الطيبات» وإنما كرَّر إحلالها تأكيدًا.

فأما أهل الكتاب، فهم اليهود والنصارى، وطعامهم: ذبائحهم، [١٨٣/أ] هذا قول ابن عباس، والجماعة.

وإنما أريد بها الذبائح خاصة، لأن سائر طعامهم لا يختلف بمن تولّاه من مجوسي وكتابي، وإنما الذكاة تختلف، فلما خصَّ أهل الكتاب بذلك، دل على أن المراد الذبائح، فأما ذبائح المجوس، فأجمعوا على تحريمها.

واختلفوا في ذبائح من دان باليهودية والنصرانية من عبدة الأوثان:

فروي عن ابن عباس أنه سُئل عن ذبائح نصارى العرب، فقال: لا بأس بها، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١][١].

وهذا قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وعكرمة، وقتادة، والزهري، والحكم، وحماد.

ورُوي عن علي، وابن مسعود في آخرين: أن ذبائحهم لا تحل.

ونقل الخرقي عن أحمد في نصارى بني تغلب روايتين[٢]:

إحداهما: تباح ذبائحهم، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

والثانية: لا تباح.

وقال الشافعي: من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن، لم يبح أكل ذبيحته[٣].

قوله: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي: وذبائحكم لهم حلال، فإذا اشتروا منا شيئًا كان الثمن لنا حلالًا، واللحم لهم حلالًا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥١٢) من طريق عكرمة، به، بنحوه.

(٢) انظر: مختصر الخرقي (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: الأم (٢/ ٢٥٤).

قال الزجاج: والمعنى: أُحل لكم أن تطعموهم[١].

فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقًا وإن ذكروا غير اسم الله عليها، وكان هذا ناسخًا لقوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام:١٢١].

والصحيح أنها [إنما][٢] أطلقت إباحة ذبائحهم، لأن الأصل أنهم يذكرون الله فيُحمل أمرهم على هذا. فإن تيقنَّا أنهم ذكروا غيره فلا نأكل[٣] ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب[٤] علي، وابن عمر، وعبادة، وأبو الدرداء، والحسن في جماعة.

قوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.

فيهن قولان:

أحدهما: العفائف، قاله ابن عباس.

والثاني: الحرائر، قاله مجاهد.

وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قولان:

أحدهما: الحرائر أيضًا، قاله ابن عباس.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥١).

(٢) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٣) في (م): (لم يؤكل)، وفي (ج): (لم تأكل).

(٤) ليست في (ج).

والثاني: العفائِف، قاله الحسن، والشعبي، والنخعي، والضحاك، والسدي.

فعلى هذا القول يجوز تزويج الحرَّة منهن والأمة.

فصل

وهذه الآية أباحت نكاح الكتابية.

وقد روي عن عثمان[1] أنه تزوج نائِلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية.

وعن طلحة بن عبيد الله: أنه تزوج يهودية[2].

وقد روي عن عمر، وابن عمر كراهة ذلك.

واختلفوا في نكاح الكتابية الحربية:

فقال ابن عباس: لا تحل[3]. والجمهور على خلافه.

وإنما كرهوا ذلك، لقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ {المجادلة:٢٢}، والنكاح يوجب الودَّ. [١٨٣/ب]

---

(١) في (م): (عمر).

(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠٠٦٠).

(٣) رواه الجصاص في أحكام القرآن (٢/ ١٧) من طريق عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قَالَ لَا تَحِلُّ نِسَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا كَانُوا حَرْبًا قَالَ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ - إلى قوله- ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

واختلفوا في نكاح نساء تغلب:

فروي عن عليٍّ ﷺ الحظر، وبه قال جابر بن زيد، والنخعي.

وروي عن ابن عباس الإباحة.

وعن أحمد روايتان.

واختلفوا في إماء أهل الكتاب:

فروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد: أنه لا يجوز نكاحهن، وبه قال الأوزاعي، ومالك، والليث بن سعد، والشافعي، وأصحابنا.

وروي عن الشعبي، وأبي ميسرة: جواز ذلك، وبه قال أبو حنيفة.

فأما المجوس:

فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شذَّ من قال: إنهم أهل كتاب.

ويبطل قولهم قولُه ﷺ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ**»[1].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٤٢)، ومن طريقه الشافعي في مسنده (٤٣٠)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠٠٢٥)، وابن أبي شيبة (١٠٧٦٥)، وابن زنجويه في الأموال (١٢٢)، والبزار في مسنده (١٠٥٦)، وأبو يعلى في مسنده (٨٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣١٩) بلفظ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ». وفي سنده إنقطاع، وانظر: البدر المنير (٧/ ٦١٧)، والتلخيص الحبير (٣/ ٣٧٥).

فأما «الأجور»، و«الإحصان»، و«السِّفاح»، و«الأخدان» فقد سبق في «سورة النساء»[١].

قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

سبب نزول هذا الكلام:

أن الله تعالى لما رخَّص في نكاح الكتابيات قلن بينهن: لولا أن الله تعالى قد رضي علينا، لم يبح للمؤمنين تزويجنا، وقال المسلمون: كيف يتزوَّج الرجل منا الكتابية[٢]، وليست على ديننا، فنزلت: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس[٣].

وقال مقاتل بن حيَّان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر[٤].

وروى ليث عن مجاهد: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ قال: الإيمان بالله تعالى[٥].

وقال الزجاج: معنى الآية: من أحل ما حرَّم الله، أو حرَّم ما أحلَّه الله فهو كافر[٦].

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٢٤، ٢٥).

(٢) في (ج): (كيف يتزوج الرجل كتابية).

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٨٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٢٣)، والبحر المحيط (٤/ ١٨٦).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٥٠) من طرق عن مجاهد، بنحوه.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢).

وقال أبو سليمان: من جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله المتقدِّم.

وسمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه[١] يقول: إنما أباح الله ﷻ الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فَحَذَّر ناكحهنَّ من الميل إلى دينهن بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦].

قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل:٩٨][٢].

قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: إذا آخيت فآخِ أهل الحسب، وإذا اتجرت فاتجر في البزِّ. قال: ويجوز أن يكون الكلام مقدَّمًا ومؤخرًا، تقديره: إذا غسلتم وجوهكم، واستوفيتم الطهور، فقوموا إلى الصلاة.

---

(١) الحسن بن أبي بكر النيسابوري، كان من أصحاب أبي حنيفة، وكانت له معرفة حسنة باللغة وفهم جيد في المناظرة. انظر: المنتظم للمؤلف (١٨/ ٣١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢).

وللعُلماء في المراد بالآية قولان:

أحدهما: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، فاغسلوا، فصار الحدث مضمرًا في وجوب الوضوء، وهذا قول سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، والفقهاء.

والثاني: أن الكلام على إطلاقه من غير إضمار، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة، محدثًا كان، أو غير محدث، وهذا مروي عن علي ﷺ، وعكرمة، وابن سيرين. [١٨٤/أ]

ونقل عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ.

ونقل عن جماعة من العلماء أن ذلك كان واجبًا، ثم نسخ بالسنة. وهو ما روى بُريدة أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح خمس صلوات بوضوءٍ واحدٍ، فقال له عمر: لقد صنعت شيئًا لم تكن تصنعه؟ فقال: «**عَمْدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ**»(١).

وقال قوم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناها: إذا قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فاغسلوا وجوهكم.

---

(١) رواه أبو عبيد في الطهور (٤٠)، وأحمد في مسنده (٣٨/ ١٣٤)، والترمذي (١٦)، وابن الجارود في المنتقى (١)، والطبري في تفسيره (٨/ ١٦٠)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢) وغيرهم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، وَصَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ فَعَلْتَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ قَالَ: «إِنِّي عَمْدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ».

قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾.

«إلى» حَرْفٌ موضوعٌ للغاية، وقد تدخل الغاية فيها تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقينًا، لم يرتفع إلا بيقين مثله، وهو غسل المرفقين.

فأما الرأس فنقل عن أحمد وجوب مسح جميعه. وهو قول مالك، وروي عنه: يجب مسح أكثره[١].

وروي عن أبي حنيفة روايتان: إحداهما: أنه يتقدَّر بربع الرأس.

والثانية: بمقدار ثلاثة أصابع.

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر اللام عطفًا على مسح الرأس.

وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب[٢]: بفتح اللام عطفًا على الغَسل[٣]. فيكون من المقدَّم والمؤخَّر.

قال الزجاج: الرِّجل من أصل الفخذ إلى القدم، فلما حدَّ الكعبين، عُلمَ أن الغسل ينتهي إليهما، ويدل على وجوب الغَسل التحديد بالكعبين، كما جاء في تحديد اليد «إلى المرافق»، ولم يجئ في شيء من المسح تحديد، ويجوز أن يراد الغسل على قراءة الخفض، لأن التحديد بالكعبين يدل على

(١) في (م): (كثيره).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٢)، والحجة (٣/ ٢١٤)، والتيسير (ص: ٩٨)، والمبسوط (ص: ١٨٤).

الغسل، فينسق بالغسل على المسح[١].

قال الشاعر[٢][من الكامل]:

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

والمعنى: وحاملًا رمحًا.

وقال الآخر[٣][من الرجز]:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا ....

والمعنى: وسقيتها ماءً باردًا.

وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجرُّ على الإتباع، والمعنى: الغسل، نحو قولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ[٤].

وقال ابن الأنباري: لما تأخَّرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرب والجوار، وهي في المعنى نسق على الوجوه كقولهم: جحر ضبٍّ خَرِبٍ، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمِّي الغسل

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢ـ ١٥٣).

(٢) البيت بلا نسبة في المحكم والمحيط (١/ ٣٠٦)، ولسان العرب (٨/ ٤٢)، وخزانة الآداب (٩/ ١٤٢).

(٣) البيت بلا نسبة في شرح كتاب سيبويه (١/ ٧٠)، والخصائص (٢/ ٤٣٣)، والإنصاف (٢/ ٥٠١)، وأمالي ابن الشجري (٣/ ٨٢)، ولسان العرب (٢/ ٢٨٧، ٣/ ٣٦٧) وتمامه: حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٧).

مسحًا، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح.

وقال أبو علي: مَن جرَّ فحُجَّتُه أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجارة، ووجه العاملين إذا اجتمعا: أن يحمل الكلام على الأقرب منهما دون الأبعد، وهو «الباء» هاهنا(١).

وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين:

أحدهما: أن أبا زيد قال: المسح خفيف الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة(٢). [١٨٤/ب]

وقال أبو عبيدة: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣)﴾ [ص:٣٣]، أي ضربًا، فكأن المسح في الآية غسل خفيف(٤).

فإن قيل: فالمستحب التكرار ثلاثًا؟

قيل: إنما جاءت الآية بالمفروض دون المسنون.

والوجه الثاني: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول دون الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، عُلم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد، وحجة من نصب أنه حَمل ذلك على الغسل لاجتماع فُقهاء الأمصار على الغسل.

---

(١) انظر: الحجة (٣/ ٢١٤).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ١٥٩).

(٣) قوله: (والأعناق)، زيادة من (م).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٣).

قوله: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

«إلى» بمعنى «مع». و«الكعبان»: العظمان الناتئان من جانبي القدم.

قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ أي: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد، [واجتُلبت الهمزة توصُّلاً إلى النطق بالساكن](١).

وقد بين الله ﷻ طهارة الجنب في «سورة النساء» بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾ [الآية:٤٣] وقد ذكرنا هناك الكلام في تمام الآية إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، و«الحرج»: الضيق، فجعل الله الدين واسعًا حين رخَّص في التيمم.

قوله: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: يريد أن يطهركم.

قال مقاتل: من الأحداث والجنابة(٢).

وقال غيره: من الذنوب والخطايا، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾.

في الذي يتمُّ به النعمة أربعة أقوال:

أحدها: بغفران الذنوب.

قال محمد بن كعب القرظي: حدثني عبد الله بن دارة، عن حمران قال: مررت على عثمان بفخَّارةٍ من ماءٍ، فدعا بها فتوضأ، فأحسن

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٦).

الوضوء ثم قال: لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ غير مرة أو مرتين أو ثلاثًا ما حدثتكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا تَوَضَّأَ عَبْدٌ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّاهَا، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى**». قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث الْتَمَسْتُهُ في القرآن؛ فَالْتَمَسْتُ هذا فوجدته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح:١-٢] فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت[١] الآية التي في المائدة: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ فعلمت أنه لم يتم النعمة عليهم حتى غفر لهم[٢].

والثاني: بالهداية إلى الإيمان، وإكمال الدين، وهذا قول ابن زيد.

والثالث: بالرخصة في التيمم، قاله مقاتل[٣]، وأبو سليمان.

---

(١) في (ر): (نزلت).

(٢) غريب بهذا اللفظ، رواه ابن المبارك في الزهد كما في زيادات المروزي (٩٠٤)، ومن طريقه الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٧٢) من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن دارة، به، بنحوه. ونجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني ضعيف، وقد اختلط.
والحديث في البخاري(١٥٩)، ومسلم(٢٢٦) بلفظ: أَنَّ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ، رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ، فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٦).

والرابع: ببيان[١] الشرائع، ذكره بعض المفسرين[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: ٧].

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني النعم كلَّها. وفي هذا حثٌّ على الشكر.

وفي الميثاق أربعة أقوال:

أحدها: أنه إقرار كل مؤمن بما آمن به.

[١٨٥/أ] قال ابن عباس: لما أنزل الله الكتاب، وبعث الرسول، فقالوا: آمنا، ذكَّرهم ميثاقه الذي أقرُّوا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء[٣].

والثاني: أنه الميثاق الذي أخذه من بني آدم حين أخرجهم من ظهره، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد.

والثالث: أنه ما وثق على المؤمنين على لسان نبيه ﷺ من الأمر بالوفاء بما أقرُّوا به من الإيمان. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أنه الميثاق الذي أخذ من الصحابة على السمع والطاعة في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، ذكره بعض المفسرين.

---

(١) في (ج): (تبيان).

(٢) في (ج): (ذكره المفسرون).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢٠)، والطبراني في الكبير (١٣٠٣١) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

قال مقاتل: اتقوه في نقض الميثاق[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من إيمان وشك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت من أجل كفار قريش أيضًا، وقد تقدَّم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس[٢]، وبه قال مقاتل[٣].

والثاني: أن قريشًا بعثت رجلًا ليقتل رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول الحسن[٤].

والثالث: أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية، فهمُّوا بقتله، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وقتادة[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٧).

(٢) في (ج): (روي نحو هذا عن أبي طلحة عن ابن عباس).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٧).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٨).

(٥) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٩٧).

ومعنى الآية: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ في الولي والعدو ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: إلى التقوى.

والمعنى: أقرب إلى أن تكونوا متقين، وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة: ٩، ١٠].

قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾.

في معناها قولان:

أحدهما: أن المعنى: وعدهم أن يغفر لهم ويأجرهم فاكتفى بما ذكر عن هذا المعنى.

والثاني: أن المعنى: وعدهم فقال: لهم مغفرة.

وقد بينا في «البقرة» معنى «الجحيم»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ [المائدة: ١١].

قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٩).

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن رجلًا من محارب قال لقومه: الا أقتل لكم محمدًا، فقالوا: وكيف تقتله؟ فقال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وسيفه في حجره، فأخذه، وجعل يهزُّه، ويهمُّ به، فيَكْبِتُه الله، ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: «لا»، قال: لا تخافني وفي يدي السيف؟! قال: «**يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ**»، فأغمد السيف، ونزلت هذه الآية، رواه الحسن البصري عن جابر [١٨٥/ ب] بن عبد الله[(١)].

وفي بعض الألفاظ: فسقط السيف من يده[(٢)].

وفي لفظ آخر: فما قال له النبي ﷺ شيئًا ولا عاقبه[(٣)].

واسم هذا الرجل: غورث بن الحارث من محارب خصفة.

والثاني: أن اليهود عزموا على الفتك برسول الله ﷺ، فكفاه الله شرهم، قال ابن عباس: صنعوا له طعامًا، فأوحى الله بشأنهم، فلم يأت.

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٦١)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ١٩٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن البصري، به، بنحوه.

(٢) رواه عبد بن حميد (١٠٩٦)، وأحمد (٢٣/ ١٩٣)، وأبو يعلى (١٧٧٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣١٥)، وابن حبان (٢٨٨٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) من طرق عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس، عن جابر، بألفاظ متقاربة.

(٣) انظر: المصدر السابق.

وقال مجاهد[(١)(٢)]، وعكرمة[(٣)]: خرج إليهم يستعينهم في دية، فقالوا: اجلس حتى نعطيك، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوا محمدًا أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحَّاش: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل، فأخبره، وخرج، ونزلت هذه الآية.

والثالث: أن بني ثعلبة، وبني مُحارب أرادوا أن يفتكوا بالنبي ﷺ وبأصحابه، وهم ببطن نخلة في غزاة رسول الله ﷺ السابعة، فقالوا: إن لهم صلاة هي أحبُّ إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقعنا بهم، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، وأُنزلت صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة[(٤)].

والرابع: أنها نزلت في حق[(٥)] اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابن زيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) من قوله: (صنعوا له طعامًا)... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٠) من طريق ابن جريج، به، بلفظ مطول.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٥) ليس في (م).

وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ [المائدة: ١٢].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

قال أبو العالية: أخذ الله ميثاقهم أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبُدوا غيره[١].

وقال مقاتل: أن يعملوا بها في التوراة[٢].

وفي معنى النقيب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الضمين، قاله الحسن[٣]. ومعناه: أنه ضمين لتُعرف أحوال من تحت يده، ولا يجوز أن يكون ضمينًا عنهم بالوفاء، لأن ذلك لا يصح ضمانه.

وقال ابن قتيبة: هو الكفيل على القوم. والنِّقَابة شبيهة بالعِرافة[٤].

والثاني: أنه الشاهد، قاله قتادة.

وقال ابن فارس: النقيب: شاهد القوم، وَضَمِينُهُمْ[٥].

والثالث: الأمين، قاله الربيع بن أنس، واليزيدي.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٣٥) من طريق الربيع، به، بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

(٣) قوله: (قاله الحسن)، ليس في (ت).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٦).

وهذه الأقوال تتقارب.

قال الزجاج: النقيب في اللغة، كالأمين والكفيل، يقال: نَقَبَ الرجل على القوم يَنْقُبُ: إذا صار نَقيباً عليهم، وصناعته النقابة، وكذلك عَرَفَ عَلَيْهم: إذَا صار عريفاً، ويقال لأول ما يبدو من الجرب: النُّقْبة، ويجمع النُّقْب والنُّقَب.

وقال الشاعر[1] [من الكامل]:

مُتَبَذِّلًا تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقُب

ويقال: في فلان مناقب جميلة، وكل الباب معناه: التأثير الذي له عُمق ودخول، ومن ذلك نقبت الحائط، أي[2]: بلغت في النقب آخِرَه، [١٨٦/أ] والنقبة من الجرب: داء شديد الدخول.

وإنما قيل: نقيب، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم[3].

ونقل أن الله تعالى أمر موسى وقومه بالسير إلى الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبارون، فقال تعالى: يا موسى اخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، وخُذْ من قومك اثني عشر نقيبًا، من كل سبط نقيبًا يكون

(١) البيت؛ لدريد بن الصمة في معجم ديوان الأدب (١/ ١٥٠)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٦٠)، والمحكم والمحيط (٦/ ٤٥٠)، ولسان العرب (١/ ٧٦٦)، وشرح المفصل (٥/ ٦٥).

(٢) في (م): (إذا).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٧).

كفيلًا على قومه بالوفاء بما أُمروا به، فاختاروا النقباء.

وفيما بعثوا له قولان:

أحدهما: أن موسى عليه السلام بعثهم إلى بيت المقدس، ليأتوه بخبر الجبارين، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسُّدي.

والثاني: أنهم بعثوا ضمناء على قومِهِم بالوفاء بميثاقهم، قاله الحسن، وابن إِسحاق.

وفي نبوتهم قولان: أصحهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ في الكلام محذوف. تقديره: وقال الله لهم.

وفي المقول لهم قولان:

أحدهما: أنهم بنو إِسرائيل، قاله الجمهور.

والثاني: أنهم النقباء، قاله الربيع، ومقاتل[1].

ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالعون والنصرة.

وفي معنى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه الإِعانة والنصر، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

والثاني: أنه التعظيم والتوقير، قاله عطاء، واليزيدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة[١].

قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا[٢]﴾.

في هذا الإقراض[٣] قولان:

أحدهما: أنه[٤] الزكاة الواجبة.

والثاني: صدقة التطوع.

وقد شرحنا في «البقرة» معنى القرض الحسن[٥].

قوله: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ يشير إلى الميثاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ قصد الطريق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:١٥٦) فيه: نصرتموهم وأعنتموهم ووقرتموهم وأيدتموهم، وغريب القرآن (ص: ١٤١).

(٢) قوله: (قرضًا حسنًا)، ليس في الأصل، و(م)، وهو من بقية النسخ.

(٣) في (م): (القرض).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٤٥).

قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فنقضوا، فبنقضهم لعنَّاهم.

وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس.

والثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن، ومقاتل[١].

والثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء، والزجاج[٢].

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قاسِيَةً بالألف، يقال: قست، فهي قاسية[٣].

وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضَّل عن عاصم[٤]: «قسيَّة» بغير ألف [مع تشديد الياء][٥][٦].

لأنه قد يجيء فاعل وفعيل، مثل شاهد وشهيد، وعالم وعليم.

و«القسوة»: خلاف اللِّين والرِّقة. وقد ذكرنا هذا في «البقرة»[٧].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٩).

(٣) من قوله: (قرأ ابن كثير)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) قوله: (والمفضل عن عاصم)، ليس في (م).

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(م)، وهو من (ت)، و(ج)، و(ر).

(٦) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢١٦)، والتيسير (ص:٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥)، وليس فيها رواية المفضل عن عاصم.

(٧) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٧٤).

وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال:

أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل[(١)].

والثالث: تفسيره على غير ما أُنزل، قاله الزجاج[(٢)(٣)].

قوله: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ مبيَّن في «سورة النساء»[(٤)].

قوله: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾. [١٨٦/ب]

«النسيان» هاهنا: الترك عن عمد. و«الحظ»: النصيب.

قال مجاهد[(٥)]: نسوا كتاب الله الذي أُنزل عليهم[(٦)].

وقال غيره: تركوا نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم.

وفي معنى ﴿ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ قولان:

أحدهما: أمروا.

والثاني: أوصوا.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

(٢) قوله: (قاله الزجاج)، ليس في (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٠).

(٤) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٤٦).

(٥) قوله: (قال مجاهد)، ليس في (ج).

(٦) رواه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/ ٤١).

قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾.

وقرأ الأعمش: «على خيانة منهم»[(١)].

قال ابن قتيبة: الخائنة: الخيانة. ويجوز أن تكون صفة للخائن، كما يقال: رجلٌ طاغية، وراوية للحديث[(٢)].

قال ابن عباس: وذلك مثل نقض قريظة عهد رسول الله ﷺ، وخروج كعب بن الأشرف إلى أهل مكة للتحريض على رسول الله، [إلّا قليلاً][(٣)] مِنْهُمْ لم ينقضوا العهد، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقيل: بل القليل ممن لم يؤمن.

قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾.

واختلفوا في نسخها على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة، قاله الجمهور.

واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها آية السيف.

والثاني: قوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:٢٩] الآية[(٤)].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٣٨) عن ابن محيصن، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٧٠) عن الأعمش.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(ت)، وهو من (م)، و(ج)، و(ر).

(٤) قوله: (ولا باليوم الآخر، الآية)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج).

والثالث: قوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ [الأنفال:٥٨].

والثاني: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، فغدروا، وأرادوا قتل النبي ﷺ فأظهره الله عليهم، ثم أنزل الله هذه الآية، ولم تنسخ.

قال ابن جرير[١]: يجوز أن يعفى عنهم في غدرةٍ فعلوها، ما لم ينصبوا حربًا، ولم يمتنعوا من أداء الجزية والإقرار بالصَّغار، فلا يتوجَّه النَّسخ[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٤].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾.

قال الحسن: إنما قال: قالوا: إنا نصارى، ولم يقُل: من النصارى، لِيَدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة، وهم الذين تبعوا[٣] المسيح.

وقال قتادة: كانوا بقرية، يقال لها: ناصرة، فتسمَّوا بهذا الاسم[٤].

قال مقاتل: أُخذ عليهم الميثاق، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، فتركوا ما أُمروا به[٥].

---

(١) في الأصل: (ابن جبير)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٥٥).

(٣) في (ت)، و(م)، و(ر): (اتبعوا).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٩٦) عن معمر، ومن طريقه رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾.

قال النَّضر[(١)]: هيَّجنا بينهم[(٢)(٣)].

وقال المؤرِّج: حرَّشنا بعضهم على بعض[(٤)].

وقال الزجاج: ألصقْنَا بهم ذلك[(٥)]، يقال: غريتُ بالرجل غَرىً - مَقْصُورٌ - إِذَا لصِقتَ بِه، هذا قول الأصمعي. وقال غير[(٦)] الأصمعي: غَرِيتُ به غَرَاءً ممدود، وهذا الغِرَاءُ الذي يُغْرَى به إنما يلصق[(٧)] به[(٨)] الأشياء، ومعنى أغرينا بينهم العداوة والبغضاء: أنهم صاروا فرقًا يكفِّر بعضهم بعضًا[(٩)].

وفي الهاء والميم مِن قوله: ﴿بَيْنَهُمُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إِلى اليهود والنصارى، قاله مجاهد، وقتادة[(١٠)]، والسُّدي.

---

(١) قوله: (النضر)، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) قوله: (بينهم)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: الوسيط للواحدي (٢/ ١٦٨).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في (ج): (ألصقنا بهم على ذلك).

(٦) قوله: (غير)، ليس في (ت)، و(ر).

(٧) في (ت): (تلصق).

(٨) ليست في (م).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦١).

(١٠) ليست في (ج).

والثاني: ترجع إلى النصارى خاصة، قاله الربيع.

[١٨٧/أ] وقال الزجاج: هم النصارى، منهم النَسْطُورِيَةُ واليَعْقُوبِيَةُ والمَلْكِيَّةُ، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى[(١)].

وفي تمام الآية وعيد شديد لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٥].

قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود.

والثاني: اليهود والنصارى.

و«الرسول»: محمد ﷺ.

قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

قال ابن عباس: أخفوا آية الرَّجم، وأمر محمد ﷺ وصفته[(٢)].

﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ يتجاوز، فلا يخبرهم بكتمانه.

فإن قيل: كيف كان له أن يمسك عن حق كتموه فلا يبينه؟

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦٢) من طريق عكرمة،به، بنحوه.

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه كان متلقيًا ما يؤمر به، فإذا أُمِر بإظهار شيء من أمرهم، أظهره، وأخذهم به، وإلا سكت.

والثاني: أن[1] عقد الذِّمة إنما كان على أن[2] يُقَرُّوا على دينهم، فلما كتموا كثيرًا مما أُمروا به، واتخذوا غيره دينًا، أظهر عليهم ما كتموه مِن صفته وعلامة نبوته، ليتحقق معجزته عندهم، واحتكموا إليه في الرجم، فأظهر ما كتموا مما يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارهم على دينهم.

قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾.

قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمد ﷺ[3].

وقال غيره: هو الإسلام، فأما الكتاب المبين، فهو القرآن.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

قوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني: بالكتاب.

و﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾: ما رضيه الله تعالى.

---

(١) ليست في (م).

(٢) قوله: (على أن)، ليس في (م).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٨).

و«السُّبل»، جمع سبيل.

قال ابن عباس: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دين الإسلام(١).

وقال السدي: «السلام»: هو الله، و«سبله»: دينه الذي شرعه(٢).

قال الزجاج: وجائز أن يكون ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ طرق السَّلامة التي مَن سلكها سَلِمَ في دينه، وجائز أن يكون «السلام» اسم الله ﷻ، فيكون المعنى: طرق الله ﷻ(٣).

قوله: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

قال ابن عباس: يعني من الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني: الإيمان ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: بأمره ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهو الإسلام(٤).

وقال الحسن: طريق الحق(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [المائدة: ١٧].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦٥) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦١).

(٤) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢/ ١٦٩).

(٥) المصدر السابق بلفظ: هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة.

قوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾.

قال ابن عباس: هؤلاء نصارى أهل نجران، وذلك أنهم اتخذوه إلهًا[1].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أي: فمن يقدر أن يدفع من عذابه شيئًا.

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ أي: فلو كان إلهًا كما تزعمون لقَدَرَ أن يردَّ أمرَ اللهِ إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أمِّه، ولمَّا نزل أمر الله بأمِّه، لم يقدرْ أن يدفع عنها.

وفي قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ردٌّ عليهم حيث قالوا للنبي ﷺ: فهات مثله من غير أب.

فإن قيل: لم قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ولم يقل: وما بينهن؟ [١٨٧/ ب]

فالجواب: أن المعنى: وما[2] بين هذين النوعين من الأشياء، قاله ابن جرير[3].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١٨].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٥/ ٤٦٠)، وابن أبي حاتم (٣٦٠٦) في تفسيرهما، من طريق عطية العوفي، به، بلفظ مطول.

(٢) في (ت): (فما).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٦٧).

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

قال مقاتل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران[١].

وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل[٢]: إنَّ ولدك بكري من الولد، فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يومًا حتى تطهِّرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادي منادٍ: أخرجوا كلَّ مختون من بني إسرائيل[٣].

وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان معنى قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ أي: منَّا ابن الله.

وفي قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إبطال لدعواهم، لأن الأب لا يعذِّب ولده، والحبيبُ لا يُعذِّبُ حبيبه، وهم يقولون: إن الله يعذبنا أربعين يومًا بالنار.

وقيل: معنى الكلام: فلمَ عذَّب منكم من مسخه قردةً وخنازير؟ وهم أصحاب السبت والمائدة.

قوله: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: أنتم كسائر بني آدم تُجازَوْن بالإحسان والإساءة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٤).

(٢) في (ت)، و(ر): (بني إسرائيل).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦٩) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

قال عطاء: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم الموحدون، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المشركون[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة: ١٩].

قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾.

سبب نزولها:

أن معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب، قالوا: يا معشر اليهود اتقوا الله، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته، فقال وهب بن يهوذا، ورافع: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله بعد موسى من كتاب، ولا أرسل رسولًا[(٢)] بشيرًا ولا نذيرًا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[(٣)].

فأما «الفترة» فأصلها السكون، يقال: فتر الشيء يَفتر فتورًا: إذا سكنت حدَّته، وانقطع عمَّا كان عليه، والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد. والفتور: الضعف.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٠) بلفظ: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾، قال عطاء: لمن يوحد، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من لا يوحد.

(٢) ليست في (ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٧٣) من طريق سعيد بن جبير، أو عكرمة، به، بنحوه.

وفي مدة الفترة بين عيسى ومحمدٍ أربعة أقوال:

أحدها: أنه كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سلمان الفارسي، ومقاتل[١].

والثاني: خمسمائة سنة وستون سنة[٢]، قاله قتادة[٣].

والثالث: أربع مائة وبضع وثلاثون سنة، قاله الضحاك.

والرابع: خمسمائة [سنة][٤] وأربعون سنة، قاله ابن السائب.

وقال أبو صالح عن ابن عباس ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: انقطاع منهم[٥].

قال: وكان بين ميلاد عيسى، وميلاد محمد عليهما السلام خمسمائة سنة وتسعة وتسعون[٦] سنة، وهي فترة. وكان بعد عيسى أربعة من الرسل، فذلك قوله: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ [يس:١٤]. [١٨٨/أ]

قال: والرابع لا أدري من هو؟. وكان بين تلك السنين مائة سنة، وأربع وثلاثون [سنة][٧] نبوة وسائرها فترة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): (قاله مقاتل وقتادة).

(٤) من (ج).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٠).

(٦) في (م)، و(ر): (وستون).

(٧) من (ج).

قال أبو سليمان الدمشقي[١]: والرابع، والله أعلم: خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ»[٢].

قوله: ﴿أَن تَقُولُوا﴾.

قال الفراء: كي لا تقولوا: مثل قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء:١٧٦][٣].

وقال غيره: لئلا تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: ٢٠].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه البزار في مسنده (٥٠٩١)، والطبراني في الكبير (١٢٢٥٠) من طريق محمد بن الصلت، عن قيس بن الربيع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قَالَ: ذُكِرَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ عِنْدَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ: «ذَاكَ نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ».
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٤٩٣)، وابن شبه في تاريخ المدينة (٢/ ٤٢١) من طريق سفيان، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، مرسلًا.
قال البزار: وهذا الحديث رواه الثوري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير مرسلا، وأسنده قيس، ولم نسمع أحدًا يحدث به عن محمد بن الصلت إلا يحيى بن معلى، وإنما يحفظ هذا الحديث من حديث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٣).

قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الجبل، جعلهم الله أنبياء بعد موسى وهارون، وهذا قول ابن السائب، ومقاتل(١).

والثاني: أنهم(٢) الأنبياء الذين أُرْسِلوا من بني إسرائيل بعد موسى، ذكره الماوردي(٣).

وبماذا جعلهم ملوكًا؟ فيه ثمانية أقوال:

أحدها: بالمن والسلوى والحجر.

والثاني: بأن جعل للرجل منهم زوجةً وخادمًا.

والثالث: بالزوجة والخادم والبيت، رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس، وهذا الثالث اختيار الحسن، ومجاهد.

والرابع: بالخادم والبيت(٤)، قاله عكرمة.

والخامس: بتمليكهم الخدم. وكانوا أول مَن ملك الخدم، ومن اتخذ خادمًا فهو ملك، قاله قتادة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٤).

(٤) من قوله: (رويت هذه الثلاثة)... إلى هنا، ليس في (ج).

والسادس: بكونهم أحرارًا يملك الإنسان منهم نفسه وأهله وماله، قاله السُّدي.

والسابع: بالمنازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضحاك.

والثامن: بأن جعل لهم الملك والسلطان، ذكره الماوردي[١].

قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

اختلفوا[٢] فيمن خوطب بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم قوم موسى، وهذا مذهب ابن عباس، ومجاهد.

قال ابن عباس: ويعني بالعالمين: الذين هم بين ظهرانيهم[٣].

وفي الذي آتاهم ثلاثة أقوال:

أحدها: المن والسلوى والحجر والغمام، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثاني: أنه الدار والخادم والزوجة، رواه عطاء عن ابن عباس.

قال ابن جرير: ما أُوتي أحد من النِّعم في زمان قوم موسى ما أُوتوا[٤].

---

(١) انظر: المصدر.

(٢) قوله: (اختلفوا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤١) من طريق الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس ﷺ، في قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ﴾ قال: جعل منكم أنبياء ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾. قال: المرأة والخادم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. ومن طريق الحاكم، رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٩٨).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٨٣).

والثالث: كثرة الأنبياء فيهم، ذكره الماوردي(١).

والثاني: أن الخطاب لأمة محمد ﷺ، وهذا مذهب سعيد بن جبير، وأبي مالك.

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١].

قوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟﴾.

وقرأ ابن محيصن: «يا قومُ» بضم الميم، وكذلك «يا قومُ اذكروا [نعمة الله](٢)»، و«يا قومُ اعبدوا»(٣).

وفي معنى ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ قولان:

أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج(٤).

قال: وقيل للسطل: القَدَس، لأنهُ يتطهَّر منه، وسُمِّي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سمَّاها مقدَّسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكنًا للأنبياء والمؤمنين(٥). [١٨٨/ب]

والثاني: أن المقدَّسة: المباركة، قاله مجاهد.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) في المحرر الوجيز (٢/ ١٧٣)، والبحر المحيط (٤/ ٢١٦) والكامل (١/ ٥٣٣) عن ابن محيصن، وفي التحصيل (٢/ ٤٥١)، عن شبل بن عباد، عن ابن كثير.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٥٠).

وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال:

أحدها: أنها أريحا: رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد.

قال السدي: أريحا هي أرض بيت المقدس[(١)].

وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس[(٢)].

قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إنَّك اخترت من الأنعام الضائنة[(٣)]، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس[(٤)].

فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي [قال] [(٦)]: إيلياء[(٧)] بيت المقدس، وهو معرَّب[(٨)].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٧) بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٧٤).

(٣) مكانها بياض في (ج).

(٤) انظر: عيون الأخبار (٢/ ٨٩).

(٥) قوله: (قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٦) من (ت)، و(م)، و(ر).

(٧) من قوله: (الأرض التي فيها)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٨) انظر: المعرَّب (ص:١٣٩)، والتكملة والذيل (ص:٣١).

قال الفرزدق[(١)] [من الطويل]:

وبيتانِ بيتُ الله نحنُ وُلاتُهُ ... وبيتٌ بِأَعْلى إيلياءَ مُشرَّفُ

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردُن، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة.

وفي قوله: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بمعنى أمرَكم وفرض عليكم دخولها، قاله ابن عباس، والسُّدي.

والثاني: أنه بمعنى: وهبها الله لكم، قاله محمد بن إسحاق.

وقال ابن قتيبة: جعلها لكم[(٢)].

والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وقد كتبها لهم؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه إنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصَوْا حرَّمها عليهم.

والثاني: أنه كتبها لبني إسرائيل، وإليهم صارت، ولم يعنِ موسى أن الله كتبها للذين أُمِرُوا بدخولها بأعيانهم.

---

(١) في ديوانه (٢/ ٣٢)، وفي لسان العرب (١١/ ٤٠)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٧٠٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

قال ابن جرير: ويجوز أن يكون الكلام خرج مخرج العموم، وأُريد به الخصوص فتكون مكتوبة لبعضهم، وقد دخلها يوشع، وكالب[١].

قوله: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته.

والثاني: لا ترجعوا إلى الشرك به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: ٢٢].

قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

قال الزجاج: الجبار من الآدميين: الذي يُجبِر الناس على ما يريد، يقال: جبار: بَيِّنُ الجَبْرِيَّة والجِبْرِيَّة، والجِبِرِيَّة بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوَّةُ والجَبَرُوَّةُ والتَّجبار والجَبروت[٢][٣].

وفي معنى وصفه هؤلاء بالجبارين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا ذوي قوة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا عظام الخَلْق والأجسام، قاله قتادة.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٨٧).

(٢) في (ت): (والجبروة)، وفي معاني القرآن وإعرابه: (والجبورة).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٦).

والثالث: أنهم كانوا قتَّالين، قاله مقاتل[١].

الإشارة إلى القصَّة[٢]

[١٨٩/أ] قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومه بمدينة الجبارين، بعث اثني عشر رجلًا، ليأتوه بخبرهم، فلقيَهم رجل من الجبارين[٣]، فجعلهم في كسائِه، فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه، فاجتمعوا، فقالوا لهم: من أين أنتم؟ فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيَه بخبركم، فأعطوهم حبَّةً من عنبٍ توقر الرجل، وقالوا لهم، قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فاكهتهم، فلما رجعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قومًا جبارين[٤].

وقال السدي: كان الذي لقيهم، يقال له: عاج، يعني: عوج بن عناق، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجرته وعلى رأسه حزمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلِّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. فلما خرجوا قالوا: يا قوم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، فأخذوا الميثاق بينهم على كتمان ذلك، فنكث عشرة، وكتم رجلان[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٦).

(٢) في (ت): (قصة).

(٣) من قوله: (بعث اثنى عشر)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ مطول.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

وقال مجاهد: لما رأى النُّقباءُ الجبارينَ، وجدوهم يدخل في كمِّ أحدهم اثنان[١] منهم، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرمانة إذ نزع حبَّها خمسة أو أربعة، فرجع النقباء كلُّهم[٢] ينهى سبطه عن قتالهم إلا يوشع[٣]، وابن يوقنَّا[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾.

في الرجلين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوقنة، قاله ابن عباس.

وقال مجاهد: ابن يوقنَّا، وهما[٥] من النقباء[٦].

والثاني: أنهما كانا من الجبارين فأسلما، روي عن ابن عباس.

---

(١) في (ج): (اثنا عشر).

(٢) في (ج): (كل منهم).

(٣) قوله: (إلا يوشع)، ليس في (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٨/ ٢٩٤) من طريق منصور، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: ﴿رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ قَالَ: «يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَكِلَابُ بْنُ يوقنا، وَهُمَا مِنَ النُّقَبَاءِ».

والثالث: أنهما كانا في مدينة الجبارين، وهما على دين موسى، قاله الضحاك.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، وأيوب: «يُخافون» بضم الياء[١]. على معنى أنهما كانا من العدوّ، فخرجا مؤمنين.

وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خافوا الله وحده.

والثاني: خافوا الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم قبول الحق.

والثالث: يُخاف منهم، على قراءة ابن جبير.

وفيما أنعم به عليهما أربعة أقوال:

أحدها: الإِسلام، قاله ابن عباس.

والثاني: الصلاح والفضل واليقين، قاله عطاء.

والثالث: الهُدى، قاله الضحاك.

والرابع: الخوف، ذكره ابن جرير عن بعض السلف[٢].

قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾.

قال ابن عباس: قال الرجلان: ادخلوا عليهم باب القرية فإنهم قد مُلئوا منا رعبًا وفرقًا[٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٣٨) عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وفي التحصيل(٢/ ٤٥٠) عن سعيد بن جبير، ومجاهد.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٧).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٣) بلا نسبة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾.

قال ابن زيد: قالوا له: انظر كما صنع ربك بفرعون وقومه، فليصنع بهؤلاء.

وقال مقاتل: فاذهب أنت وسل ربَّك النصر[١]. [١٨٩/ب]

وقال غيرهما: اذهب أنت وليُعِنْكَ ربك.

قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون صاحبه أحبُّ إِليَّ مما عُدِلَ به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله ﷺ أشرق لذلك وجهه وسُرَّ به[٢].

وقال أنس: استشار رسول الله ﷺ الناس[٣] يوم خرج إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم[٤] استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، فقالوا: يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٩٥٢).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) ليست في (ج).

إسرائيل لموسى[١]: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة: ٢٥].

قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾.

فيه[٣] قولان:

أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه.

والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالمِلْك له.

وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ[٤]، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ[٥]**» فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله.[٦] يعني: أنّي متصرِّف حيث صرَّفتني، وأمرك جائز في مالي.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ٧٩)، والنسائي في الكبرى (٨٣٤٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٦٦ـ ٣٨٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٧٢١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠/ ٣١٦) من طريق حميد الطويل، به، بنحوه.

(٣) ليست في (ت).

(٤) قوله: (مال قط)، ليس في (ج).

(٥) في (ر): (ما نفعني مالٌ كمال أبي بكر).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٤١٤)، وفي فضائل الصحابة (٢٥)، وابن ماجه (٩٤)، والنسائي في الكبرى (٨١١٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٩٩)، وابن حبان=

قوله: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

قال ابن عباس: اقض بيننا وبينهم(١).

وقال أبو عبيدة: باعد، وافصل، وميِّز(٢).

وفي المراد بـ ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: العاصون، قاله ابن عباس.

والثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد.

والثالث: الكافرون، قاله أبو عبيدة(٣).

قال السدي: غضب موسى حين قالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا، فدعا عليهم، وكانت عجلة من موسى عجلها(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

=في صحيحه (٦٨٥٨) وغيرهم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مرفوعًا، بنحوه.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٧) من طريق أسباط بن نصر، به، بلفظ مطول.

قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾.

الإشارة إلى الأرض المقدَّسة. ومعنى تحريمها عليهم: منعهم منها.

فأما نصب «الأربعين»، فقال الفراء: هو منصوب بالتحريم، وجائز أن يكون منصوبًا بـ «يتيهون»[١].

وقال الزجاج: لا يجوز أن ينتصب بالتحريم، لأن التفسير[٢] جاء أنها محرَّمة عليهم أبدًا[٣].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: وقد اختلف المفسرون في ذلك:

فذهب الأكثرون، منهم عكرمة، وقتادة، إلى ما قال الزجاج، وأنها حرِّمت عليهم أبدًا.

قال عكرمة: فإنها محرَّمة عليهم أبدًا يتيهون في الأرض أربعين سنة[٥].

وذهب قومٌ منهم الربيع بن أنس أنها حُرِّمَت عليهم أربعين سنة[٦]، [١٩٠/أ] ثم أمروا بالسير إليها، وهذا اختيار ابن جرير قال: إنما نصبت بالتحريم، والتحريم كان عامًّا في حق الكلِّ، ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد، فلما انقضت، أُذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم[٧].

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٥).

(٢) قوله: (لأن التفسير)، ليس في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٦).

(٤) في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر): (قلت).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٠٩) بلفظ: «التَّحْرِيمُ لَا مُنْتَهَى لَهُ».

(٦) من قوله: (وذهب قوم منهم الربيع)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٣١٤).

قال أبو عبيدة: ومعنى: يتيهون: يحورون(١) ويضلون(٢).

الإشارة إلى قصتهم

قال ابن عباس: حرَّم الله على الذين عَصَوْا دُخُولَ بيت المقدس، فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع وكالب(٣) بأبناء القوم، وناهض يوشع بمن(٤) بقي معه مدينة الجبارين فافتتحها.

وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا(٥).

وقال السدي: لما ضرب الله عليهم التيه، ندم موسى على دعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعت بنا، أين الطعام؟ فأنزل الله المنَّ. قالوا: فأين الشراب؟ فأُمِر موسى أن يضرب بعصاه الحجر. قالوا: فأين الظلُّ؟ فظلِّل عليهم الغمام. قالوا: فأين اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرَّق لهم ثوب، وقُبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى دخول قرية الجبارين إلَّا مات، ولم يشهد الفتح(٦).

---

(١) في (ت): (يحوزون).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٠).

(٣) ليست في (م).

(٤) في (ج): (من).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٧) من طريق أسباط بن نصر، به.

وفيه قول آخر: أنه لما مضت الأربعون خرج موسى ببني إسرائيل من التيه، وقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة:٥٨] إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد.

وقال ابن جرير الطبري(١)، وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح قرية(٢) الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج ملكهم، وكان بلعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى من قدمائهم غير يوشع وكالب، وإنما حرِّمت على الذين لم يطيعوا.

وفي مسافة أرض التيه قولان:

أحدهما: تسعة فراسخ، قاله ابن عباس.

قال مقاتل: هذا عرضها، وطولها ثلاثون فرسخًا(٣).

والثاني: ستة فراسخ في طول اثني عشر فرسخًا، حكاه مقاتل أيضًا(٤).

قوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٠٨).

(٢) في (ج): (مدينة).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

قال الزجاج: لا تحزن على قوم شأنهم المعاصي، ومخالفة الرسل[(١)][(٢)].

وقال ابن قتيبة: يقال أسيت على كذا، أي: حزنت، فأنا آسي [أسىً][(٣)][(٤)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ «النبأ»: الخبر.

وفي ﴿ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ قولان:

أحدهما: أنهما ابناه لِصُلبه، وهما قابيل وهابيل، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة. [١٩٠/ب]

والثاني: أنهما أخوان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وهذا قول الحسن.

والعلماء على الأول، وهو أصح لقوله: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣١] ولو كان من بني إسرائيل، لكان قد عرف الدَّفن.

ولأن النبي ﷺ قال عنه: **«أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»**[(٥)].

---

(١) في (ج): (الأنبياء).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٦).

(٣) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

(٥) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ=

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: كما كان.

و«القربان»: فعلان من القرب، وقد ذكرناه في «آل عمران»[(١)].

وفي السبب الذي قربا لأجله قولان:

أحدهما: أن آدم عليه السلام كان قد نُهِي أن يُنْكِحَ المرأة أخاها الذي هو توأمها، وأُجيز له أن يُنكحها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأُنثى، فوُلدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أُختك، وأُنكحك أُختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحق بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة[(٢)] صاحب غنم، فقال: هلمَّ فلنقرِّب قربانًا، فأينا تُقُبِّل قربانُه فهو أحقُّ بها، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أعين أقرن، وجاء صاحب الحرث بصُبْرَةٍ من طعام، فتُقُبِّل الكبش[(٣)]، فخزنه الله في الجنة أربعين خريفًا، فهو الذي ذبحه إبراهيم، فقتله صاحب الحرث، فوَلَدُ آدم كلهم من ذلك الكافر، رواه سعيد بن جبير[(٤)] عن ابن عباس[(٥)].

=مَنْ سَنَّ القَتْلَ».

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٨٣).

(٢) في (ج)، و(ر): (الذميمة).

(٣) في (ج): (فتُقُبِّل من صاحب الكبش).

(٤) في (ج): (جرير)!.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٣٩) من طريق عبد الله بن عثمان بن خُثيم، به، بنحوه.

والثاني: أنهما قرَّباه من غير سبب. روى العوفي عن ابن عباس[(١)] أن ابنيْ آدم كانا قاعدَين يومًا، فقالا: لو قرَّبنا قربانًا، فجاء صاحب الغنم بخير غنمه وأسمنها، وجاء الآخر ببعض زرعه، فنزلت النار[(٢)]، فأكلت الشاة، وتركت الزرع، فقال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أن قربانك تُقُبِّل، وأنك خيرٌ مني لأقتلنَّك[(٣)].

واختلفوا هل قابيل وأُخته وُلدا قبل هابيل وأُخته، أم بعدهما؟ على قولين:

وهل كان قابيل كافرًا أو فاسقًا غير كافر؟ فيه قولان:

وفي سبب قبول قربان هابيل قولان:

أحدهما: أنه كان أتقى لله من قابيل.

والثاني: أنه تقرَّب بخيار ماله، وتقرب قابيل بشرِّ ماله.

وهل كان قربانهما بأمر آدم، أم من قِبل أنفسهما؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه كان وآدم قد ذهب إلى زيارة البيت.

والثاني: أن آدم أمرهما بذلك.

وهل قُتل هابيل بعد تزويج أُخت قابيل، أم لا؟

---

(١) من قوله: (والثاني: أنهما قرباه)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٢) في (ت): (هذه النار).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١٩).

فيه قولان:

أحدهما: أنه قتله قبل ذلك لئلا يصل إليها.

والثاني: أنه قتله بعد نكاحها.

قوله: ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾.

وروى زيد عن يعقوب: «لأقتلنْك» بسكون النون وتخفيفها[(١)].

والقائل: هو الذي لم يُتقبَّل منه.

[١٩١/أ] قال الفراء: إنما حذف ذكره، لأن المعنى يدل عليه، ومثل ذلك في الكلام أن تقول[(٢)]: إذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت، وإذا اجتمع السفيه والحكيم[(٣)] حُمِد، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يشكل، فلو قلت: مرَّ بي رجلٌ وامرأةٌ فأعنتُ، وأنت تريد أحدهما، لم يجز، لأنه ليس هناك علامة تدل على مُرادِك[(٤)].

وفي المراد بالمتقين قولان:

أحدهما: أنهم الذين يتقون المعاصي، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك.

---

(١) الجمهور على التشديد، وفي البحر المحيط (٤/ ٢٢٨) عن زيد بن علي، وانظر: المبسوط (١/ ١٧٣)، والكامل (١/ ٥٣٢).

(٢) في (ت)، و(ر): (يقول).

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ر): (والحليم)، وفي (م): (والحكيم والحليم).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المائدة: ٢٨].

قوله: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ما أنا بمنتصرٍ لنفسي، قاله ابن عباس.

والثاني: ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة.

وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان:

أحدهما: أنه منعه التحرُّج مع قدرته على الدفع وجوازه له، قاله ابن عمر، وابن عباس.

والثاني: أن دفع الانسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزًا، قاله الحسن، ومجاهد.

وقال ابن جرير: ليس في الآية دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله، ثم ترك الدفع عن نفسه، وقد ذُكر أنه قتله غِيلةً، فلا يدَّعى ما ليس في الآية إلا بدليل(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة: ٢٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٣٠).

قوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: إني أُريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أن تبوء بإثمي في خطاياي، وإثمك في قتلك لي، وهو مروي عن مجاهد[١] أيضًا.

قال ابن جرير: والصحيح عن مجاهد القول الأول[٢].

وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ[٣] ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**»[٤].

فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتني أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج[٥].

---

(١) من قوله: (وقتادة والضحاك)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٣١).

(٣) ليست في (ج).

(٤) تقدم قريبًا.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٧).

والثاني: أن في الكلام محذوفًا، وتقديره: إني أُريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] أي: أن[١] لا تميد بكم[٢].

ومنه قول امرئ القيس[٣]:[من الطويل]:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

أراد: لا أبرح. وهذا مذهب ثعلب.

والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، [وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك][٤]. فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣] أي: حب العجل، ذكره والذي قبله ابن [١٩١/ب] الأنباري.

قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الإشارة إلى مصاحبة النار[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠].

---

(١) ليست في (م)، و(ج).

(٢) ليست في (ت)، و(م).

(٣) في ديوانه (ص:٣٢)، والكتاب (٣/ ٥٠٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٢٠)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٣)، وخزانة الأدب (٩/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٤) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٥) من قوله: (قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾)... إلى هنا، ليس في (ج).

قوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: تابعته على قتل أخيه، قاله ابن عباس.

والثاني: شجَّعته، قاله مجاهد.

والثالث: زيَّنت له، قاله قتادة.

والرابع: رَخَّصَتْ له، قاله أبو الحسن الأخفش[(١)].

والخامس: أنَّ «طوَّعت» فعَّلت من «الطوع»، والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: أتاه طوعًا، حكاه الزجاج عن المبرِّد[(٢)].

وقال ابن قتيبة: شايعتْه وانقادت له، يقال: لساني لا يَطوع بكذا، أي: لا ينقاد، وهذه المعاني تتقارب[(٣)(٤)].

وفي كيفية قتله ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه رماه بالحجارة حتى قتله، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: ضرب رأسه بصخرة وهو نائم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٧).

(٣) في (ت): (وهذه المعنى يتقارب).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٤٢).

والثالث: رضخ رأسه بين حجرين.

قال ابن جريج: لم يدر كيف يقتله، فتمثَّل له إبليس، وأخذ طائِرًا فوضع رأسه على حجر، ثم شدخه بحجر آخر، ففعل به هكذا، وكان لـ «هابيل» يومئذٍ عشرون سنة[١].

وفي موضع مصرعه ثلاثة أقوال:

أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس.

والثاني: بالبصرة، قاله جعفر الصادق.

والثالث: عند عقبة حِرَاء[٢]، حكاه ابن جرير الطبري.

وفي قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: من الخاسرين الدنيا والآخرة، فخسرانه الدنيا: أنه أسخط والديه، وبقي بلا أخ، وخسرانه الآخرة: أنه أسخط ربه، وصار إلى النار، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه أصبح من الخاسرين الحسنات، قاله الزجاج[٣].

والثالث: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها، قاله القاضي أبو يعلى.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٣٨).

(٢) في (ت): (جزاء).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٧).

قَوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائـدة: ٣١].

قوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾.

قـال ابـن عبـاس: حملـه على عاتقـه[١]، فـكان إذا مشـى تخـطُّ يـداه ورجلاه في الأرض، وإذا قعـد وضعـه إلى جنبـه حتـى رأى غرابـين اقتتـلا، فقتـل أحدهمـا الآخـر، ثـم بحـث لـه الأرض حتـى واراه بعـد أن حمله سـنين[٢].

وقال مجاهد: حمله على عاتقه مائة سنة[٣].

وقال عطية: حمله حتى أروح[٤].

وقال مقاتل: حمله ثلاثة أيام[٥].

وفي المراد بسوأة أخيه قولان:

أحدهما: عورة أخيه.

والثاني: جيفة أخيه.

---

(١) قوله: (على عاتقه)، ليس في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٢) من طريق علي بن أبي طلحة،به، بمعناه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٣) من طريق ليث، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٠).

قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾.

فإن قيل: أليس الندم توبة، فَلِم لم تُتقبل[١] منه؟

فعنه أربعة أجوبة[٢]:

أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدَّمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها خصَّت بخصائِص لم تشارَك فيها، قاله الحسين بن الفضل.

والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله.

والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله.

والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب. [١٩٢/أ]

وفي هذه القصة تحذير من الحسد، لأنه الذي أهلك قابيل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾.

قال الضحاك: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلماً[٣].

---

(١) في (ت)، و(م)، و(ر): (تُقبل).

(٢) في (ر): (أقوال).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٨).

وقال أبو عبيدة: من جناية ذلك، ومن جري ذلك[١].

قال الشاعر[٢][من الطويل]:

وَأَهْـلُ خِبَـاءٍ صَالِـحٍ ذَاتُ بَيْنِهِـمْ   قَـدِ احْتَرَبُـوا فِي عَاجِـلٍ أَنَـا آجِلُـهُ

أي: جانيه وجاره عليهم.

وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله، والمعنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك.

فعلى هذا يَحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسن الوقف. والأول أصح.

و﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: فرضنا.

ومعنى ﴿قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: قتلها ظلمًا ولم تقتل[٣] نفسًا.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [منسوق على نفس المعنى][٤]، أي: وبغير[٥] فساد يستحق به القتل.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) البيت لخوات بن جبير في تهذيب اللغة (١١/ ١٣٢)، ومجمل اللغة (١/ ٨٨)، ومقاييس اللغة (١/ ٦٤)، ولسان العرب (١١/ ١٢)، ونُسب لزهير في إيضاح الشواهد (١/ ٢٩٤)، والبحر المحيط (٤/ ٢٣٧).

(٣) في (ت): (يقتل).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) في (ت)، و(ر): (بغير).

وقيل[١]: أراد بالفساد هاهنا: الشرك.

وفي معنى قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

خمسة أقوال:

أحدها: أن عليه إِثم من قتل الناس[٢] جميعًا، قاله الحسن، والزجاج[٣].

والثاني: أنه يصلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعًا، قاله مجاهد، وعطاء.

وقال ابن قتيبة: يُعذَّبُ كما يُعذَّب قاتل[٤] النَّاسِ جميعًا[٥][٦].

والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعًا، قاله ابن زيد.

والرابع: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعينوا ولي المقتول حتى يُقيدوه منه، كما لو قتل أولياءَهم جميعًا، ذكره القاضي أبو يعلى[٧].

والخامس: أن المعنى: من قتل نبيًّا أو إِمامًا عادلًا، فكأنما قتل الناس جميعًا، رواه عكرمة عن ابن عباس.

---

(١) قوله: (يستحق به القتل. وقيل)، ليس في (ج).

(٢) في (ج): (النفس).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٨).

(٤) ليست في (م).

(٥) من قوله: (قاله مجاهد، وعطاء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:١٤٣).

(٧) في (م): (قاله ابن عباس، ذكره القاضي أبو يعلى).

والقول بالعموم أصح.

فإن قيل: إذا كان إثم قاتل الواحد كإثم من قتل الناس جميعًا، دل هذا على أنه لا إثم عليه في قتل مَن يقتله بعد قتل الواحد إلى أن يفنى الناس؟

فالجواب: أن المقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعًا معلوم عند الله محدود، فالذي يقتل الواحد يلزمه ذلك الإثم المعلوم، والذي يقتل الاثنين يلزمه مثلاه، وكلما زاد قتلًا زاده الله إثمًا، ومثل هذا قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] فالحسنة معلوم عند الله مقدار ثوابها، فعاملها يعطى بمثل ذلك عشر مرات.

وهذا الجواب عن سؤال سائل[١] إن قال: إذا كان[٢] من أحيا نفسًا فله ثواب من أحيا الناس، فما ثواب من أحيا[٣] الناس كلّهم؟ هذا كله منقول عن المفسرين.

والذي أراه أن التشبيه بالشيء تقريبٌ منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصين كإثم قاتل شخص، وإنما وقع التشبيه بـ «كأنما»، لأن جميع الخلائق من شخص واحد، فالمقتول يتصوَّر منه نشر عدد الخلق كلِّهم. [١٩٢/ب]

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾.

---

(١) في (ج): (السائل).

(٢) قوله: (إذا كان)، ليس في (ج).

(٣) قوله: (من أحيا)، ليس في (ج).

خمسة أقوال:

أحدها: استنقذها من هلكةٍ، روي عن ابن مسعود، ومجاهد.

قال الحسن: من أحياها من غرق أو حرق أو هلاك[١].

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: من شدَّ عَضُدَ نبي أو إمامٍ عادِلٍ، فكأنما أحيا الناس جميعًا[٢].

والثاني: ترك قتل النفس المحرمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية.

والثالث: أن يعفو أولياء المقتول عن القصاص، قاله الحسن، وابن زيد، وابن قتيبة[٣].

والرابع: أنه يزجر عن قتلها وينهى.

والخامس: أن يعين الوليَّ على استيفاء القصاص؛ لأن في القصاص حياةً، ذكرهما القاضي أبو يعلى.

وفي قوله: ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ قولان:

أحدهما: فله أجر من أحيا الناس جميعًا، قاله الحسن، وابن قتيبة[٤].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٥٤) من طريق يونس، به، بلفظ: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ قَالَ: «الْعَفْوُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ».

(٢) أورده البغوي في تفسيره (٢/ ٤٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٤٣).

(٤) انظر: المصدر السابق.

والثاني: فعلى جميع الناس شكره كما لو أحياهم، ذكره الماوردي(١).

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بني إسرائيل الذين جرى ذكرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ [المائدة: ٣٣].

قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في ناسٍ من عُرينة قدموا المدينة، فاجتووها، فبعثهم رسول الله ﷺ في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا، فصحُّوا، وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم، فجيء بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمَّر أعينهم، وألقاهم بالحرَّة حتى ماتوا، ونزلت هذه الآية، رواه قتادة عن أنس(٢)، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي.

والثاني: أن قومًا من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فخيَّر الله رسوله بهذه الآية:

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢).

(٢) متفق عليه، البخاري (١٥٠٥)، ومسلم (١٦٧١).

إن شاء أن يقتلهم، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[(١)]، وبه قال الضحاك[(٢)].

والثالث: أن أصحاب أبي بُردة الأسلمي قطعوا الطريق على قوم جاءوا يريدون الإسلام، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[(٣)].

وقال ابن السائب: كان أبو بردة، واسمه هلال بن عويمر، وادع النبي ﷺ على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين لم يُهَجْ، ومن مر بهلال إلى رسول الله ﷺ لم يُهجْ، فمرَّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناسٍ من قوم هلال، فَنَهَدُوا إليهم، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، ولم يكن هلال حاضرًا، فنزلت هذه الآية[(٤)].

والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عكرمة عن ابن عباس[(٥)]، وبه قال الحسن. [١٩٣/أ]

واعلم أن ذكر «المحاربة» لله ﷻ في الآية مجاز.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٠) من طريق هشيم، عن جويبر، به.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٥٥)، وتفسير البغوي (١/ ٦٧٤)، والبحر المحيط (٤/ ١١).

(٥) تقدم قول ابن عباس، وأثر عكرمة، والحسن البصري رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦١).

وفي معناها للعلماء قولان:

أحدهما: أنه سماهم محاربين له تشبيهًا بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب. فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي.

والثاني: أن المراد: يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله.

وقال سعيد بن جبير: أراد بالمحاربة لله ورسوله الكفر بعد الإسلام[١].

وقال مقاتل: أراد بها الشرك[٢].

فأما «الفساد» فهو القتل والجراح وأخذ الأموال، وإخافة السبيل.

قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾.

اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟

فمذهب أحمد ﷺ أنها على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال[٣]، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتِلوا وصلِّبوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال[٤]، نُفوا.

قال ابن الأنباري: فعلى هذا تكون «أو» مبعِّضة، فالمعنى: بعضهم يفعل به كذا، وبعضهم كذا، ومثله قوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٢) بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٢).

(٣) في (ج): (الأموال).

(٤) من قوله: (ولم يقتلوا، قطعت أيديهم)... إلى هنا، ليس في (ج).

[البقرة:١٣٥] المعنى: قال بعضهم هذا، وقال بعضهم هذا. وهذا القول[١] اختيار أكثر اللغويين.

وقال الشافعي: إذا قتلوا وأخذوا المال[٢]، قُتِلوا وصُلِّبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال، قُتلوا ولم يُصلَّبوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقتلوا، قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف[٣].

وقال مالك: الإمام مخير في إقامة أيِّ الحدود شاء، سواء قتلوا أو لم يقتلوا، أخذوا المال أو لم يأخذوا، والصلب بعد القتل[٤].

وقال أبو حنيفة، ومالك: يُصْلب ويُبعج برمحٍ حتى يموت.

واختلفوا[٥] في مقدار زمان الصَّلب:

فعندنا[٦] أنه يُصلب بمقدار ما يشتهر صلبُه.

واختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم: ثلاثة أيام. وهو مذهب أبي حنيفة.

وقال بعضهم: يترك حتى يسيل صديده.

---

(١) في (ت): (قول).

(٢) قوله: (على عاتقه)، ليس في (ج).

(٣) انظر: الأم (٤/ ٣١٠).

(٤) انظر: الجامع لمسائل المدونة (٦/ ١٢٦).

(٥) في (ج): (واختلف أصحاب الشافعي).

(٦) في (ج): (فعنده).

قال أبو عبيدة: معنى ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أن تُقطَع يدُه اليُمنى ورجله اليسرى، يُخالَف بين قطعهما[١].

فأما «النفي» فأصله الطرد والإِبعاد.

وفي صفة نفيهم أربعة أقوال:

أحدها: إِبعادهم من بلاد الإسلام إِلى دار الحرب، قاله أنس بن مالك، والحسن، وقتادة، وهذا إِنما يكون في حق المحارب المشرك، فأما المسلم فلا ينبغي أن يُضطر إِلى ذلك.

والثاني: أن يُطلبوا لِتُقام عليهم الحدود، فيُبعدوا، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثالث: إِخراجهم مِن مدينتهم إِلى مدينة أُخرى، قاله سعيد بن جبير.

وقال مالك: ينفى إِلى بلدٍ غير بلده، فيحبس هناك. [١٩٣/ب]

والرابع: أنه الحبس، قاله أبو حنيفة وأصحابه.

وقال أصحابنا: صِفَةُ النفي: أن يُشرَّد ولا يترك يأوي في بلد، فكلما حَصَل في بلد نُفي إِلى غيره.

وفي «الخزي» قولان:

أحدهما: أنه العقاب.

والثاني: الفضيحة.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ١٦٤).

وهل يثبت لهم حكم المحاربين في المصر، أم لا؟

ظاهر كلام أصحابنا أنه لا يثبت لهم ذلك في المصر، وهو قول أبي حنيفة.

وقال الشافعي، وأبو يوسف[1]: المصر والصحارى سواء، ويعتبر في المال المأخوذ قدر نصاب، كما يُعتبر في حقِّ السَّارِقِ، خلافًا لمالك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: ٣٤].

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾.

قال أكثر المفسرين: هذا الاستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من شركهم وحربهم وفسادهم، وآمنوا قبل القدرة عليهم، فلا سبيل عليهم فيما أصابوا من مال أو دمٍ، وهذا لا خلاف فيه.

فأما المحاربون المسلمون، فاختلفوا فيهم:

ومذهب أصحابنا: أن حدود الله تسقط عنهم مِن انحتام القتل والصلب والقطع والنفي.

فأما حقوق الآدميين من الجراح والأموال، فلا تسقطها التوبة، وهذا قول الشافعي.

(١) انظر: الأم (٦/ ١٦٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٥، ٣٧].

قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

في ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها القربة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء[١].

وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه[٢].

قال أبو عبيدة: يقال: توسلت إليه، أي: تقربت إليه[٣][٤].

وأنشد[٥]:

إِذَا غَفَلَ الْوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا ... وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) ليست في (م).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٤).

(٥) البيت لجميل بن عبد الله العذري في الحماسة البصرية (٢/ ٨٨)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ١٦٤)، وتفسير ابن جرير (٨/ ٤٠٣).

والثاني: المحبة، يقول: تحببوا إلى الله، هذا قول ابن زيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾.

قال ابن السائب: نزلت في طُعمة بن أُبيرق، وقد مضت قصته في «سورة النساء»[(١)].

و﴿وَٱلسَّارِقُ﴾: إنما سُمِّي سارقًا، لأنه يأخذ الشيء في خفاءٍ، واسترق السَّمع: إذا تسمَّع مستخفيًا.

قال المبرِّد: والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء، لأنه ليس القصد منه واحدًا بعينه، وإنما هو، كقولك: مَنْ سَرَق فاقطعْ يده.

وقال ابن الأنباري: وإنما دخلت الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط، تقديره: من سرق فاقطعوا يَدَهُ.

قال الفراء: [وفي قراءة ابن مسعود: «السارقون والسارقات فاقطعوا أيمانَهما»][(٢)]، وإنما قال: فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهما لأن كلَّ شيءٍ موحَّد من خلق الإنسان إذا ذُكِرَ مضافًا إلى اثنين فصاعدًا، جُمع، تقول: قد هشمت رؤوسَهما وملأت بطونهما[(٣)]، ومثله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]،

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠٥).

(٢) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو زيادة من (ج).

(٣) ونص العبارة في معاني القرآن (١/ ٣٠٦): «قد هشمت رؤوسَهما، وملأت ظهورهما وبطونهما ضربًا».

[وإنما اختير الجمع على التثنية، لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين اثنين في الانسان: اليدين، والرجلين، والعينين، فلما جرى أكثره على هذا، ذُهِبَ بالواحد منه إذا أُضيف إلى اثنين مذهب التثنية، وقد يجوز تثنيتهما(١).

قال أبو ذؤيب(٢)[من الكامل]:

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوَافِذٍ كَنَوَافِذِ الْعُبُطِ الَّتِي لَا تُرْقَعُ](٣)

فصل

وهذه الآية اقتضت وجوب القطع على كلِّ سارق، وبينت السُّنَّة أن المراد به السارقُ لِنصابٍ(٤) من حِرْزِ مثله، كما قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ {التوبة:٥}، ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء، والصبيان، وأهل الصوامع. [١٩٤/أ]

واختُلِفَ في مقدار النصاب، فمذهب أصحابنا: أن للسرقة نصابين:

أحدهما: من الذهب ربع دينار، ومن الورق ثلاثة دراهم، أو قيمة ثلاثة دراهم(٥) مِن العروض، وهو قول مالك.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٦).

(٢) البيت في الدرر (١/ ١٥٨)، وشرح اختيارات المفضل (ص: ١٧٢٦)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ٤٠)، ولسان العرب (٦/ ٦٥)، وبلا نسبة في همع الهوامع (١/ ٥١).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(م)، و(ت)، و(ر)، وهو زيادة من (ج).

(٤) في (ت): (النصاب).

(٥) قوله: (أو قيمة ثلاثة دراهم)، ليس في (ج).

وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى تبلغ السرقة عشرة دراهم.

وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك بربع دينار، وغيره مقوَّمٌ به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قُطع، فإن سَرق نصابًا من التِّبر، فعليه القطع.

وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصابًا مضروبًا، فإن سرق[١] منديلًا لا يساوي نصابًا، في طرفه دينار، وهو لا يعلم، لا يقطع[٢].

وقال الشافعي: يقطع. فإن سرق ستارة الكعبة، قطع، خلافًا لأبي حنيفة. فإن سرق صَبيًّا صغيرًا حُرًّا، لم يقطع، وإن كان على الصغير حُلي.

وقال مالك: يقطع بكل حال.

وإذا اشترك جماعة في سرقة نصاب، قطعوا، وبه قال مالك، إلا أنه اشترط أن يكون المسروق ثقيلًا يحتاج إلى معاونة بعضهم لبعض في إخراجه.

وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا قطع عليه بحال ويجبُ القطع على جاحد العاريَّة عندنا، وبه قال سعيد بن المسيب، والليث بن سعد، خلافًا لأكثر[٣] الفقهاء.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ر): (لم يقطع).

(٣) ليست في (م).

فصل[١]

فأما الحرز، فهو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون أمتعتهم بها[٢]، فكل ذلك حِرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سُرِق من ذلك وهو مفتوح الباب، أو لا باب له إلا أنه محجَّر بالبناء. فأما ما كان في غير بناءٍ ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه.

ونقل الميموني عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان المكان مشتركًا في الدخول إليه، كالحمَّام والخيمة لم يقطع السارق منه، ولم يُعتَبَر الحافظ.

ونُقل عن ابن منصور: لا يقطع سارق الحمَّام إلا أن يكون على المتَاع أجير حافظ.

فأما النبَّاش، فقال أحمد في رواية أبي طالب: يقطع، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى.

وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة: لا يقطع.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): (فيها).

فصل

فأما موضع قطع السارق، فمن مَفْصِل الكَفِّ، ومِن مَفْصِلِ الرِّجْلِ.

فأما اليد اليسرى والرجل اليُمنى، فروي عن أحمد: لا تقطع، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي حنيفة، وروي عنه: أنها تقطع، وبه قال مالك، والشافعي.

ولا يثبت القطع إلا بإقراره مرتين، وبه قال ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وأبو يوسف.

وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: يثبت بمرة. [١٩٤/ب]

ويجتمع القطع والغرم موسِرًا كان أو معسرًا.

وقال أبو حنيفة: لا يجتمعان، فإن كانت العين باقية أخذها ربُّها، وإن كانت مستهلكة، فلا ضمان.

وقال مالك: يضمنها إن كان موسرًا، ولا شيء عليه إن كان معسرًا.

قوله: ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

قد ذكرنا «النكال» في «البقرة»[1].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٦).

قال سعيد بن جبير: شديد في انتقامه، حكيم إذا[١] حكم بالقطع[٢].

قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابيٌّ، فقلت: والله غفور رحيم، سهوًا، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم[٣]، فقال [الأعرابي][٤]: ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة: ٣٩، ٤٠].

قوله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾.

سبب نزولها:

أن امرأة كانت قد سرقت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟

---

(١) ليست في (ج).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٨٥) بلا نسبة.

(٣) من قوله: (سهوًا، فقال الأعرابي)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٤) من (ج)، و(ر).

(٥) انظر: المصدر السابق.

فنزلت هذه الآية[(١)]. قاله عبد الله بن عمرو[(٢)].

وقال سعيد بن جبير: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقته، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾ [المائدة: ٤١].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١١/ ٢٣٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤١) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو قَالَ: سَرَقَتِ امْرَأَةٌ حُلِيًّا، فَجَاءَ الَّذِينَ سَرَقَتْهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ سَرَقَتْنَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْطَعُوا يَدَهَا الْيُمْنَى» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٣٩].
وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الله بن لهيعة.
قال ابن كثير: وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت، وحديثها ثابت في الصحيحين، من رواية الزهري، عن عروة، عن عائشة. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١١١).

(٢) في (م)، و(ج): (عبد الله بن عمر).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٥٠).

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أن النبي ﷺ مرَّ بيهودي وقد حمموه وجلدوه، فقال: «**أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ**»؟ قالوا: نعم، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ: «**أَنْشُدُكَ اللهَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى** ؑ، **هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ**»؟ قال: لا، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا نترك الشريف، ونُقيمه على الوضيع، فقلنا: تعالوا نُجْمِع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع[1]، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**» فأَمَرَ به فرُجم، ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب[2].

والثاني: أنها نزلت في ابن صوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروي عن أبي هريرة[3].

والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهوديًا، ثم قال: سلوا محمدًا فإن كان بُعِثَ بالدِّية، اختصمنا إليه، وإن كان بُعث بالقتل، لم نأته، قاله الشعبي[4].

---

(١) من قوله: (فقلنا: تعالوا نجمع)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٧٠٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤١٤) من طريق الزهري، عن رجل من مزينة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، مرفوعًا، بلفظ مطول، وهو منقطع، انظر: نصب الراية (٤/ ١٠٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ٤١٣)، وابن أبي حاتم (٤٥٤٤) في تفسيرهما من طريق زكريا بن أبي زائدة، به، بنحوه.

والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس، ومجاهد[(١)].

والخامس: أن رجلًا من الأنصار أشارت إليه قريظة يوم حِصارهم: على ماذا ننزل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبح، قاله السدي[(٢)].

قال مقاتل: هو أبو لبابة بن عبد المنذر، قالت له قريظة: أننزل [١٩٥/أ] على حُكم سعدٍ؟ فأشار بيده: أنه الذَّبح، وكان حليفًا لهم. قال أبو لبابة: فعلمت أني قد خُنتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية[(٣)].

ومعنى الكلام: لا يحزنك مسارعة الذي يُسارِعُون في الكفر من الذين قالوا آمنَّا بأفواههم وهم المنافقون، ومن الذين هادوا وهم اليهود.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ قال سيبويه: هو مرفوعٌ بالابتداء.

قال أبو الحسن الأخفش: ويجوز أن يكونَ رفعُه على معنى: ومن الذين هادوا سماعون للكذب[(٤)].

وفي معناه أربعة أقوال:

أحدها: سماعون منك ليكذبوا عليك.

والثاني: سماعون للكذب، أي: قائلون له.

والثالث: سماعون للكذب الذي بدَّلوه في توراتهم.

---

(١) قوله: (ومجاهد)، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤١٣) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٨١).

والرابع: سماعون للكذب، أي قابلون له، ومنه: «سمع الله لمن حمده» أي: قبل.

وفي قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾ قولان:

أحدهما: يسمعون لأولئك، فهم عيونٌ لهم.

والثاني: سماعون من قوم آخرين، وهم رؤساؤهم المبدِّلون التوراة.

وفي السَّماعين للكذب، وللقوم الآخرين قولان:

أحدهما: أن «السَّماعين للكذب» يهود المدينة، والقوم الآخرون الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ[1] يهود فدَك.

والثاني: بالعكس من هذا.

وفي تحريفهم الكلم خمسة أقوال:

أحدها: أنه تغيير حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غيَّروا الرَّجم، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: تغيير ما يسمعونه من النبي ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن.

والثالث: إِخفاء صفة النبي ﷺ.

والرابع: إِسقاط القود بعد استحقاقه.

والخامس: سوء التأويل.

---

(١) قوله: (الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ)، ليس في (م).

وقال ابن جرير: المعنى يُحرِّفون حكم[١] الكلم، فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين بذلك[٢].

قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

قال الزجاج: أي من بعد أن وَضَعه الله مواضعه، فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه[٣].

قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾.

في القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلًا وامرأةً من أشرافهم زنيا، وكان حدهما الرَّجم، فكرهت اليهود رجمهما، فبعثوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن قضائه في الزانيين إذا أُحصِنَا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور.

والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعطون قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قتلت[٤] قريظة من [بني][٥] النضير لم يَرْضوا إلا بالقود تعززًا عليهم، فقتل بنو [١٩٥/ ب]

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٢٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٥).

(٤) في (ت): (فعلت).

(٥) زيادة من (م)، و(ج).

النضير رجلاً من قريظة عمدًا، فأرادوا رفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن قتيلكم قتيل عمد، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيتُ عليكم القود، فإن قُبِلَتْ منكم الدِّية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر[١].

وفي معنى ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: فاحذروا أن تعملوا بقوله الشديد.

والثاني: فاحذروا أن تُطْلِعُوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به.

والثالث: فاحذروا أن تسألوه بعدها.

قوله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾.

في «الفتنة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: العذاب، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج[٢].

قوله: ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ من حزنه على مسارعتهم في الكفر.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٢٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٦).

قوله: ﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

قال السدي: يعني المنافقين واليهود، لم يُرِدْ أن يطهر قلوبهم من دَنَسِ الكُفر، ووَسَخ الشِّرك بطهارة الإِيمان والإِسلام[١].

قوله: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾.

أما خزي المنافقين، فبهتك سترهم وإِطلاع النبي على كفرهم، وخزي اليهود بفضيحتهم في إِظهار كذبهم إِذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم.

قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسبيهم، وخزي النضير بإجلائهم[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾.

قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذبُ عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها[٣].

---

(١) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٢٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٢٨).

وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب[١]، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم.

قوله: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: «السُّحُتُ» مضمومة الحاء مثقَّلة.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة «السُّحْتُ»[٢] ساكنة الحاء خفيفة.

وروى خارجة بن مصعب عن نافع: «أكَّالون للسَّحْت» بفتح السين وجزم الحاء[٣].

قال أبو علي: السُّحْت والسُّحُتُ لغتان، وهما اسمان للشيء المسحوت، وليسا بالمصدر، فأما من فتح السين، فهو مصدر سحتٍ[٤]، فأوقع اسم المصدر على المسحوت، كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير[٥].

وفي المراد بـ «السحت» ثلاثة أقوال:

أحدها: الرشوة في الحكم.

---

(١) في (م): (كاهن).

(٢) من قوله: (السحت مضمومة الحاء مثقلة)... إلى هنا، ليست في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢٢١)، والتيسير (ص: ٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥).

(٤) ليست في (ت).

(٥) انظر: الحجة (٣/ ٢٢٢).

والثاني: الرشوة في الدين، والقولان عن ابن مسعود.

والثالث: أنه كل كسب لا يحل، قاله الأخفش[١].

قوله: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

فيمن أُريد بهذا الكلام قولان: [١٩٦/أ]

أحدهما: اليهوديان اللذان زنيا، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي.

والثاني: رجلان من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر، قاله قتادة.

وقال ابن زيد: كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيري ديتين، وللقرظي دية، لأنه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حُيي، ونتحاكم إلى محمد، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ الآية[٢].

فصل

اختلف علماء المفسِّرين[٣] في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة، وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النبي ﷺ كان مخيَّرًا، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩] فلزمه الحكم، وزال التخيير، وهذا مروي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والسدي.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٦٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٣٨).

(٣) في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر): (التفسير).

والثـاني: أنهـا محكمـة، وأن الإمـام ونوابـه في الحكـم مخيَّرون إذا ترافعـوا إليهـم، إن شـاؤوا حكمـوا بينهـم، وإن شـاؤوا أعرضـوا عنهـم، وهـذا مـروي عـن الحسـن، [والسـدي](١)، والشـعبي، والنخعـي، والزهـري، وبـه قـال أحمد بـن حنبـل، وهـو الصحيـح، لأنـه لا تنـافي بـين الآيتـين، لأن إحداهمـا: خـيَّرت بـين الحكـم وتركـه. والثانيـة: بينـت كيفيـة الحكـم إذا كان.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المائـدة: ٤٣].

قوله: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾.

قـال المفسِّرون: هـذا تعجيـب مـن الله ﷻ لنبيه مـن تحكيـم اليهود إيـاهُ بعد علمهـم بـما في التوراة من حكم ما تحاكمـوا إليه فيه، وتقريع لليهـود إذ يتحاكمون إلى مَـن يجحدون نبوتـه، ويتركون حكم التـوراة التي يعتقـدون صحتها.

قوله: ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: حكم الله بالرجم، وفيه تحاكموا، قاله الحسن.

والثاني: حكمه بالقود(٢)، وفيه تحاكموا، قاله قتادة.

قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾.

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) في (ر): (والثاني: في حكم العرب).

فيه قولان:

أحدهما: من بعد حكم الله في التوراة.

والثاني: من بعد تحكيمك.

وفي قوله: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قولان:

أحدهما: ليسوا بمؤمنين لتحريفهم التوراة.

والثاني: ليسوا بمؤمنين أن حكمك من عند الله لجحدهم نبوَّتك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾.

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية[١]: استفتاء اليهود رسول الله ﷺ في أمر الزانيين، وقد سبق.

و«الهدى»: البيان. فالتوراة مبيِّنة صحة نبوَّة محمد ﷺ، ومبينة ما تحاكموا فيه إليه.

و«النور»: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح للمشكلات.

(١) في (ر): (سبب نزولها).

وفي «النبيين الذين أسلموا» ثلاثة أقوال:

[١٩٦/ب] **أحدها**: أنهم الأنبياء من لَدُنْ موسى إلى عيسى، قاله الأكثرون.

فعلى هذا القول في معنى «أسلموا» أربعة[1] أقوال:

أحدها: سلموا لحكم الله، ورضوا بقضائه.

والثاني: انقادوا لحكم الله، فلم يكتموه كما كتم هؤلاء.

والثالث: أسلموا[2] أنفسهم إلى الله ﷻ.

والرابع: أسلموا لما[3] في التوراة ودانوا بها، لأنه قد كان فيهم من لم يعمل بكل ما فيها كعيسى ﵇.

قال ابن الأنباري: وفي «المسلم» قولان:

أحدهما: أنه سُمّي بذلك لاستسلامه وانقياده لربه.

والثاني: لإخلاصه لربه، من قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر:٢٩] أي: خالصًا له.

والثاني: أن المراد بالنبيين نبينا محمد ﷺ، قاله الحسن، والسدي. وذلك حين حكم على اليهود بالرجم، وذكره بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤].

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ت)، و(ر): (سلموا).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

وفي الذي حكم به منها قولان:

أحدهما: الرجم والقود.

والثاني: الحكم بسائرها ما لم يرد في شرعه ما يخالف.

والثالث: النبي محمد ﷺ، ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، قاله عكرمة.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

قال ابن عباس: تابوا من الكفر[(١)].

قال الحسن: هم اليهود[(٢)].

قال الزجاج: ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير. على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونورٌ للذين هادوا، يحكم بها النبيون الذين أسلموا[(٣)].

فأما «الربانيون» فقد سبق ذكرهم في «آل عمران»[(٤)].

وأما «الأحبار» فهم العلماء واحدهم حَبر وحِبر، والجمع أحبار وحبور.

وقال الفراء: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأحبار: حِبر بكسر الحاء[(٥)].

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٨).

(٤) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٤٦).

(٥) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٢).

وفي اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الحَبار وهو الأثر الحسن، قاله الخليل(١).

والثاني: أنه من الحِبر الذي يكتب به، قاله الكسائي(٢).

والثالث: أنه من الحبر الذي هو الجمال والبهاء، وفي الحديث: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ»(٣). أي: جماله وبهاؤه؛ فالعالم بَهِيٌّ بجمال العلم، وهذا قول قطرب.

وهل بين الربانيين والأحبار فَرْق أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: لا فرق، والكلُّ العلماء، هذا قول الأكثرين، منهم ابن قتيبة، والزجاج(٤).

وقد روي عن مجاهد أنه قال: «الربانيون»: الفُقهاء العُلماء، وهم فوق الأحبار(٥).

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) لا أصل له بهذا اللفظ، ولكن جاء عن ابن جرير الطبري (١٩/ ٥٤٨) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾ قَالَ: «وَاللهِ لَوْلَا أَنَّهُ عَرَّفَهُ مَا عَرَفَهُ، لَقَدْ غَيَّرَتِ النَّارُ حِبْرَهُ وَسِبْرَهُ».

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٨).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

وقال السدي: «الربانيون»: العلماء، و«الأحبار»: القُرَّاء[1].

وقال ابن زيد: «الربانيون»: الولاة، و«الأحبار»: العُلماء، وقيل: «الربانيون»: علماء النصارى، و«الأحبار»: علماء[2] اليهود[3].

قوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: بما استودعوا من كتاب الله وهو التوراة[4].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: يحكمون بحكم ما استحفظوا.

والثاني: العلماء بما استحفظوا.

قال ابن جرير: «الباء» في قوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ من صلة الأحبار[5]. [١٩٧/أ]

وفي قوله: ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ قولان:

أحدهما: وكانوا على ما في التوراة من الرَّجم شهداء، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٢).

(٢) قوله: (وقيل: «الربانيون»: علماء النصارى، و«الأحبار»: علماء)، سقط من (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٤) من طريق ابن وهب، به.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٩٠).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٤).

والثاني: وكانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قال أنه حق. رواه العوفي عن ابن عباس.

قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، وابن عامر، والكسائي: «واخشون» بغير ياء في الوصل والوقف.

وقرأ أبو عمرو بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف[١].

وكلاهما حسنٌ، وقد أشرنا إلى هذا في «سورة[٢] آل عمران».

ثم في المخاطبين بهذا قولان.

أحدهما: أنهم رؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد ﷺ، والعمل بالرجم، واخشوني في كتمان ذلك، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس.

قال مقاتل: الخطاب ليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرجم، ونعت محمد ﷺ، واخشوني في كتمانه[٣].

والثاني: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تخشوا الناس، كما خشيت اليهود الناس، فلم يقولوا[٤] الحق، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢١٨)، والتيسر (ص: ١٠١)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

(٢) ليست في (م)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٩).

(٤) في الأصل: (يفعلوا)، والمثبت من بقية النسخ.

قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

في المراد بالآيات قولان:

أحدهما: أنها صفة محمد ﷺ والقرآن.

والثاني[١]: الأحكام والفرائض. والثمن القليل مذكور في «البقرة»[٢].

فأما قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقوله بعدها: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة، رواه عبيد الله بن عبد الله[٣] عن ابن عباس، وبه قال قتادة[٤].

والثاني: أنها نزلت في المسلمين، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا المعنى.

والثالث: أنها عامة في اليهود[٥]، وفي هذه الأمَّة، قاله ابن مسعود[٦]، والحسن، والنخعي، والسدي.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٤١).

(٣) قوله: (بن عبد الله)، ليس في (ج).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٦٠).

(٥) في (م): (والثالث: أنها على العموم وفي اليهود)، وفي (ر): (والثالث: أنهن على العموم في اليهود).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦١) بلفظ مطول.

والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، قاله أبو مجلز[١].

والخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، قاله الشعبي[٢].

وفي المراد بالكفر المذكور في الآية الأولى قولان:

أحدهما: أنه الكفر بالله تعالى.

والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملَّة.

وفصل الخطاب:

أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر.

ومن لم يحكم به ميلًا إِلى الهوى[٣] من غير[٤] جحود، فهو ظالم[٥] وفاسِق.

وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومَن أقرَّ به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم[٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦٢).

(٣) في (ج): (ميلاً إلى اليهود).

(٤) ليست في (ر).

(٥) قوله: (فهو ظالم)، ليس في (م).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ أي: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿فِيهَآ﴾ أي: [١٩٧/ ب] في التوراة.

قال ابن عباس: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ فما بالهم يخالفون، فيقتلون النفسين[(١)] بالنفس، ويفقئون العينين[(٢)] بالعين، وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو، وليس بينهم دية في نفس ولا جُرح، فخفف الله عن أُمة محمد بالدية[(٣)].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ ينصبون ذلك كلَّه[(٤)]، ويرفعون «والجروحُ».

---

(١) في (م)، و(ر): (النفس)!.

(٢) في (م)، و(ر): (العين)!.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٤) في (م): (مقصور ذلك كله).

وكان نافع، وعاصم، وحمزة[١] ينصبون ذلك كلَّه[٢][٣].

وكان الكسائي يقرأ: «أن النفس بالنفس» نصبًا، ويرفع ما بعد ذلك[٤].

قال أبو علي: وحجته أن الواو لعطف الجُمل، لا للاشتراك في العامل، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى، لأن معنى: وكتبنا عليهم: قلنا لهم: النفس بالنفس، فحمل العين على هذا، وهذه حجة من رفع الجروح. ويجوز أن يكون مستأنفًا، لا أنه مما كُتب على القوم، وإنما هو ابتداء إيجاب[٥].

قال القاضي أبو يعلى: وقوله: ﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ ليس المراد قلع العين بالعين، لتَعذُّر استيفاء المماثلة، لأنا لا نقف على الحدِّ الذي يجب قلعه، وإنما يجب فيما ذهب ضوؤها وهي قائمةٌ، وصفة ذلك أن تُشدَّ عين القالع، وتُحمى مرآة، فتقدَّم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها. وأما الأنف فإذا قطع المارن، وهو ما لان منه، وتركت قصبته، ففيه القصاص، وأما إذا قطع من أصله، فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن استيفاء القصاص، كما لو قطع يده من نصف الساعد.

وقال أبو يوسف، ومحمد: فيه القصاص إذا استوعب.

---

(١) في (ج): (وكان عاصم، وحمزة).

(٢) من قوله: (ويرفعون «والجروح»).. إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٤)، والحجة (٣/ ٢٢٣)، والمبسوط (١/ ١٨٥).

(٤) انظر: الحاشية السابقة.

(٥) الحجة (٣/ ٢٢٣).

وأما الأُذن، فيجب القصاص إذا استُوعِبَت، وعرف المقدار.

وليس في عظمٍ قصاص إلا في السن، فإن قلعت قلع مثلها، وإن كُسِرَ بعضُها، برد بمقدار ذلك.

وقوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

يقتضي إيجاب القصاص في سائِر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها.

قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يشير إلى القصاص ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

في هاء «له» قولان:

أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدَّق بالقصاص كُفِّر من ذنوبه، وهذا قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والحسن، والشعبي.

والثاني: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كُفِّر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل.

وهو محمول على أن الجاني تاب من جنايته، لأنه إذا كان مُصرًّا فعقوبة الإصرار باقية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

[١٩٩/أ] قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: وأتبعنا على آثار النَّبيِّين الذين أسلموا ﴿بِعِيسَى﴾ فجعلناه يقفو آثارهم ﴿مُصَدِّقًا﴾ أي: بعثناه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ[(١)] وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ ليس هذا تكرار للأوَّل، لأنَّ الأوَّل لعيسى، والثَّاني للإنجيل، لأنَّ عيسى[(٢)] كان يدعو إلى التَّصديق بالتَّوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التَّصديق بالتَّوراة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾.

قرأ الأكثرون[(٣)] بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه.

وقرأ الأعمش، وحمزة بكسر اللام، [وفتح الميم][(٤)] على معنى «كي»[(٥)]. فكأنه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

---

(١) ليست في (م)، و(ر).

(٢) قوله: (والثاني للإنجيل، لأن عيسى)، ليس في (ر).

(٣) في (ج): (والأكثرون يقرؤون).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٢٧)، والتَّيسير (١/ ٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥)، وإعراب القرآن؛ للنَّحاس (١/ ٢٧٠)، والمحرر الوجيز (٢/ ١٩٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: يريد كلَّ كتاب أنزله الله تعالى(١).

وفي «المهيمن» أربعة أقوال:

أحدها: أنه المؤيمن، رواه التَّميمي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيد بن جُبَيْر، وعكرمة، وعطاء، والضَّحَّاك.

وقال المبرِّد: «مهيمن» في معنى: «مؤيمن» إلا أن الهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: أرقت الماء، وهرقت، وإِيَّاك وهِيَّاك(٢).

وأرباب هذا القول يقولون: المعنى: أن القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب، إلا أن ابن أبي نجيح روى عن مجاهد: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال:

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٤٦٩) بلفظ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، شَاهِدٌ عَلَى التَّوراة وَالْإِنْجِيلِ، مُصَدِّقًا لَهُمَا ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ يَعْنِي: «أَمِينًا عَلَيْهِ، يَحْكُمُ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ».

(٢) انظر: الزَّاهر؛ لابن الأنباريِّ (١/ ٨٦)، وأمالي ابن الشَّجري (٣/ ١٢٢).

محمد مؤتمن على القرآن[١].

فعلى قوله، في الكلام محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيمنًا عليه[٢]، فتكون هاء ﴿عَلَيْهِ﴾ راجعة إلى القرآن.

وعلى غير قول مجاهد يرجع[٣] إلى الكتب المتقدِّمة.

والثَّاني: أنه الشَّاهد، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، وقتادة، والسُّدِّي، ومقاتل.

والثَّالث: أنه المصدِّق على ما أخبر عن الكتب، وهذا قول ابن زيد، وهو قريبٌ من القول الأوَّل.

والرَّابع: أنه الرَّقيب الحافظ، قاله الخليل[٤].

قوله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ يشير إلى اليهود ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

قال أبو سليمان الدِّمشقي[٥]: المعنى: فترجع عما جاءك.

قال ابن عبَّاسٍ: لا تأخذ بأهوائِهم في جَلد المُحصَن.

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٤٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

(٢) ليست في (م).

(٣) ليست في (ت)، و(ر)، وفي (ج)، و(م): (ترجع).

(٤) انظر: العين (٥/ ١٥٥).

(٥) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

قال مجاهد: «الشِّرعة»: السُّنَّة، و«المنهاج»: الطَّريق[١].

وقال ابن قُتَيْبة: «الشِّرْعَةَ» و«الشَّرِيعة» واحد، و«المِنْهَاجُ»: الطَّريق الواضح[٢].

فإن قيل: كيف نسق «المنهاج» على «الشِّرعة» فكلاهما[٣] بمعنى [واحد][٤]؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن بينهما فرقًا من وجهين:

أحدهما: أن «الشِّرْعَة» ابتداء الطَّريق، و«المِنْهَاجُ»: الطَّريق المستمر، قاله المبرِّد[٥].

والثَّاني: أن «الشِّرْعَة» الطَّريق الذي ربَّما كان واضحًا، وربَّما كان غير واضح، و«المِنْهَاجُ»: [الطَّريق][٦] الذي لا يكون إلا واضحًا، ذكره ابن الأنباريِّ[٧]. [١٩٩/ب]

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٤٩٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٤).

(٣) في (ج)، و(ر): (وكلاهما).

(٤) زيادة من (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزَّجَّاج (٢/ ١٨٥)، وتهذيب اللُّغة؛ للأزهري (١/ ٢٧٠)، ومعاني القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٣١٩).

(٦) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٧) انظر: تفسير البحر المحيط؛ لأبي حيَّان (٤/ ٢٨٤).

فلما وقع الاختلاف بين «الشِّرْعَة» و«المِنْهَاج»، حَسُنَ نسق أحدهما على الآخر.

والثَّاني: أن «الشِّرْعَة» و«المِنْهَاج» بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين.

قال الحطيئة(١) [من الطويل]:

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالبُعْدُ

فنسق البُعد على النَّأي لما خالفه في اللفظ، وإن كان موافقًا له في المعنى، ذكره ابن الأنباريِّ.

وأجاب عنه أربابُ القول الأوَّل، فقالوا: «النَّأي» كلُّ ما قلَّ بعده أو كثُر كأنه المفارقة، والبعد إنما يُستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته.

وللمفسِّرين في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لكلِّ ملَّة جعلنا شرعةً ومنهاجًا، فلأهل(٢) التَّوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، [و](٣) هذا قول الأكثرين.

---

(١) انظر: ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السِّكيت (ص:٧١)، ولسان العرب (٣/ ٢٢٣) (سند)، وفي (١٥/ ٣٠٠) (نأي)؛ والبيت بلا نسبة في شرح المفصَّل (١/ ٥٤).

(٢) في (ر): (ولأهل).

(٣) زيادة من (ج).

قال قتادة: الخطاب للأمم الثَّلاث: أمةِ موسى، وعيسى، ومحمد، فللتَّوراة شريعة[١]، وللإنجيل شريعة، وللفرقان[٢] شريعة، يُحِلُّ الله فيها ما يشاء، [ويُحرِّم فيها ما شاء][٣]، ويحرِّم ابتلاءً[٤]، ليعلمَ من يطيعه ممن يعصيه، والدِّين واحد الذي لا يُقبل غيره، التَّوحيدُ والإخلاصُ لله الذي جاءت به الرُّسل[٥].

والثَّاني: أن المعنى: لكلٍّ مَن دخل في دين محمَّد جعلنا القرآن شرعةً[٦] ومنهاجًا، هذا قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لجمعكم على الحقِّ.

والثَّاني: لجعلكم على ملَّةٍ واحدةٍ.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الكتب، وبيَّن لكم من الملل.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (وللقرآن).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (بلاءً).

(٥) رواه عبد بن حميد كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٩٦)، وابن جرير الطَّبري (٨/ ٤٩٣)، وابن أبي حاتم (٦٤٨٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٦) في (ج): (شريعة).

فإن قيل: إذا كان المعنيُّ بقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ نبيَّنا محمدًا مع سائر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾؟

فالجواب: أنه خطاب لنبيِّنا، والمراد به سائِر الأنبياء والأمم.

قال[1] ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائبًا، فأرادت الخبر عنه أن تغلِّب المخاطَب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب[2].

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ[3]، والضَّحَّاك[4]: هو خطابٌ لأمة محمد ﷺ.

قال مقاتل: و«الخيرات»: الأعمال الصالحة[5].

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدِّين.

قال ابن جرير: قد بيَّن ذلك في الدُّنيا بالأدلَّة والحجج، وغدًا يبيِّنه بالمجازاة[6].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

---

(١) في الأصل: (قاله)، والمثبت من بقية النُّسخ.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٤٩٩).

(٣) لم نقف على هذا المعنى عنه ﷺ.

(٤) رواه سعيد بن منصور في التَّفسير (٢٢٨)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٤٩١).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص:٤٨٢).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٠٠).

قوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ جماعة من اليهود منهم كعب بن أَسِيد، وعبد الله بن صُوريا، وَشَأسُ بْنُ قَيْسٍ، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، [لعلَّنا][1] نَفْتِنهُ عَنْ دِينِهِ، فأتَوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفتَ أنَّا أحبارُ اليهود وأشرافُهم، وأنَّا إن[2] اتَّبَعْنَاكَ، اتَّبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة[3]، فَنُحَاكِمُهُمْ إِلَيْكَ، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى [٢٠٠/أ] ذلك رسول الله ﷺ، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عبَّاسٍ[4].

وذكر مقاتل: أنَّ جماعة[5] من بني النَّضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدُّنيا[6]، كما كنَّا عليه من قبلُ، ونبايعك؟ فنزلت هذه الآية[7].

---

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) قوله: (وبين قوم خصومة)، ليس في (ت)، وقوله: (قوم خصومة) ليس في (ر).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم (٦٤٩٤) في تفسيرهما.

(٥) في (م): (وذكر جماعة).

(٦) في (م)، و(ر)، والنسخة المطبوعة من تفسير مقاتل: (الدِّماء).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٤٨٣).

قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكرارًا لما تقدَّم، وإنما نزلتا في سببين[١] مختلفين[٢]:

أحدهما: في شأن الرَّجم.

والأخرى: في التَّسوية في الدِّيات حتى[٣] تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾ أي: يصرفوك ﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه الرَّجم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: شأن القصاص والدِّماء، قاله مقاتل[٤].

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: عن حكمك.

والثَّاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذِّبهم ببعض ذنوبهم.

---

(١) في (ت)، و(ج)، و(ر): (شيئين).

(٢) في (ت)، و(ر): (المختلفين).

(٣) في (ت)، و(ر): (حين).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٣٨٥).

وفي(١) ذكر البعض(٢) قولان:

أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما(٣) يصيبهم ببعض(٤) ما يستحقُّونه.

والثَّاني: أن المراد به الكلُّ، كما يُذكر لفظ الواحد ويراد به الجماعة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق:١] والمراد: جميع المسلمين.

وقال الحسن: أراد ما عجَّله من إجلاء بني النَّضير وقتل بني قريظة(٥).

قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ قال المفسِّرون: أراد اليهود.

وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: الكفر، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: الكذب، قاله ابن زيد.

والثَّالث: المعاصي، قاله مقاتل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

قوله: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾.

---

(١) في (ج): (في).

(٢) في (ت)، و(ر): (وفي بعض).

(٣) في (ر): (وأنَّ ما).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: أحكام القرآن؛ لأبي بكر الجصَّاص (٤/ ٩٩).

قرأ الجمهور: «يَبْغُونَ»[(١)] بالياء، لأن قبله غيبة، وهي قوله تعالى[(٢)]: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

وقرأ ابن عامر[(٣)]: «تَبْغُونَ»[(٤)] بالتاء، على معنى: قل لهم[(٥)].

وسبب نزولها:

أن النَّبيَّ ﷺ لما حكم بالرَّجم على اليهوديَّين تعلَّق بنو قريظة ببني النَّضير، وقالوا: يا محمد هؤلاء إِخواننا، أبونا واحد، وديننا واحد، إِذا قتلوا منا قتيلًا أعطونا سبعين وسقًا من تمر، وإِن قتلنا منهم واحدًا أخذوا منا أربعين ومائة وسق، وإِن قتلنا منهم رجلًا قتلوا به رجلين، وإِن قتلنا امرأةً قتلوا بها رجلًا، فاقض بيننا بالعدل، فقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ لِبَنِي النَّضِيرِ عَلَى بَنِي قُرَيظَةَ فَضْلٌ فِي عَقْلٍ وَلَا دَمٍ**»، فقال بنو النَّضير: والله لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولنأخذنَّ بأمرنا الأوَّل، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[(٦)].

---

(١) قوله: (قرأ الجمهور: يبغون)، ليس في (ج).

(٢) قوله: (وهي قوله تعالى)، ليس في (م).

(٣) في (م): (ابن عباس).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة؛ لابن مجاهد (١/ ٢٤٤)، والحجَّة؛ لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٢٨)، والمبسوط؛ للنَّيسابوري (١/ ١٨٦).

(٦) ذكره بمعناه بلا نسبة مقاتل بن سليمان في تفسيره (ص: ٤٨٠) مختصرًا، والبغوي في معالم التَّنزيل (١/ ٤٦٥).

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: أتطلب اليهود حكمًا لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب الله، كما تفعل[1] الجاهلية؟!(٢). [٢٠٠/ب]

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ قال ابن عبَّاسٍ: ومن أعدل؟!.

وفي قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يوقنون بالقرآن، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: يوقنون بالله، قاله مقاتل.

وقال الزَّجَّاج: من أيقن تبيَّن عدلَ الله في حكمه[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾.

في[4] سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي لُبابة حين قال لبني قريظة إذ رضوا بحكم سعد: إنه الذَّبح، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وهو قول عكرمة[5].

---

(١) في (ج)، و(م): (يفعل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٤) ليست في (ج)، و(ر).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في التَّفسير (٨/ ٥٠٦)، وابن المنذر كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٩٩).

والثَّاني: أن عُبادة بن الصَّامت قال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود، وإني أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فقال عبد الله بن أُبيٍّ: إنِّي رجلٌ أخاف الدَّوائر، ولا أبرأ [إلى الله][1] من[2] ولاية يهود، فنزلت هذه الآية، قاله عطيَّة[3] العَوْفي[4][5].

والثَّالث: أنه لما كانت وقعة أُحد خافت طائفةٌ من النَّاس أن يُدال عليهم الكُفَّارُ، فقال رجل لصاحبه: أمَّا أنا فألحق بفلان اليهودي، فآخذ منه أمانًا، أو أتهوَّد معه، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّي[6]، ومقاتل[7].

قال الزَّجَّاج: لا تتولَّوهم في الدِّين[8].

وقال غيره: لا تستنصروا بهم، ولا تستعينوا بهم[9]، ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ في العون والنُّصرة.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) في (ج)، و(م): (عطاء).

(٤) ليست في (ت)، و(ر)، وفي (م): (والعوفي).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٠١)، و ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٠٤).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٠٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٠٧) من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص:٤٨٣).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٩) ليست في (ت)، و(ج)، و(ر).

قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: من يتولَّهم في الدِّين، فإنه منهم في الكفر.

والثَّاني: من يتولَّهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥٢].

قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ قال المفسِّرون: نزلت في المنافقين.

ثم لهم في ذلك قولان:

أحدهما: أن اليهود والنَّصارى كانوا يميرون المنافقين ويقرضونهم فيوادُّونهم[1]، فلمَّا نزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ[2]﴾ قال المنافقون[3]: كيف نقطع مودَّة قوم إن أصابتنا سنة وسَّعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس.

---

(١) في (ج): (ويوادُّونهم).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (م): (كان المنافقون قالوا).

وممن قال: نزلت في المنافقين، ولم يعيِّن[١]: مجاهد[٢]، وقتادة[٣].

والثَّاني: أنها نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ، قاله عطيَّة العَوْفي[٤].

وفي المراد بالمرض[٥] قولان:

أحدهما: أنه الشَّك، قاله مقاتل[٦].

والثَّاني: النِّفاق، قاله الزَّجَّاج[٧].

وفي قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يسارعون في موالاتهم ومناصحتهم، قاله مجاهد، وقتادة.

والثَّاني: في رضاهم، قاله ابن قُتَيْبة[٨].

والثَّالث: في معاونتهم على المسلمين، قاله الزَّجَّاج[٩].

---

(١) في (ج): (ولم يعيره).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥١١)، وابن أبي حاتم كذلك في تفسيره (٦٥١٩) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥١٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ر): (وفي المرض).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص:٤٨٤).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٨) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

وفي المراد «بالدَّائرة» قولان:

أحدهما: الجدب والمجاعة، قاله ابن عبَّاسٍ.

قال ابن قُتَيْبة: نخشى أن يدور علينا الدَّهرُ بمكروه، يعنون الجَدْب، فلا يُبَايِعُونَنَا، ونَمْتَارُ فيهم فلا يميروننا[1][2].

والثَّاني: انقلاب الدَّولة لليهود على المسلمين، قاله مقاتل[3].

وفي المراد بالفتح أربعة[4] أقوال: [٢٠١/أ]

أحدها: فتح مكَّة، قاله ابن عبَّاسٍ، والسُّدِّي.

والثَّاني: فتح قرى اليهود، قاله الضَّحَّاك.

والثَّالث: نصر النَّبيِّ ﷺ على مَن خالفه، قاله قتادة، والزَّجَّاج[5].

والرَّابع: الفَرَج، قاله ابن قُتَيْبة[6].

وفي الأمر أربعة أقوال:

أحدها: إجلاء بني النَّضير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي ذراريهم، قاله ابن السَّائب، ومقاتل.

---

(١) في (ت): (فلا يبايعوننا، ولا يميروننا)، وفي (ج): (فلا يبايعونا، ولا يميرونا)، وفي (م): (فلا يبايعونا، ولا يميروننا)، وفي (ر): (فلا يبايعولنا، ولا يميروننا).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٤).

(٤) في (ج): (ثلاثة).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

والثَّاني: الجزية، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: الخصب، قاله ابن قُتَيْبة[١].

والرَّابع: أن يأمر النَّبيَّ ﷺ بإظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزَّجَّاج[٢].

وفيما ﴿أَسَرُّوا﴾ قولان:

أحدهما: موالاتهم.

والثَّاني: قولهم: لعلَّ محمَّدًا لا[٣] ينصر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ۝٥٣﴾ [المائدة: ٥٣].

قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

قرأ أبو عمرو، بنصب اللام على معنى[٤]: وعسى أنْ يَقُولَ[٥].

ورفعه الباقون، فجعلوا الكلام مستأنفًا[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٣) في (ج): (ما).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، والحجَّة (١/ ١٣١)، ومعاني القراءات (١/ ٣٣٣).

(٦) قال أبو علي الفارسي: فالحجة لمن رفع: أنه ابتدأ بالفعل فأعربه بما وجب له بلفظ المضارعة. اهـ. الحجَّة (١/ ١٣١-١٣٢).

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «يقولُ»، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكَّة والمدينة[١].

قال المفسِّرون: لَّما أجلى رسول الله ﷺ بني النَّضير، اشتدَّ ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسَّفون على فراقهم، وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جادًّا في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك[٢]؟ فلما قُتلت قريظة، لم يُطق أحدٌ من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعمائة حُصِدوا في ليلةٍ، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾[٣] يعنون[٤] المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: أغلظوا في الأيمان[٥].

وقال مقاتل: ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ القسم بالله[٦].

وقال[٧] الزَّجَّاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ﴾ على عدوِّكم[٨] ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بنفاقهم[٩].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، ومعاني القراءات (١/ ٣٣٣).

(٢) في (ت): (أشبعوك).

(٣) في (ج): (هؤلاء).

(٤) ليست في (ج).

(٥) أورده الواحدي في التَّفسير الوسيط (٣/ ٦٢).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٥).

(٧) في الأصل: (فقال)، والمثبت من بقية النُّسخ.

(٨) في (م): (عدوِّهم).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكِسَائِي: يرتدَّ، بإدغام الدَّال الأولى في الأخرى.

وقرأ نافع، وابن عامر: «يرتدد»، بدالين(١)(٢).

قال الزَّجَّاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثَّاني إذا سُكِّن مِن المضاعف، ظهر التَّضعيف. فأما «يرتدَّ» فأدغمت الدَّال الأولى في الثَّانية، وحرِّكت الثَّانية بالفتح، لالتقاء السَّاكنين(٣).

قال الحسن: علم الله أن قومًا يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيِّهم ﷺ، فأخبرهم أنه سيأتي ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٤).

---

(١) في (ت): (بالدالين).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، والحجَّة (١/ ١٣٢)، والمبسوط (١/ ١٨٦)، قال أبو علي الفارسي: يُقرأُ بالإدغام والفتح، وبالإظهار والجزم. فالحجة لمن أدغم: أنه لغة أهل الحجاز؛ لأنهم يدغمون الأفعال لثقلها كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾، ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾، ليفرِّقوا بذلك بين الاسم والفعل.
والحجَّة لمن أظهر: أنه أتى بالكلام على الأصل، ورغب - مع موافقة اللُّغة - في الثواب إذ كان له بكل حرف عشر حسنات.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٢).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٩٩).

وفي المراد بهؤلاء القوم ستَّة أقوال:

أحدها: أبو بكر الصِّدِّيق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الرِّدَّة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن جريج.

قال أنس بن مالك: كرهت الصَّحابة قتال مانِعي الزَّكاة، وقالوا(١): أهل القبلة، فتقلَّد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بُدًّا من [٢٠١/ ب] الخروج على أثره(٢).

والثَّاني: أبو بكر، وعمر. روي عن الحسن، أيضًا.

والثَّالث: أنهم قومُ أبي(٣) موسى الأشعري.

روى عياض الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: **«هُمْ قَوْمُ هَذَا» يَعْنِي: أَبَا مُوسَى**(٤).

والرَّابع: أنهم أهل اليمن. رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهد.

والخامس: أنهم الأنصار، قاله السُّدِّي.

---

(١) في (ج): (فقالوا).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٩٩).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٢٦١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٥١٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٣٥)، والطَّبراني في الكبير (١٠١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض، الأشعري، بنحوه.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذَّهبي.
وقال الحافظ: إسناد رواته ثقات. إتحاف الخيرة (٦/ ٢٠٥).

والسَّادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي.

قال ابن جرير: وقد أنجز الله ما وَعَد فأتى بقومٍ في زمن عمر كانوا أحسن موقعًا في الإسلام ممَّن ارتدَّ[1].

قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال علي بن أبي طالب: أَهْلُ رِقَّةٍ عَلَى أَهْلِ دِينِهِمْ، أَهْلُ غِلْظَةٍ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ فِي دِينِهِمْ[2].

وقال الزَّجَّاج: معنى «أَذِلَّةٍ»: جانبهم ليِّن على المؤمنين، لا أنهم أذلَّاءُ[3].

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ لأن المنافقين يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله ﷻ أن الصَّحيحَ الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: محبَّتهم لله، ولين جانبهم للمسلمين، وشدَّتهم على الكافرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥١٨).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٢٧) من طريق سيف بن عمر، عن أبي روق عطيَّة بن الحارث، عن أبي أيوب، به، بنحوه. وسيف بن عمر التَّميمي ضعيف جدًّا.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٣).

قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أن عبد الله بن سلام وأصحابه جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا[(١)]: إن قومًا قد أظهروا لنا العداوة، ولا نستطيع أن نجالس أصحابك لبُعد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقالوا: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين[(٢)]، وأذَّن بلال بالصَّلاة، فخرج رسول الله ﷺ، فإذا مسكين يسأل[(٣)] النَّاس، فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ [شَيْئًا]**[(٤)]؟» قال: نعم. قال: «**مَاذَا؟**» قال: خاتم فضَّة. قال: «**مَنْ**[(٥)] **أَعْطَاكَهُ؟**» قال: ذاك القائِم، فإذا هو علي بن أبي طالب، أعطانيه[(٦)] وهو راكع، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[(٧)]، وبه قال مقاتل[(٨)].

---

(١) في (ت)، و(م): (فقالوا).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ت)، و(ر): (يسألون).

(٤) من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٥) في (ت)، و(ر): (ما).

(٦) في (ج): (تصدَّق).

(٧) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٠) من طريق محمد بن السَّائب الكلبي، عن أبي صالح، به، بنحوه. ومحمد بن السَّائب الكلبي متَّهم بالكذب، وجاء في عدة روايات صحيحة أخرى أنها نزلت في علي ﷺ، أوردها السيوطي في الدُّرِّ المنثور (٣/ ١٠٥).

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٦).

وقال مجاهد: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدَّق وهو راكع(١).

والثَّاني: أن عبادة بن الصَّامت لَمَّا تبرَّأ من حلفائه اليهود، نزلت هذه الآية في حقِّه، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ(٢).

والثَّالث: أنها نزلت في أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ، قاله عكرمة(٣).

والرَّابع: أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن(٤).

قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم، وهو تصدُّق عليٍّ ﷺ بخاتمه في ركوعه.

[٢٠٢/أ] **والثَّاني:** أن من شأنهم إيتاء الزَّكاة وفعل الرُّكوع.

وفي(٥) المراد بالرُّكوع ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه نفس الرُّكوع على ما روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٣١) من طريق غالب بن عبيد الله، عن مجاهد.
وغالب بن عبيد الله العقيلي الجزري ضعَّفه ابن معين والدَّارقطني. انظر: ميزان الاعتدال؛ للذهبي (٣/ ٣٣١).

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٧٩) من طريق سلمة بن رجاء، عن سلمة بن سابور قال: سمعت عطيَّة العَوْفي يقول: قال ابن عبَّاسٍ ﷺ، فذكره بنحوه.
وسلمة بن سابور ضعيف. انظر: ميزان الاعتدال؛ للذهبي (٢/ ١٩٠).

(٣) أورده أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (٤/ ٣٠٠).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في (ت)، و(ر): (والثاني في).

وقيل: إن الآية نزلت وهم في الرُّكوع.

والثَّاني: أنه صلاة التطوُّع باللَّيل والنَّهار، وإنما أُفرد الرُّكوع بالذِّكر تشريفًا له، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

والثَّالث: أنه الخضوع والخشوع.

وأنشدوا(١) [من المنسرح]:

لَا تُذِلَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

ذكره الماورديُّ(٢).

فأما ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ(٣)﴾.

فقال الحسن: هم جند الله(٤).

وقال أبو عبيدة: أنصار الله(٥).

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) البيت للأضبط بن قريع السَّعدي، وهو في الشعر والشعراء (١/ ٣٧١)، والبيان والتبيان (٣/ ٢٢٣)، والكامل (٢/ ١٠١)، والحماسة الشجرية (١/ ٤٧٤)، وخزانة الأدب (١١/ ٤٥٠- ٤٥٢).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (١/ ١١٤).

(٣) ليست في (ت).

(٤) انظر: تفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٠٢).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٩).

والثَّاني: الأنصار(١)، ذكره أبو سليمان(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٧].

قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾.

سبب نزولها:

أن رفاعة بن زيد بن(٣) التَّابوت، وسويد بن الحارث كانا قد أظهرا الإسلام، ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاسٍ(٤).

فأما اتخاذهم الدِّين هزُوًا ولعبًا: فهو إِظهارهم الإِسلام(٥) وإِخفاؤهم الكفر وتلاعبهم بالدِّين.

و«الذين أُوتوا الكتاب»: اليهود والنَّصارى، و«الكفار»: عبدة الأوثان.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾(٦) بالنَّصب على معنى: لا تتَّخذوا الكفار أولياء.

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (الماورديُّ).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٣٣) من طريق سعيد بن جُبَيْر، أو عكرمة، به، بنحوه.

(٥) في (ت)، و(ر): (إظهار المسلمين)!.

(٦) من قوله: (عبدة الأوثان. قرأ ابن كثير)... إلى هنا، ليس في (م).

وقرأ أبو عمرو والكِسَائِي: «وَالْكُفَّارِ» خفضًا، لقرب الكلام من العامل الجارِّ، وأمال أبو عمرو الألف[(١)].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أن تولَّوهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة: ٥٨].

قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن منادي رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصَّلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلَّوا لا صلَّوا، على سبيل الاستهزاء والضَّحك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السَّائب[(٢)].

والثَّاني: أن الكفار لمَّا سمعوا الأذان حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين[(٣)] على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئًا لم نسمع به[(٤)] فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدَّعي النُّبوَّة، فقد[(٥)] خالفت في هذا[(٦)] الأذان

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، والحجَّة (١/ ١٣٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٠)، والمبسوط (١/ ١٨٦).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٠) من قول محمد بن السَّائب الكلبي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٧٥)، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبَّاسٍ، بنحوه.

(٣) في (ت)، و(ر): (والمسلمون)!.

(٤) في (ج): (لم يُسمع مثله).

(٥) في (ت)، و(ر): (فقال).

(٦) في (ر): (هذه).

الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصَّوت، وأسمج[١] هذا الأمر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسِّرين[٢].

وقال السُّدِّي: كان رجل من النَّصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: حُرِّقَ[٣] الْكَاذِبُ، فدخلت[٤] خادمه ذات ليلة بنارٍ وهو نائم، وأهله نِيَامٌ، فسقطت شَرَارَةٌ فَأَحْرَقَتِ البيت، فَاحْتَرَقَ هُوَ وَأَهْلُهُ[٥][٦]. [٢٠٢/ب]

و«المناداة»: هي الأذان. واتِّخاذهم إِيَّاها هزوًا: تضاحكهم وتغامزهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما لهم في إجابة الصَّلاة، وما عليهم في استهزائهم بها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩].

---

(١) في (ر): (وما أسمج).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠١).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) كذا بالأصل وجميع النسخ، وتفسير الطَّبري وابن أبي حاتم.

(٥) في (ج): (وأحرقته وأهله).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم (٦٥٥٧) في تفسيرهما من طرق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به، بنحوه.

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾.

سبب نزولها:

أن نفرًا من اليهود أتوا رسول الله ﷺ، فسألوه عمَّن يؤمن به من الرُّسل، فذكر جميع[١] الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوَّته، وقالوا: والله ما نعلم دينًا شرًّا من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله ابن عبَّاسٍ[٢].

وقرأ الحسن، والأعمش: «تَنْقَمون» بفتح القاف[٣].

قال الزَّجَّاج: يقال: نَقَمْتُ على الرَّجل أَنْقِمُ، ونَقِمْت عليه أَنْقَمُ، والأوَّل أجود. ومعنى «نقمت»: بالغت في كراهة الشيء، والمعنى: هل تكرهون منَّا إلَّا إيماننا، وفسقكم، لأنكم علمتم أنَّنا على حقٍّ، وأنَّكم فسقتم[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

---

(١) في (ج): (سائر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٢/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم (٦٥٥٩) في تفسيرهما من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر، أو عكرمة، به، بنحوه.
وعند ابن أبي حاتم عن محمد بن أبي محمد، مرسلًا.

(٣) وهي شاذة كما في مختصر شواذ القرآن؛ لابن خالويه (٣٩)، وانظر: الكامل في القراءات؛ لأبي القاسم الهذلي.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٦).

قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾.

قال المفسِّرون: سبب نزولها:

قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دينٍ أقلَّ حظًّا منكم في الدُّنيا والآخرة، ولا دينًا شرًّا من دينكم.

وفي قوله: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ قولان:

أحدهما: بشرٍّ من المؤمنين، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: بشرٍّ مما نقمتم مِن إيمانِنا، قاله الزَّجَّاج[١].

فأما «المثوبة» فهي الثَّواب.

قال الزَّجَّاج: وموضع «مَنْ» في قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ[٢]﴾ إن شئت كان رفعًا، وإن شئت كان خفضًا، فمن خفض جعله بدلًا مِن «شرٍّ»، فيكون المعنى: أُنبِّئكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فبإضمار «هو» كأنَّ قائلًا قال: مَن ذلك؟ فقيل: هو من لعنه الله[٣].

قال أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شرٌّ مثوبةً عند الله[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٨٧).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٧).

(٤) لم نهتد إليه.

وروي عن ابن عبَّاسٍ أن المسخَين من أصحاب السَّبت: مسخ شُبَّانهم[١] قردة، ومشايخهم خنازير[٢].

وقال غيره: «القردة»: أصحاب السَّبت، و«الخنازير»: كفار مائدة عيسى.

وكان ابن قُتَيْبة يقول: أنا أظنُّ أن هذه «القردة» و«الخنازير»[٣] هي المسوخ[٤] بأعيانها توالدت. قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ فدخول الألف واللام تدلُّ[٥] على المعرفة، وعلى أنها القرود[٦] التي تُعاين، ولو كان أراد شيئًا انقرض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة وخنازير، إلا أن يصحَّ حديث أم حبيبة في «المسوخ»، فيكون كما قال ﷺ[٧].

قال الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٨]: وحديث أم حبيبة في «الصَّحيح» انفرد بإخراجه مسلم، وهو أنَّ رجلاً سأل النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، القردة والخنازير هي ممَّا مُسِخ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله**[٩] **لَمْ يَمْسَخْ قَوْمًا، أَوْ يُهْلِكْ قَوْمًا،** [٢٠٣/أ]

(١) في (ت)، و(ر): (شبابهم)، وفي (ج): (شابهم).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٨٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٢٠٤).

(٣) من قوله: (كفار مائدة عيسى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) في (م): (الشيوخ)!.

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ر): (يدلُّ).

(٦) في (ج)، و(م): (القردة).

(٧) انظر: تأويل مختلف الحديث (١/ ٣٧٣).

(٨) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (قلت أنا).

(٩) قوله: (إن الله)، ليس في (ج)، و(م)، و(ر).

فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ»(١).

وقد ذكرنا في «سورة البقرة» عن ابن عبَّاسٍ زيادة بيان [ذلك](٢)، فلا يُلتفت إلى ظنِّ ابن قُتَيْبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

فيها عشرون قراءة:

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، والكِسَائي: «وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدَّال، ونصب تاء «الطَّاغُوتَ»(٣).

وفيها وجهان:

أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطَّاغوت.

والثَّاني: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطَّاغوت.

وقرأ حمزة: «وعَبُدَ الطَّاغُوتِ» بفتح العين والدَّال، وضم الباء، وخفض تاء الطَّاغُوتِ(٤).

قال ثعلب: ليس لها وجه إلا أن يجمع فَعْل على فَعُل(٥).

---

(١) رواه الحميدي في مسنده (١٢٥)، وأحمد (١/ ٣٩٠ـ ٤٣٣ـ ٤٤٥)، ومسلم (٢٦٦٣)، والنَّسائي في عمل اليوم والليلة (٢٦٤) واللفظ لأحمد.

(٢) من (ج).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٦)، والحجَّة (١/ ١٣٢)، والمبسوط (١/ ١٨٦).

(٤) انظر: المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢١٤)، وحجة القراءات (١/ ٢٣١).

(٥) في (ر): (قال ثعلب: ليس لها وجه، لا يُجمع فعل).

وقال الزَّجَّاج: وجهها أن الاسم بُني على «فَعُل» كما تقول: عَلُمَ[1] زيدٌ، ورَجُلُ حَذُرٌ، أي: مبالغ في الحَذَرِ. فالمعنى: جعل منهم خَدَمَة الطَّاغوت، ومن بلغ في طاعة الطَّاغوت الغاية[2].

وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب: «وعَبَدُوا»، بفتح العين والباء ورفع الدَّال على الجمع، «الطَّاغوتَ» بالنَّصب[3].

وقرأ ابن عبَّاسٍ، وابن أبي عبلة: «وعَبَدَ» بفتح العين والباء والدَّال، إلا أنهما كسرا تاء «الطَّاغوتِ»[4].

قال الفرَّاء: أرادا «عبدة» فحذفا الهاء[5].

وقرأ أنس بن مالك: «وعَبيدَ» بفتح العين والدَّال[6] وبياء بعد الباء وخفض[7] تاء «الطاغوتِ».

وقرأ أيوب، والأعمش: «وعُبَّدَ»، برفع العين ونصب الباء والدَّال مع تشديد الباء، وكسر تاء «الطَّاغوتِ»[8].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٨).

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن؛ لابن خالويه (ص: ٤٠)، والمحتسب (١/ ٢١٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٤).

(٦) من قوله: (إلا أنهما كسرا تاء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) في (ج): (وخفضوا).

(٨) انظر: المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢١٤)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢١٢).

وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وابن[١] السَّمَيْفع: «وعابد» بألف، مكسورة الباء مفتوحة الدَّال، مع كسر تاء «الطَّاغوتِ».

وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثَّاب: «وعُبُدَ» برفع العين والباء وفتح الدَّال، مع كسر تاء الطَّاغوتِ.

قال الزَّجَّاج: هو جمع[٢] عبيد، وعُبُد، مثل رغيف[٣]، ورُغُف[٤]، وسرير، وسُرُر، فالمعنى: وجعل منهم عُبُدَ الطَّاغوتِ[٥].

وقرأ أبو عمران الجوني، وموَرِّق العجلي، والنَّخعي: «وعُبِدَ» برفع العين، وكسر الباء مخففة[٦]، وفتح الدَّال مع ضم تاء «الطاغوتُ».

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «وعَبَّدَ» بفتح العين والدَّال وتشديد الباء، مع نصب تاء «الطاغوتَ».

وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو نهيك: «وعَبْدَ» بفتح العين والدَّال، وسكون الباء خفيفة مع كسر تاء «الطَّاغوتِ».

---

(١) ليست في (م).

(٢) في الأصل، و(ت)، و(ج): (جميع)، والمثبت من معاني القرآن وإعرابه.

(٣) في (ر): (ورغيف) بدلاً من قوله: (مثل رغيف).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٨).

(٦) ليست في (ر).

وقـرأ قتـادة، وهذيـل بـن شرحبيـل: «وعَبَـدَة» بفتـح العـين والبـاء والـدَّال[١] وتـاء[٢] في اللفـظ منصوبـة بعـد الـدَّال، «الطَّواغيـت»[٣] بألـف وواو ويـاء بعـد الغـين عـلى الجمـع.

وقـرأ الضَّحَّـاك، وعمـرو بـن دينـار: «وعُبَـدَ» برفـع العـين وفتـح البـاء والـدَّال مـع تخفيـف البـاء، وكـسر تـاء «الطَّاغـوتِ». [٢٠٣/ب]

وقـرأ سـعيد بـن جُبَيْر، والشَّـعبي: «وعَبْـدَة» مثـل حمـزة، إلا أنهـما رفعـا تـاء «الطَّاغـوتُ».

وقـرأ يحيـى بـن يعمـر، والجحـدري: «وعَبُـدُ» بفتـح العـين ورفـع البـاء والـدَّال مـع كـسر تـاء «الطَّاغـوتِ».

وقـرأ أبـو الأشـهب العطـاردي: «وعُبْـدَ» برفـع العـين وتسـكين البـاء ونصـب الـدَّال، مـع كـسر تـاء «الطَّاغـوتِ».

وقـرأ أبـو السَّـمَّال: «وعَبَـدَةٌ» بفتـح العـين والبـاء والـدَّال وتـاء في اللفـظ بعـد الـدَّال[٤] مرفوعـة مـع كـسر تـاء «الطَّاغـوتِ»[٥].

وقرأ معاذ القارئ: «وعابدُ» مثل قراءة أبي هريرة إلا أنه ضمَّ الدَّال.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (م): (وبهاء)، وفي (ر): (وبتاء).

(٣) في (ج): (طواغيت).

(٤) قوله: (وتاء في اللفظ بعد الدَّال)، ليس في (ر).

(٥) انظر: الكامل في القراءات العشر والزائدة عليها (١/ ٥٣٥).

وقرأ أبو حيوة: «وعُبَّادَ» بتشديد الباء وبألف بعدها مع رفع العين، وفتح الدَّال، [«الطَّاغوتِ» خفض][(١)].

وقرأ ابن[(٢)] حَذْلَمَ، وعمرو بن فائد[(٣)]: «وعَبَّادُ»[(٤)] مثل أبي حيوة إلا أن العين [مفتوحة][(٥)]، والدَّال مضمومة[(٦)].

وقد سبق ذكر «الطَّاغوت» في «سورة البقرة».

وفي المراد به هاهنا قولان:

أحدهما: الأصنام.

والثَّاني: الشَّيطان[(٧)].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾.

أي: هؤلاء الذين وصفناهم شرٌّ مكانًا من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين[(٨)] قالوا للمؤمنين: لا نعرف شرًّا منكم، فقيل: من كان[(٩)] بهذه الصِّفة، فهو شرٌّ منهم.

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) في (ج): (أبو).

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ر): (قايد).

(٤) ليست في (م).

(٥) زيادة من (ج)، و(م)، و(ر).

(٦) قوله: (والدَّال مضمومة)، ليس في (م).

(٧) في (ج): (الشَّياطين).

(٨) في (ج)، و(م): (حيث).

(٩) ليست في (ج).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائـدة: ٦١].

قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا[1]﴾.

قـال قتـادة: هـؤلاء نـاسٌ مـن اليهـود كانـوا يدخلـون عـلى رسـول الله ﷺ، فيخبرونـه أنهـم مؤمنـون بـما جـاء بـه[2]، وهـم متمسِّـكون بضلالتهـم[3].

قولـه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ أي: دخلـوا كافريـن، وخرجـوا كافريـن، فالكفـر معهـم في حالتيهـم، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ مـن الكفـر والنِّفـاق.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائـدة: ٦٢].

قولـه: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ[4]﴾ يعنـي: اليهـود ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ أي: يبـادرون ﴿فِي ٱلْإِثْمِ﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: المعاصي، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: الكفر، قاله السُّدِّي.

---

(١) قوله: (قَالُوٓاْ ءَامَنَّا)، ليس في (ج).

(٢) قوله: (بما جاء به)، ليس في (ج).

(٣) رواه ابـن جريـر الطَّـبري (٨/ ٥٤٧)، وابـن أبي حاتـم (٦٥٦٤)، في تفسـيرهما مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه، وعـزاه السـيوطي في الـدُّر المنثـور (٣/ ١٠١) لعبـد بـن حميـد، وابـن المنـذر.

(٤) قوله: (منهم)، ليس في (ج).

فأما «العدوان» فهو الظُّلم.

وفي «السُّحت» ثلاثة أقوال:

أحدها: الرِّشوة في الحكم.

والثَّاني: الرِّشوة في[1] الدِّين.

والثَّالث: الرِّبا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣].

قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ[2]﴾.

﴿لَوْلَا﴾ بمعنى: «هلَّا».

و﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾ مذكورون في «آل عمران»[3].

﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ قد تقدَّم ذكرهم في هذه السُّورة.

وهذه الآية من أشدِّ الآيات على تاركي الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، لأن الله تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذَّمِّ.

قال ابن عبَّاسٍ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدَّ تَوْبِيخًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ[4].

---

(١) قوله: (الحكم. والثاني: الرشوة في)، ليس في (ر).

(٢) من (ج).

(٣) قوله: (في آل عمران)، ليس في (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٥١) من طريق خالد بن دينار، به. وعزاه السيوطي في الدُّر المنثور (٣/ ١١٢) لأبي الشيخ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

قال أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ: نزلت في فنحاص اليهوديِّ وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة[١].

وقال مقاتل: فنحاص وابن صلوبا، وعازر بن أبي عازر[٢]. [٢٠٤/أ]

وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرِّزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمَّد ﷺ وكفروا به، كفَّ عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عكرمة.

والثَّاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمَّة، فقالوا: إن الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، قاله قتادة.

والثَّالث: أن النَّصارى لمَّا أعانوا بختنصر المجوسيَّ على تخريب بيت المقدس، قالت[٣] اليهود: لو كان الله صحيحًا لمنعنا منه، فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضًا.

---

(١) ذكره ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٦/ ٢٧٨) عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ، بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

(٣) في (ت): (قالوا).

و«المغلولة»: الممسكة المنقبضة.

وبماذا عَنوا أنها ممسكة، فيه قولان:

أحدهما: عن العطاء. قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة، والفرَّاء[١]، وابن قُتَيْبة[٢]، والزَّجَّاج[٣].

والثَّاني: ممسكة من عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلَّة القسم بقدر عبادتنا العجل، قاله الحسن.

وفي قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: غلَّت في جهنَّم، قاله الحسن.

والثَّاني: أُمسكت[٤] عن الخير، قاله مقاتل[٥].

والثَّالث: جُعِلوا بُخلاء، فهم أبخل قوم، قاله الزَّجَّاج[٦].

قال ابن الأنباريِّ: وهذا خبر أخبر الله تعالى به الخلق أن هذا قد نزل بهم، وموضعه نصب على معنى[٧] الحال. تقديره: قالت اليهود هذا في حال حكم الله بغلِّ أيديهم، ولعنته إياهم، ويجوز أن يكون المعنى:

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٩).

(٤) في (ج): (مُسكت).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٠).

(٧) ليست في (ر).

فغلَّت أيديهم، ويجوز أن يكون دعاء، معناه: تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم، كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد:١] وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ[1]﴾ [الفتح:٢٧].

وفي قوله: ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أُبعدوا من رحمة الله تعالى.

والثَّاني: عذِّبوا في الدُّنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنَّار.

والثَّالث: مُسخوا قردة وخنازير.

وروى ابن عبَّاسٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ لِلَّعْنَةِ [لَهُ][2] أَهْلاً، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَى الْيَهُودِ بِلَعْنَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ**»[3].

قال الزَّجَّاج: وقد ذهب قومٌ إلى أن معنى[4] ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾: نعمته، وهذا خطأ[5] ينقضه ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فيكون المعنى على قولهم: نعمتاه، ونعم الله أكبر[6] من أن تُحصى[7].

---

(١) في (م): (مؤمنين).

(٢) من (م).

(٣) رواه الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٠٦) من طريق نوح بن أبي مريم، عن الكلبي، عن أبي صالح، به، بنحوه، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي، متروك الحديث.
ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٨٢٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء قال: سمعت الكلبي فذكره، من قوله. والكلبي متروك.

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ت)، و(ر): (خطاب).

(٦) في (ج)، و(ر): (أكثر).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٩).

والمـراد بقولـه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أنـه جـواد ينفـق كيـف يشـاء، وإلى نحـو هـذا ذهـب ابـن الأنبـاريِّ.

قال ابن عبَّاسٍ: إن شاء وسَّع[١] في الرِّزق، وإن شاء قتَّر.

قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

قال الزَّجَّاج: كلما نزل عليك شيء كفروا به، فيزيد كفرهم[٢].

و«الطُّغيان» هاهنا: الغلوُّ في الكفر. [٢٠٤/ب]

وقـال مقاتـل: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾ بنـي النَّضـير ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ[٣]﴾ مـن أمـر الرَّجـم والدِّمـاء ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[٤].

قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.

فيمن عني بهذا قولان:

أحدهما: اليهود والنَّصارى، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، ومقاتل.

فإن قيل: أين ذكر النَّصارى؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١].

والثَّاني: أنهم اليهود، قاله قتادة.

---

(١) في (ج): (أوسع).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٠).

(٣) قوله: (من ربك)، ليس في (ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾.

ذِكْر إِيقاد النَّار مَثَلٌ ضُربَ لاجتهادهم في المحاربة.

وقيل: إن[١] الأصل في استعارة اسم النَّار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أُخرى أوقدت النَّار على رؤوس الجبال، والمواضع المرتفعة، ليُعلم استعدادهم للحرب، فيتأهَّب من يريد إعانتهم.

وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجدِّ في حربهم، أوقدوا نارًا، وتحالفوا.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: كلما جمعوا لحرب النَّبيِّ ﷺ فرَّقهم الله.

والثَّاني: كلما مكروا مكرًا ردَّه الله تعالى.

قوله: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عبَّاسٍ، ومقاتل.

والثَّاني: بمحو[٢] ذكر النَّبيِّ ﷺ من كتبهم، ودفع الإسلام، قاله الزَّجَّاج[٣].

والثَّالث: بالكفر.

والرَّابع: بالظُّلم، ذكرهما الماورديُّ.

---

(١) في (ت)، و(ر): (بأن).

(٢) في (ت)، و(ر): (بمجرد).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩١).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود والنَّصارى ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله وبرسوله[1] ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّرك ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي سلفت.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: عملوا بما فيها[2].

وفيما أُنزل إليهم من ربِّهم قولان:

أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل.

والثَّاني: القرآن، لأنهم لما خوطبوا به، كان نازلًا إليهم.

قوله: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لأكلوا بقطر السَّماء، ونبات الأرض، وهذا قول ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وقتادة.

---

(١) في (ج)، و(م): (ورسوله).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٠٨).

والثَّاني: أن المعنى: لوسَّع عليهم، كما يُقال: فلان في خير من قرنه إلى قدمه، ذكره الفرَّاء[١]، والزَّجَّاج[٢].

وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التَّقوى سبب في توسعة الرِّزق كما قال[٣]: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦] وقال: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣].

قوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ يعني: من أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد.

وقال القرظي: هم الذين قالوا: المسيح عبد الله ورسوله.

و«الاقتصاد»: الاعتدال في القول والعمل من غير غلوٍّ[٤] ولا تقصير.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾. [٢٠٥/أ]

ذكر المفسِّرون أن هذه الآية نزلت على أسباب:

روى الحسن أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَمَّا بَعَثَنِي اللهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِي ضِقْتُ بِهَا ذَرْعًا وَعَرَفْتُ أَنَّ مِنَ النَّاس مَنْ يُكَذِّبُنِي**». وكان رسول الله ﷺ يهاب

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩١).

(٣) في (ت): (يقال).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (علوٌّ).

قُرَيْشًا وَالْيَهُودَ وَالنَّصارى، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال مجاهد: لَمَّا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «يَا رَبِّ، كَيْفَ أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا وَحْدِي يَجْتَمِعُ عَلَيَّ النَّاسُ»، فأنزل الله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

وقال مقاتل: لما[٣] دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحُرِّض بهذه الآية[٤].

وقال ابن عبَّاسٍ: كان رَسُولُ الله ﷺ يُحرَسُ فيرسل معه أبو طالب كلَّ يوم رجالًا من بني هاشم يحرسونه؛ حتى نزلت عليه هذه الآية، فقال: «يَا[٥] عَمَّاهُ إِنَّ اللهَ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ»[٦].

وقال أبو هريرة: نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُنِي مِنْكَ[٧]؟

---

(١) رواه أبو الشيخ كما في الدُّر المنثور (٣/ ١١٦) مرسلًا، وأورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم (٦٦١٣) في تفسيرهما.

(٣) في (ج): (لما نزلت).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٢).

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه الواحدي في أسباب النزول (٢/ ٢٠٩) من طريق محمد بن العلاء، عن عبد الحميد الحماني، عن النضر بن عبد الرحمن أبي عمر الخزاز، عن عكرمة، به، بنحوه. والنضر بن عبد الرحمن الخزاز، ضعيف الحديث. انظر: الميزان؛ للذهبي (٤/ ٢٦٠).

(٧) هكذا في الأصل، وجميع النُّسخ: (من يمنعني منك؟).

فقـــال: «اللهُ»، فنــزل قولــه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١).

وقالــت عائشــة: ســهر رَسُــولُ الله ﷺ ذات ليلــة، فقلــت: مــا شــأنك؟ قــال: «أَلَا رَجُــلٌ صَالِــحٌ يَحْرُسُــنِي اللَّيلَــةَ» فبينــما نحــن في ذلــك إذ ســمعت صــوت السِّــلاح، فقــال: «مَــنْ هَــذَا؟» فقــال: ســعد وحذيفــة جئنــا نحرســك، فنــام رســول الله ﷺ حتــى ســمعت غطيطــه، فنزلــت: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾فأخــرج رســول الله ﷺ رأســه مــن قبَّــة أدم، وقــال: «انْصَرِفُــوا أَيُّهَــا النَّــاسُ، فَقَــدْ عَصَمَنِــي اللهُ تَعَــالَى»(٢).

قــال الزَّجَّــاج: قولــه: ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ معنــاه: بلِّــغ جميــع مــا أُنــزل إليــك، ولا تراقبــنَّ أحــدًا، ولا تتركــنَّ شــيئًا منــه مخافــة أن ينالــك مكــروه، فــإن تركــت منــه شــيئًا، فــما بلَّغــت(٣).

---

(١) رواه مجاهــد في تفســيره (١/ ٣١٣)، وابــن أبي شــيبة كــما في فتــح البــاري (٦/ ٩٨)، وابــن حبــان كــما في المــوارد (١٧٣٩)، وابــن مردويــه في تفســيره كــما في تفســير ابــن كثــير (٣/ ١٥٥) مــن طريــق حمــاد بــن ســلمة، عــن محمــد بــن عمــرو، عــن أبي ســلمة، بــه، بنحــوه، وإســناده حســن. ويشــهد لــه مــا في صحيــح البخــاري (٢٩١٠)، ومســلم (٨٤٣) مــن حديــث جابــر ﷺ، بلفــظ: «مَــنْ يَمْنَعُــكَ مِنِّــي».

(٢) بهــذا الســياق أورده الواحــدي في أســباب النــزول (١/ ٢٠٢)، ورواه أحمــد (١٨/ ٤٢)، ومســلم في صحيحــه (٢٤١٠)، والترمــذي (٣٧٥٦)، والنَّســائي في الكــبرى (٨١٦٠) إلى قــول عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: فَنَــامَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ حَتَّــى سَــمِعْتُ غَطِيطَــهُ.
وليــس فيــه ذكــر حذيفــة ﷺ، ولــه طــرق وألفــاظ أخــرى عــن عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، انظــر: الــدُّر المنثــور (٣/ ١١٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٢).

قال ابن قُتَيْبة: يدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾[١].

وقال ابن عبَّاسٍ: إن كتمت آيةً فما بلَّغت رسالتي[٢].

وقال غيره: المعنى: بلِّغ جميع ما أُنزل إليك جهرًا، فإن أخفيت شيئًا منه لخوف أذىً يلحقك، فكأنك ما بلَّغت شيئًا.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي: «رِسالَتَهُ» على التَّوحيد.

وقرأ نافع «رِسَالَاتِه» على الجمع[٣].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

قال ابن قُتَيْبة[٤]: أي يمنعك منهم.

و«عصمةُ الله»: مَنْعُهُ العبدَ من المعاصي، ويُقال: طعام لا يَعصِمُ، أي: لا يَمنعُ من الجوع[٥].

فإن قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسِرت رَباعيته، وبُولِغَ في أذاه؟ [٢٠٥/ب]

---

(١) انظر: المسائل والأجوبة (١/ ٢٢٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم (٦٦١٢) في تفسيرهما، من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ.

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٦)، والحجَّة (١/ ١٣٣)، والمبسوط (١/ ١٨٦).

قال أبو علي: فالحجة لمن وحَّد: أنه جعل الخطاب للرَّسول ﷺ، والحجَّة لمن جمع: أنه جعل كل وحي رسالة. اهـ

(٤) قوله: (قال ابن قتيبة)، ليس في (ج).

(٥) انظر: غريب القرآن؛ لابن قُتَيْبة (١/ ١٤٥).

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسرِ وتلفِ الجملة، فأمَّا عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة(١).

والثَّاني: أن هذه الآية نزلت بعد ما جرى عليه ذلك، لأن «المائدة» من(٢) أواخر ما نزل(٣).

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا يهديهم إلى الجنَّة.

والثَّاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ اليهود قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ألست تؤمن بما عندنا من التَّوراة، وتشهد أنها حقٌّ؟ قال: «بَلَى، وَلَكِنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ وَجَحَدْتُمْ مَا فِيهَا، فَأَنَا

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): (في).

(٣) في (ر): (من أواخر مائدة ما نزل)!.

بَرِيءٌ مِنْ أَحْدَاثِكُمْ». فقالوا: نحن على الهدى، ونأخذ بما في أيدينا، ولا نؤمن بك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاسٍ[1].

فأما ﴿يَٰٓأَهۡلَ[2] ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فالمراد بهم اليهود والنَّصارى.

وقوله: ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ أي: لستم على شيء من الدِّين الحقِّ[3] حتى تقيموا[4] التَّوراة والإنجيل، وإقامتها: العمل بما فيها، ومن ذلك الإيمان بمحمَّد ﷺ.

وفي الذي أُنزل إليهم من ربِّهم قولان قد سبقا، وكذلك باقي الآية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ [المائدة: ٦٩].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾.

قد ذكرنا تفسيرها في «البقرة»، وكذلك اختلفوا في إحكامها ونسخها كما بيَّنا هناك.

فأما رفع «الصَّابئين» فذكر الزَّجَّاج عن البصريِّين، منهم الخليل، وسيبويه أن قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ محمول على التَّأخير، ومرفوع بالابتداء.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٧٢) من طريق عكرمة، أو سعيد بن جُبَيْر، به، وفيه قصة.

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ر): (أهل).

(٣) في (ج): (والحقِّ).

(٤) في (ت)، و(ر): (يقيموا).

والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والصَّابئون والنَّصارى كذلك أيضًا[1].

وأنشدوا[2][من الوافر]:

وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

المعنى: فاعلموا[3] أنا بُغاة ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضًا كذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠].

قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

قال مقاتل: أخذ ميثاقهم في التَّوراة بأن يعملوا بما فيها[4].

قال ابن عبَّاسٍ: كان فيمن كُذِّبُوا: محمد وعيسى، وفيمن قُتِلوا: زكريا ويحيى[5] صلوات الله عليهم.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٢).

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه (ص: ١٦٥)، والإنصاف (١/ ١٩٠)، وتخليص الشواهد(ص: ٣٧٣)، وخزانة الأدب(١٠/ ٢٩٣-٢٩٧)، وشرح أبيات سيبويه(٢/ ١٤).

(٣) من قوله: (أنَّا وأنتم بغاة)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٢).

(٥) انظر: المصدر السابق.

قال الزَّجَّاج: فأما التَّكذيب، فاليهود والنَّصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختصُّ[(١)] اليهود[(٢)(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة: ٧١].

قوله: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿تَكُونَ﴾ بالنصب.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي: «تكُونُ» بالرفع.

ولم يختلفوا في رفع «فتْنَةٌ»[(٤)].

قال[(٥)] مَكِّي بن أبي طالب: من رفع جعل «أن» مخففة من الثقيلة، فأضمر[(٦)] معها «الهاء»، وجعل «حسبوا» بمعنى: أيقنوا، لأن «أن» للتَّأكيد، والتَّأكيد لا يجوز إلا مع اليقين. والتَّقدير: أنه لا يكون فتنة. ومن نصب جعل «أن» هي النَّاصبة للفعل، وجعل «حسبوا» بمعنى: ظنُّوا. ولو كان [٢٠٦/أ] قبل «أن» فعلٌ لا يصلح للشَّكِّ، لم يجز أن تكون إلَّا مخفَّفة من الثَّقيلة، ولم يجز نصب الفعل بها، كقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ﴾ [طه:٨٩]، و﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل:٢٠][(٧)].

---

(١) في (ت)، و(ر): (فتختص).

(٢) في (م): (باليهود).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٤).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧)، والحجَّة (٣/ ٢٤٦)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

(٦) في (ت)، و(م)، و(ر): (وأضمر).

(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٣٣).

وقال أبو عليٍّ: الأفعال ثلاثة:

فعلٌ يدلُّ على ثبات الشَّيء واستقراره، نحو العلم والتيقُّن.

وفعلٌ يدلُّ على خلاف الثَّبات والاستقرار.

وفعلٌ يجذب إلى هذا مرَّة، وإلى هذا أُخرى.

فما كان معناه العلم، وقعت بعده «أن» الثَّقيلة، لأن معناها ثبوت الشيء واستقراره، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤].

وما كان على غير وجه الثَّبات والاستقرار نحو: أطمع وأخاف وأرجو، وقعت بعده «أن» الخفيفة، كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ[1]﴾ [البقرة:٢٢٩]، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ[2]﴾ [الأنفال:٢٦]، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف:٨٠] ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى﴾ [الشعراء:٨٢].

وما كان متردِّدًا بين الحالين مثل: حسبتُ وظننتُ، فإنه يُجعلُ تارةً بمنزلة العلم، وتارةً بمنزلة[3] أرجو وأطمع، وكلتا القراءتين في ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قد جاء بها التَّنزيل.

---

(١) قوله: (حدود الله)، ليس في (م)، و(ر).

(٢) من (ج).

(٣) ليست في (ر).

فمثل مذهب من نصب: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾[1] [العنكبوت: ٤]، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟﴾ [العنكبوت: ٢].

ومثل مذهب مَنْ رفع: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم﴾ [المؤمنون: ٥٥]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ[2]﴾ [الزخرف: ٨٠][3].

قال ابن عبَّاسٍ: ظنُّوا أن الله لا يعذِّبهم، ولا يبتليهم بقتلهم[4] الأنبياء، وتكذيبهم الرُّسل[5].

قوله: ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا[6] مثل تأويله: أنهم لم يعملوا بما سمعوا ورأوا من الآيات، فصاروا كالعُمْي الصُّمِّ[7][8].

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

---

(١) في (ر) تقدَّمت هذه الآية على التي قبلها.

(٢) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٤٦-٢٤٩).

(٤) سقطت من (ت)، و(ر).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢١١).

(٦) ليست في (ت)، و(ر).

(٧) في (ج): (والصُّمّ).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

فيه قولان:

أحدهما: رفع عنهم البلاء، قاله مقاتل(١).

وقال غيره: هو(٢) ظفرهم بالأعداء، وذلك مذكور في قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الإسراء: ٦].

والثَّاني: أن معنى «تاب عليهم»: أرسل إليهم محمدًا ﷺ يعلِّمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدَّقوا، قاله(٣) الزَّجَّاج(٤).

وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ قولان:

أحدهما: لم يتوبوا بعد رفع البلاء، قاله مقاتل(٥).

والثَّاني: لم يؤمنوا بعد بعثة محمد ﷺ، قاله الزَّجَّاج(٦).

قوله: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: عمي وصمَّ كثيرٌ منهم، كما تقول: جاءني قومُك أكثرُهم(٧).

قال ابن الأنباريِّ: هذه الآية(٨) نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت)، و(ر): (قال).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٤).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

(٧) في (ت)، و(ر): (أكثر منهم)!.

(٨) ليست في (ج).

أن يبعث رسول الله ﷺ، فلما بعث كذَّبوه بغيًا وحسدًا، وقدَّروا أن [هذا الفعل][1] لا يكون مُوبقًا لهم، وجانيًا عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ظنُّوا ألَّا يقع بهم[2] فتنة في الإصرار على الكفر، فعموا وصمُّوا بمجانبة الحقِّ. ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عرَّضهم للتَّوبة بأن أرسل محمَّدًا ﷺ وإن لم يتوبوا ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ بعد بيان الحقِّ بمحمدٍ، ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ فخصَّ بعضهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلُّهم على خلاف رسول الله ﷺ. [٢٠٦/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، قالوا ذلك[3].

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المسيح قال لهم وهو بين أظهرهم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾.

قال مجاهد: هم النَّصارى[١].

قال وهب بن منبِّه: لما وُلد عيسى لم يبق صنمٌ إلا خرَّ لوجهه، فاجتمعت الشَّياطين إلى إبليس، فأخبروه، فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي[٢] وُلد من غير ذكر، أردت أن أنظر إليه، فوجدت الملائكة [و][٣]قد حفَّت بأمِّه، فليتخلَّف عندي اثنان من مردتكم، فلما أصبح خرج بهما في صورة الرِّجال، فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدَّثون بأمر عيسى، ويقولون: مولود من غير أبٍ. فقال إبليس: ما هذا ببشر، ولكنَّ الله أحبَّ أن يتمثَّل في امرأةٍ ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أحبَّ[٤] أن يتَّخذ ولدًا. وقال الثَّالث: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أراد أن يجعل إلهًا في الأرض، فألقوا هذا الكلام على ألسنة النَّاس، ثم تفرَّقوا، فتكلَّم به النَّاس[٥].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨١)، وابن حاتم (٦٦٤٤) في تفسيرهما.

(٢) ليست في (ر).

(٣) من (ج).

(٤) في (ج): (أراد).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٥/ ٣٤٢)، وابن المنذر (٣٨٧) في تفسيرهما بلفظ مختصر.

وقال محمد بن كعب: لَمَّا رُفِع عيسى ﷺ اجتمع مائة من علماء بني إسرائيل، وانتخبوا منهم أربعة:

فقال أحدهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما بدا له، ثم صَعِد إلى السَّماء، لأنه لا يحيي الموتى ولا يبرئ الأكمه والأبرص إلا الله.

وقال الثَّاني: ليس كذلك، لأنَّا قد عرفنا عيسى، وعرفنا أُمَّه، ولكنَّه ابن الله.

وقال الثَّالث: لا أقول كما قلتما، ولكن جاءت به أُمُّه من عمل غير صالح[١].

فقال الرَّابع: لقد قلتم قولاً قبيحًا، ولكنه عبد الله، ورسوله، وكلمته[٢]، فخرجوا، فاتَّبع كلَّ رجل منهم[٣] عُنُقٌ من النَّاس[٤].

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: أن النَّصارى قالت: الإلهيَّة مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكلٌّ[٥] واحد منهم إلهٌ. وفي الآية إضمار، فالمعنى: ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، لأنه لا يكفر من قال: هو ثالث ثلاثة[٦]، ولم يرد الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا وهو ثالثهما، وقد دلَّ على المحذوف قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

---

(١) في (م): (من غير عمل صالح).

(٢) في (ت)، و(ر): (وكلمته، ورسوله).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه بمعناه ابن المنذر في تفسيره كما في الدُّر المنثور (٣/ ١٢٢).

(٥) في (ت)، و(ر): (فكلٌّ).

(٦) من قوله: (آلهة، فحذف ذكر الآلهة)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

قال الزَّجَّاج: ومعنى ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾: أنه أحد ثلاثة[(١)][(٢)].

ودخلت «من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ للتَّوكيد.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ هم المقيمون على[(٣)] هذا القول. [٢٠٧/أ]

وقال ابن جرير: المعنى: ليَمسَّنَّ الذين [كفروا][(٤)] يقولون: المسيح هو الله، والذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكل كافر [قد][(٥)] يسلك سبيلهم، عذاب أليم[(٦)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤].

قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

قال الفرَّاء: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ[(٧)]﴾ [المائدة: ٩١][(٨)].

---

(١) قوله: (أنه أحد ثلاثة)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٦).

(٣) سقطت من (ج).

(٤) زيادة من (ج)، و(م).

(٥) زيادة من (ر).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨٠).

(٧) في (ج): (مسلمون).

(٨) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥].

قوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾.

فيه ردٌّ على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النَّصارى في ادِّعائهم إلهيَّته.

والمعنى: أنه[١] ليس بإلهٍ، وإنما حكمُه حكم من سبقه من الرُّسل.

وفي قوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ ردٌّ على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة.

قال الزَّجَّاج: و«الْصِدِّيقَةُ»: المبالغة في الصِّدق، وصِدِّيق «فِعِّيل» من أبنية المبالغة، كما تقول: فلانٌ سِكِّيت، أي: مبالغ في السُّكوت[٢].

وفي قوله: ﴿كَانَا [٣]يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه بيَّن أنهما يعيشان بالغذاء، ومن لا يُقيمه إلا أكلُ الطَّعام فليس بإلهٍ، قاله الزَّجَّاج[٤].

والثَّاني: أنه نبَّه بأكل الطَّعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لآكل الطَّعام من الحدث، قاله ابن قُتَيبة[٥].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٦-١٩٧).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٦-١٢٧).

قال: وقوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ من ألطف ما يكون من الكناية[١].

و﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقِّ ويُعدَلون، يقال: أُفِك الرَّجل عن كذا: إذا عُدِل [به][٢] عنه، وأرض مأفوكة: محرومة المطر والنَّبات، كأنَّ ذلك صُرف عنها وعُدل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ [المائدة: ٧٦].

قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

قال مقاتل: قل لنصارى نجران: أتعبدون من دون الله، يعني عيسى [ابن مريم][٣]، ما لا[٤] يملك لكم ضرًّا في الدُّنيا، ولا نفعًا في الآخرة[٥][٦].

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم: «المسيح ابن الله»، و«ثالث ثلاثة»، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمقالتهم.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) من (ت)، و(ر).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٤) في (ر): (ولا) بدلاً من: (ما لا).

(٥) قوله: (في الآخرة)، ليس في (ت)، و(ر).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٥).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائـدة: ٧٧].

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال مقاتل: هم نصارى نجران[(١)].

والمعنى: لا تغلوا في دينكم، فتقولوا [على الله][(٢)] غير الحقِّ في عيسى.

وقد بيَّنا معنى «الغُلُوِّ» في آخر سورة «النِّساء».

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾.

قال أبو سليمان الدِّمشقي[(٣)]: من قبل أن يضِلُّوا[(٤)].

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم رؤساء الضَّلالَةِ من اليهود[(٥)].

والثَّاني: رؤساء اليهود والنَّصارى، والآية خطاب للذين كانوا في عصر نبيِّنا ﷺ نُهوا أن يتَّبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٦).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٤) في (ت)، و(ر): (تضلوا).

(٥) في (م): (رؤساء اليهود من الضَّلالة).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة: ٧٨].

قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

في لعنهم قولان:

أحدهما: أنه نفس اللَّعن، ومعناه المباعدة من الرَّحمة.

قال ابن عبَّاسٍ: لُعنوا على لسان داود، فصاروا قردة، ولعنوا[١] على لسان عيسى في الإنجيل[٢].

قال الزَّجَّاج: وجائز أن يكون داود وعيسى أُعْلِمَا أن محمدًا نبيٌّ، ولعنا من كفر به[٣]. [٢٠٧/ب]

والثَّاني: أنه المسخ، قاله مجاهد، لعنوا على لسان داود؛ فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى؛ فصاروا خنازير[٤].

وقال الحسن، وقتادة: لعن أصحاب السَّبت على لسان داود، فإنهم لما اعتدوا، قال داود: اللَّهم العنهم، واجعلهم آيةً، فمُسخوا قردة.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه بنحو هذا اللفظ: ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٦٤) في تفسيرهما، من قول أبي مالك الغفاري.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٨).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم (٦٦٦٤) في تفسيرهما.

ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السَّبت، فجُعلوا خنازير[(١)].

[قوله تعالى][(٢)]: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ أي: ذلك اللَّعن بمعصيتهم لله تعالى في مخالفتهم أمره [ونهيه][(٣)]، وباعتدائِهم في مجاوزة ما حدَّه لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩].

قوله: ﴿كَانُواْ[(٤)] لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.

التَّناهي: تفاعل من النَّهي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عن المنكر.

وذكر المفسِّرون في هذا المنكر ثلاثة أقوال:

أحدها: صيدُ السَّمك يوم السَّبت.

والثَّاني: أخذ الرِّشوة في الحُكْم.

والثَّالث: أكل الرِّبا، وأثمان الشُّحوم.

وذِكْر المنكر منكَّرًا يدلُّ على الإِطلاق، ويمنع هذا الحصر، ويدلُّ على ما قلنا: ما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا رَأَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ نَهَاهُ عَنْهُ تَعْذِيرًا، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا**

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٨٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وانظر: التَّفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢١٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ر)، وفي (ج)، و(م): (قوله).

(٣) زيادة من (ج).

(٤) ليست في (ج).

رَأى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ[١] وَخَلِيطَهُ وَشَرِيكَهُ[٢]، فَلَمَّا رَأى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ بِقُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»[٣].

قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: اللام دخلت للقسم والتَّوكيد، والمعنى: لبئس شيئًا فعلهم[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

قوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾.

في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم المنافِقُون، روي عن ابن عبَّاسٍ، والحسن، ومجاهد.

والثَّاني: أنهم اليهود، قاله مقاتل في آخرين[٥].

---

(١) في (ت)، و(ر): (وكيله).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (وشريبه).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٦١) في تفسيرهما، وأبو يعلى في مسنده (٥٠٣٥) من طريق أبي عبيدة، به، بنحوه.
وهو عند أحمد (٦/ ٢٥٠)، والتِّرمذي (٣٠٤٧)، وابن ماجه (٤٠٠٦) بلفظ مقارب.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٩).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٩).

فعلى هذا القول انتظام الآيات ظاهر، وعلى الأول يرجع الكلام إلى قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة:٥٢].

وفي الذين كفروا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله أرباب القول الأوَّل.

والثَّاني: أنهم مشركو العرب، قاله أرباب [هذا][(١)] القول الثَّاني.

قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: بئسما قدَّموا لمعادهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون[(٢)] «أن»[(٣)] في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل: هو أن سخط الله عليهم[(٤)(٥)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

---

(١) من (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (تكون).

(٣) ليست في (م).

(٤) من قوله: (قال الزَّجَّاج)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٩).

قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾.

قال المفسِّرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلَّق بها في النَّجاشي وأصحابه.

قال سعيد بن جُبَيْر: بعث النَّجاشيُّ قومًا إلى رسول الله ﷺ، فأسلموا، فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها، وسنذكر قصَّتهم فيما بعد[1]. [٢٠٨/أ]

قال الزَّجَّاج: واللام في[2] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ لام القسم، والنُّون دَخَلَتْ تَفْصِلُ بينَ الحال والاسْتقْبَالِ، و﴿عَدَٰوَةً﴾ منصوب على التَّمييز، واليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدًا للنبيِّ ﷺ[3].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ يعني: عبدة الأوثان.

فأما ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ فهل هذا عامٌّ في كلِّ النَّصارى أم خاصٌّ؟[4]

فيه قولان:

أحدهما: أنه خاصٌّ.

ثم فيه قولان[5]:

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٩٤) من طريق عبد الواحد بن زياد، عن خصيف، به، بنحوه.

(٢) سقطت من (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٩).

(٤) قوله: (فهل هذا عامٌّ في كلِّ النَّصارى أم خاصٌّ؟)، ليس في (م).

(٥) قوله: (أحدهما: أنه خاص)... إلى هنا، ليس في (م).

أحدهما: أنه أراد النَّجاشيَّ وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عبَّاس، وابن جُبَيْر.

والثَّاني: أنهم قوم من النَّصارى كانوا متمسِّكين بشريعة عيسى، فلما جاء محمد ﷺ؛ أسلموا، قاله قتادة.

والقول الثَّاني: أنه عامٌّ.

قال الزَّجَّاج[1]: يجوز أن يراد به النَّصارى لأنهم كانوا أقلَّ مظاهرةً للمشركين من اليهود[2].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾.

قال الزَّجَّاج: «القُسُّ» و«القِسِّيس»[3] من رؤَساءِ النَّصارى[4].

وقال قطرب: القِسِّيس: العالم بلغة الرُّوم[5].

فأما «الرُّهبان»: فهم العبَّاد أرباب الصَّوامع.

قال ابن فارس[6]: التَّرَهُّبُ: التَّعبُّد[7].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٠٠).

(٣) في (ت)، والمطبوع من كتاب معاني القرآن؛ للزَّجَّاج: (والقِيس).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٢١٧).

(٦) في (ج): (قال ابن عبَّاس)!.

(٧) انظر: مقاييس اللُّغة (٢/ ٤٤٧).

فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسِّيسين ورهبانًا وليس ذلك من أمرِ شريعتنا؟

فالجواب: أنه مدحهم بالتَّمسُّك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرَّهبانيَّة مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ.

قال القاضي أبو يعلى: وربما ظنَّ جاهلٌ في أن هذه الآية مدحًا للنَّصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح مَن آمن منهم، ويدلُّ عليه ما بعد ذلك، ولا شكَّ أن مقالة النَّصارى أقبح من مقالة اليهود.

قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبَّرون عن اتِّباع الحقِّ.

قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لمَّا حضر أصحاب الرَّسول ﷺ بين يدي النَّجاشي، وقرءوا القرآن، سمع ذلك القِسِّيسون والرُّهبان، فانحدرت دموعهم ممَّا عرفوا من الحقِّ، فقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا[(١)]﴾ إلى قوله: ﴿الشَّاهِدِينَ﴾[(٢)].

وقال سعيد بن جُبَيْر: بعث النَّجاشي من خيار أصحابه ثلاثين رجلًا إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فبكوا ورقُّوا [له][(٣)]، وقالوا:

---

(١) من (ت)، و(ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٩٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ مطول.

(٣) من (ج).

نعرف والله، وأسلموا، وذهبوا إلى النَّجاشي فأخبروه فأسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية[١].

وقال السُّدِّي: كانوا اثني عشر رجلًا سبعة من القِسِّيسين، وخمسة من الرُّهبان، فلمَّا قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، بكوا وآمنوا، فنزلت هذه الآية فيهم[٢]. [٢٠٨/ب]

قوله[٣]: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع من يشهد بالحقِّ.

وللمفسِّرين في المراد بـ ﴿الشَّاهِدِينَ﴾ هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: محمد وأُمَّته، رواه علي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: الذين يشهدون بالإيمان، قاله الحسن.

والرَّابع: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزَّجَّاج[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المائدة: ٨٤، ٨٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٠٠).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٠١).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٠).

قوله: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لامهم قومهم على الإيمان، فقالوا هذا[١].

وفي ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أصحاب رسول الله ﷺ، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: رسول الله ﷺ وأصحابه، قاله ابن زيد.

والثَّالث: المهاجرون الأوَّلون، قاله مقاتل.

قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: ثواب المؤمنين[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجالًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، منهم عثمان بن مظعون، حرَّموا اللَّحم والنِّساء على أنفسهم، وأرادوا جَبَّ أنفسهم ليتفرَّغوا للعبادة، فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ»، ونزلت هذه الآية، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ[٣].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١١٨) عن جماعة من المفسِّرين.

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ١١٩).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦١١).

وروى أبو صالح عن ابن عبّاسٍ(١)، قال: كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد [بن الأسود](٢)، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذرٍّ، وعمَّار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواثقوا على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» ونزلت هذه الآية(٣).

قال السُّدِّي: كان سبب عزمهم على ذلك أنَّ رسول الله ﷺ جلس يومًا، فلم يزدهم على التَّخويف، فرقَّ النَّاس، وبكوا، فعزم هؤلاء على ذلك، وحلفوا على ما عزموا عليه(٤).

وقال عكرمة: إن عليَّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد، وسالمًا(٥) مولى أبي حُذيفة في أصحابه، تبتَّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النِّساء، ولبسوا المُسُوح(٦)، وحرَّموا طيِّبات الطَّعام واللِّباس(٧)، إلا ما يأكل ويلبس أهل السِّياحة من بني إسرائيل، وهمُّوا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام اللَّيل وصيام النَّهار، فنزلت هذه الآية(٨).

(١) قوله: (وروى أبو صالح عن ابن عباس)، ليس في (م).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) انظر: الدُّر المنثور (٣/ ١٤٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٠٩) بلفظ مطول.

(٥) في (ج): (وسلمان).

(٦) المِسْحُ بِالْكَسْرِ: البِلَاسُ بِكَسْر الموحَّدة وتفتح، ثَوْبٌ من الشَّعرِ غليظٌ، كَذَا فِي التَّهْذِيب، وَالْجَمْعُ: الْمُسُوحُ انظر: تاج العروس (٧/ ١٢٢) مادة (مسح)، والمصباح المنير (٢/ ٥٧١) مادة (مسح).

(٧) في (ج): (وحرَّموا الطَّيِّبات واللِّباس).

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦١٢).

والثَّاني: أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني إذا أكلت من هذا اللَّحم، أقبلت على النِّساء، وإني حرَّمته عليَّ، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عبَّاسٍ[١].

والثَّالث: أن ضيفًا نزل بعبد الله بن رواحة، ولم يكن حاضرًا، فلما [٢٠٩/أ] جاء[٢]، قال لزوجته: هل أكل الضَّيف؟ فقالت: انتظرتك. فقال: حبست ضيفي من أجلي؟! طعامك عليَّ حرام. فقالت[٣]: وهو عليَّ حرام إن لم[٤] تأكله، فقال الضَّيف: وهو عليَّ حرام إن لم[٥] تأكلوه[٦]، فلما رأى ذلك ابن رواحة قال: قرِّبي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النَّبيِّ ﷺ، فأخبره بذلك فقال[٧]: «أَحْسَنْتَ». ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ رواه عبد الرَّحمن بن زيد عن أبيه[٨].

فأما «الطَّيِّبات» فهي اللَّذيذات التي تشتهيها النُّفوس ممَّا أبيح.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم (٦٦٨٧) في تفسيرهما من أبي عاصم الضَّحَّاك بن مخلد، عن عثمان بن سعيد، عن عكرمة، به، بنحوه.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (م): (فقال).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ت)، و(ر): (تأكله).

(٧) في (ت)، و(ر): (وقال).

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم (٦٦٩٢) في تفسيرهما من طريق يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد، به، بنحوه.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: لا تجبُّوا أنفسكم، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وقتادة، وإِبراهيم.

والثَّاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن.

والثَّالث: لا تسيروا بغير سيرة المسلمين مِن ترك النِّساء، وإِدامة الصِّيام، والقيام، قاله عكرمة.

والرَّابع: لا تحرِّموا الحلال، قاله مقاتل[1].

والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرَّمة، ذكره الماورديُّ[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩].

قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

سبب نزولها:

أنه لما نزل قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال القوم الذين كانوا حرَّموا النِّساء واللَّحم: يا رسول الله كيف نصنع بأيْمانِنا التي حلفنا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ[3].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٩).

(٢) انظر: تفسير النُكت والعيون (٢/ ٥٩).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦١٦).

وقد سبق ذكر «اللَّغو» في «سورة البقرة».

قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ[١]﴾ بغير ألف، مشدَّدة القاف.

قال أبو عمرو: معناها: وَكَّدتم.

وقرأ أبو بكر، والمفضَّل عن عاصم: «عقَدْتُم» خفيفة بغير ألف[٢]، واختارها[٣] أبو عبيد[٤].

قال ابن جرير[٥]: معناها: أوجبتموها على أنفسكم[٦].

وقرأ ابن عامر: «عاقدتم» بألف، مثل «عاهدتم»[٧].

قال القاضي أبو يعلى: وهذه القراءة المشدَّدة لا تحتمل إلا عقد قول[٨]، فأما المخفَّفة، فتحتمل عقد القلب، وعقد القول.

---

(١) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) من قوله: (معناها: أوجبتموها)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ج): (اختارها).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧)، والحجَّة (١/ ١٣٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٥) في (ج): (ابن جُبَير)!.

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٦).

(٧) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧)، والحجَّة (١/ ١٣٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٨) في (م): (لا تحتمل على قول).

وذكر المفسِّرون في معنى الكلام قولين:

أحدهما: ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم عليه قلوبكم[١] في التَّعمُّد لليمين، قاله مجاهد.

والثَّاني: بما عقَّدتم عليه قلوبكم أنه كذب، قاله سعيد بن جُبَيْر.

قوله: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ قال ابن جرير[٢]: الهاء عائدةٌ على «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾[٣].

فصلٌ

فأما إِطعام المساكين:

فروي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عبَّاسٍ، والحسن في آخرين: أن لكلِّ مسكين مُدَّ بُرٍّ، وبه قال مالك، والشَّافعي.

وروي عن عمر، وعلي، وعائشة في آخرين: لكلِّ مسكين نصف صاع من بُرٍّ.

قال عمر، وعائشة: أو[٤] صاعًا من تمر. وبه قال أبو حنيفة.

[٢٠٩/ب] ومذهب أصحابنا في جميع الكفَّارات التي فيها إِطعام، مثل كفارة اليمين، والظِّهار، وفدية الأذى، والمفرِّطة في قضاء رمضان: مُدُّ بُرٍّ، أو نصف صاع تمر أو شعير.

---

(١) زاد في (م) هنا: (أنه كذب)!.

(٢) في (ج): (ابن جُبَير)!.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٨).

(٤) ليست في (ج).

ومِنْ شرط صحَّة الكفَّارة:

تمليك الطَّعام للفقراء، فإن غدَّاهم وعشَّاهم، لم يجزئه، وبه قال سعيد بن جُبَيْر، والحكم، والشَّافعي.

وقال الثَّوري، والأوزاعي: يجزئه، وبه قال أبو حنيفة، ومالك.

ولا يجوز صرف مُدَّين إلى مسكين واحد، ولا إخراج القيمة في الكفَّارة، وبه قال الشَّافعي.

وقال أبو حنيفة: يجوز.

قال الزَّجَّاج: وإنما وقع لفظ التَّذكير في المساكين، ولو كانوا إناثًا لأجزأ، لأن المغلَّب في كلام العرب التَّذكير(١).

وفي قوله: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ قولان:

أحدهما: من أوسطه في القدر، قاله عمر، وعلي، وابن عبَّاسٍ، ومجاهد.

والثَّاني: مِن أوسط أجناس الطَّعام، قاله ابن عمر، والأسود، وعبيدة، والحسن، وابن سيرين.

وروي عن ابن عبَّاسٍ قال: كان(٢) أهل المدينة للحُرِّ مِن القوت أكثر ما للمملوك، وللكبير أكثر مما للصغير، فنزلت: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ ليس بأفضله ولا بأخسِّه(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٢).

(٢) ليست في (ج)، و(ر).

(٣) انظر: أحكام القرآن؛ للجصَّاص (٤/ ١١٨)، ولفظه: «كَانَ لِأَهْلِ المدينة قوت، وكان للكبير أكثر مما للصغير، وَلِلْحُرِّ أَكْثَرُ مِمَّا لِلْمَمْلُوكِ».

وفي ﴿كِسْوَتُهُمْ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أنها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وطاوس، وعطاء، والشَّافعي.

والثَّاني: ثوبان، قاله أبو موسى الأشعري، وابن المسيَّب، والحسن، وابن سيرين، والضَّحَّاك.

والثَّالث: إِزار ورداء وقميص، قاله ابن عمر.

والرَّابع: ثوب جامع كالملحفة، قاله إِبراهيم النَّخعي.

والخامس: كسوة تجزئ فيها الصَّلاة، قاله مالك.

ومذهب أصحابنا: أنه إِن كسا الرَّجل، كساه[1] ثوبًا، والمرأة ثوبين، درعًا وخمارًا، وهو أدنى ما تُجزئ فيه الصَّلاة.

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي وأبو الجوزاء ويحيى بن يعمر: «أو كُسوتهم» بضم الكاف.

وقد قرأ[2] سعيد بن جُبَيْر وأبو العالية وأبو نهيك ومعاذ القارئ: «أو كإِسوتِهم» بهمزة مكسورة مفتوحة الكاف مكسورة[3] التاء والهاء.

وقرأ ابن السَّمَيْفع[4] وأبو عمران الجوني مثله، إِلا إِنهما فتحا الهمزة[5].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (وقرأ).

(٣) في (ت)، و(ر): (بكسرة).

(٤) قوله: (وقرأ ابن السَّمَيْفع)، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) انظر: المحتسب؛ لابن جنّي (١/ ٢١٨)، والمختصر في شواذّ القرآن (ص: ٤٠) والمحرر=

قال الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): ولا أرى هذه القراءة جائزة؛ لأنها تسقط أصلًا من أصول الكفارة(٢).

قوله: ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ تحريرها: عتقها. والمراد بالرَّقبة: جملة الشَّخص.

واتفقوا على اشتراط إيمان الرَّقبة في كفَّارة القتل لموضع النَّصِّ.

واختلفوا في إيمان الرَّقبة المذكورة في هذه الكفَّارة على قولين:

أحدهما: أنه شرط، وبه قال الشَّافعي، لأن الله تعالى قيَّد بذكر الإيمان في كفَّارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيَّد.

والثَّاني: ليس بشرط، وبه قال أبو حنيفة. [٢١٠/أ]

وعن أحمد ﷺ في إيمان الرَّقبة المعتقة في كفارة اليمين، وكفارة الظِّهار، وكفَّارة الجماع، والمنذورة: روايتان.

قوله: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾.

اختلفوا فيما إذا لم يجده، صام، على خمسة أقوال:

أحدها: أنه إذا لم يجد درهمين صام، قاله الحسن.

والثَّاني: ثلاثة دراهم، قاله سعيد بن جُبَيْر.

=الوجيز (٢/ ٢٣٠)، والبحر المحيط (٤/ ٣٥٣).

(١) قوله: (قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ليس في (ج)، و(م).

(٢) هذه العبارة كلُّها ليست في (ت)، و(ر).

والثَّالث: إذا لم يجد[1] إلا قَدْرَ ما يُكَفِّر به، صام، قاله قتادة.

والرَّابع: مائتي درهم، قاله أبو حنيفة.

والخامس: إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته[2] يومه وليلته، قاله أحمد، والشَّافعي ﷺ.

وفي تتابع الثَّلاثة أيام، قولان:

أحدهما: أنه شرط، وكان أُبيٌّ[3]، وابن مسعود[4] يقرآن: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات». وبه قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وطاوس، وعطاء، وقتادة، وأبو حنيفة، وهو قول أصحابنا.

والثَّاني: ليس بشرط، ويجوز التَّفريق، وبه قال الحسن، ومالك.

وللشَّافعي فيه[5] قولان.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ فيه إضمار تقديره: إذا حلفتم وحنثتم.

---

(١) من قوله: (درهمين صام، قال الحسن)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (عياله).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٥٢)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٦٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٦١٠٣)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٩٨)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٥٢) وغيرهم.

(٥) ليست في (م).

وفي قوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أقِلُّوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤].

وأنشدوا(١)[من الطويل]:

قَلِيلُ الْأَلَايَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ ....

والثَّاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها.

والثَّالث: راعوها لكي تؤدُّوا الكفَّارة عند الحنث فيها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن سعد بن أبي وقَّاص أتى نفرًا من المهاجرين والأنصار، فأكل عندهم، وشرب الخمر قبل أن تُحرَّم، فقال: المهاجرون خير من الأنصار، [فتنازعوا في ذلك](٢)، فأخذ رجلٌ لَحْي جمل فضربه [به](٣)،

---

(١) البيت لكثير عزة في ديوانه (ص: ٣٢٥)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٤/ ٤٠) (ألا)، ومجمل اللُّغة (١/ ٢٠٣).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) من (م).

فجدع أنفه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه[١].

وقال سعيد بن جُبَيْر: صنع رجل من الأنصار صنيعًا، فدعا سعد بن أبي وقَّاص، فلما أخذت فيهم الخمرة[٢] افتخروا واستبُّوا[٣]، فقام الأنصاري إلى لَحْي بعير[٤]، فضرب به رأس سعد، فإذا الدَّم على وجهه، فذهب سعد يشكو إلى النَّبيِّ ﷺ، فنزل[٥] تحريم الخمر في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿تُفْلِحُونَ﴾[٦].

والثَّاني: أن عمر بن الخطَّاب قال[٧]: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت التي في «البقرة»، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت التي[٨] في «النِّساء» ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [الآية:٤٣] فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت[٩] هذه الآية،

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٥٩).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (الخمر).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (جمل).

(٥) في (ت): (فنزلت).

(٦) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٧) ليست في (م).

(٨) ليست في (ت)، و(ر).

(٩) من قوله: (التي في النساء)... إلى هنا، ليس في (ج).

رواه أبو ميسرة عن عمر(١).

والثَّالث: أن ناسًا من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضًا، وتكلَّموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي [٢١٠/ ب] طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا(٢)، فلما ثَمِلوا عبث بعضهم ببعض، فلما صحَوْا جعل الرَّجل [منهم](٣) يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان!، والله لو كان بي رؤوفًا ما(٤) صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضَّغائن، وكانوا إِخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ(٥).

وقد ذكرنا «الخمر» و«الميسر» في «البقرة»(٦).

وذكرنا في «النُّصب» في أوَّل هذه السُّورة قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسِّرون في الأنصاب، وذكرنا هناك «الأزلام».

---

(١) رواه أحمد (١/ ٥٣)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والتِّرمذي (٣٠٤٩)، والنَّسائي (٥٥٤٠)، وفي الكبرى (٥٠٣١)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٥٧)، وابن المنذر في تفسيره (١٧٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٣٥١) وغيرهم من طُرق عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة عمرو بن شُراحيل، به.

(٢) في (م): (الخمر شربوا).

(٣) زيادة من (م).

(٤) في (ت)، و(ر): (فما).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٦٠).

(٦) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٩).

فأما «الرِّجس»:

فقال الزَّجَّاج: هو اسمٌ لكلِّ ما اسْتُقْذِرَ من عمل، يقال: رَجُس الرَّجل يرجُس، ورَجِسَ يَرْجَسُ: إِذا عمل عملًا قبيحًا، و«الرَّجس» بفتح الراء: شدَّة الصَّوت، فكأن الرِّجسَ، العملُ الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: رعدٌ رجَّاس: إِذا كان شديد الصَّوت[1].

قوله: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: من تزيين الشَّيطان[2].

فإن قيل: كيف نُسِبَ إِليه، وليس من فعله؟

فالجواب: أن نسبته إِليه مجاز، وإِنما نسب إِليه، لأنه هو الداعي إِليه، والمزيِّن له، ألا ترى أن رجلًا لو أغرى رجلًا بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: اتركوه. واشتقاقه في اللُّغة: كونوا جانبًا منه[3].

فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟

فالجواب: أن الهاء عائدةٌ على الرِّجس، والرِّجس واقعٌ على الخمر،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٧٦١) عن ابن جُبَيْر.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٥).

والميسر، والأنصاب[1]، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقعٌ عليه، ومنبئ[2] عنه، ذكره ابن الأنباريِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩١، ٩٢].

قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ[3]﴾.

أما ﴿ٱلْخَمْرِ﴾ فوقوع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والمماراة.

وأما «الميسر»:

فقال قتادة: كان الرَّجل يقامر على أهله وماله، فيُقمَرُ ويبقى حزينًا سليبًا، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء[4].

قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه الأمر. تقديره: انتهوا.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (ومبني).

(٣) قوله: ﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾، ليس في (ت).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٦٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

قال الفرَّاء: ردَّد عليَّ أعرابيٌّ: هل أنت ساكتٌ؟ [هل أنت ساكتٌ؟][(١)]، وهو يريد: اسكت، اسكت[(٢)] [(٣)].

والثَّاني: أنه استفهام، لا بمعنى الأمر.

ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: إنها لم تُحرِّمها[(٤)]، إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم ننته، فلما نزلت: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف:٣٣] حُرِّمت، لأن «الإِثم» اسمٌ للخمر. [٢١١/أ]

[وأنشدوا[(٥)] [من الوافر]:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ذَلَّ عَقْلِي ... كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ][(٦)]

وهذا القول ليس بشيء، والأوَّل أصحُّ[(٧)].

قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمَرَاكم ﴿وَٱحْذَرُواْ﴾ خلافهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ محمد[(٨)] ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وهذا

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر)، وليست في الأصل، ولا في معاني القرآن؛ للفرَّاء.

(٢) في (ج): (اسكت)، مرة واحدة دون تكرار.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٥٤).

(٤) في (ت)، و(ر): (لم تُحرَّم).

(٥) بلا نسبة في الزَّاهر (٢/ ٢١)، ولسان العرب (٦/ ١٢)، وتهذيب اللُّغة (١٥/ ١٦١).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٧) قوله: (والأوَّل أصحُّ)، ليس في (ت)، و(ر).

(٨) ليست في (ج).

وعيدٌ لهم، كأنه قال: فاعلموا أنكم قد استحققتم العقاب لتولّيكم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣].

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾.

سبب نزولها:

أن ناسًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ ماتوا وهم يشربون الخمر، إذ كانت مباحة، فلما حرِّمت قال ناس: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم[١] يشربونها؟! فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب[٢].

و«الجُناح»: الإثم.

وفيما[٣] طعموا ثلاثة[٤] أقوال:

أحدها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عبَّاسٍ، والجمهور.

قال ابن قُتَيْبَة: يقال: لم أطعم خُبْزًا ولا ماءً ولا نومًا[٥][٦].

(١) من قوله: (يشربون الخمر، إذ كانت)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) رواه التِّرمذي (٣٠٥٠ـ ٣٠٥١)، وأبو يعلى في مسنده (١٧١٩)، وابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٦٧)، وابن أبي حاتم (٦٧٧٥) في تفسيرهما.

(٣) في (ت)، و(ر): (فيما).

(٤) في (ج): (فيه).

(٥) قوله: (ولا نومًا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٥).

قال الشَّاعر[١][من الطويل]:

فَـإنْ شـئتِ حرَّمتُ[٢] النِّسـاء سِـواكُمُ   وإِن شـئتِ لم أطْعَمْ نُقَاخـا[٣] ولا بَرْدَا

النُّقاخ: الماء البارد[٤] الذي ينقخ الفؤاد ببرده[٥][٦]، والبرد: النَّوم[٧].

والثَّاني: ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر.

والثَّالث: ما طعموا من المباحات.

وفي قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَواْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: اتقوا بعد التَّحريم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: اتقوا المعاصي والشِّرك.

والثَّالث: اتقوا مخالفة الله في أمره.

وفي قوله: ﴿وَءَامَنُواْ﴾ قولان:

أحدهما: آمنوا بالله ورسوله.

---

(١) البيت للعرجي في ديوانه (ص: ١٠٩)، ولسان العرب (٣/ ٦٥ـ ٨٥)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٢٩٢، ٢/ ١٠)، وتاج العروس (٧/ ٣٦١).

(٢) سقطت من (ج).

(٣) في (ج): (تقاخا)!.

(٤) ليست في (ج).

(٥) قوله: (البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده)، ليس في (م).

(٦) قوله: (الماء البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده)، ليس في (ت)، و(ر).

(٧) قوله: (والبرد: النوم)، ليس في (ج).

والثَّاني: آمنوا بتحريمها.

قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال مقاتل: أقاموا على الفرائض[(١)(٢)].

قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾.

في هذه التَّقوى المعادة أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد خوف الله ﷻ.

والثَّاني: أنها تقوى الخمر والميسر بعد التَّحريم.

والثَّالث: أنها الدَّوام على التَّقوى.

والرَّابع: أن التَّقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التَّحريم، والثَّانية لمن شربها بعد التَّحريم.

قوله: ﴿وَءَامَنُواْ﴾.

في هذا الإيمان المُعاد قولان:

أحدهما: صدَّقوا بجميع ما جاء به محمد ﷺ.

والثَّاني: آمنوا بما يجيء من النَّاسخ والمنسوخ.

قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ﴾.

في هذه التَّقوى الثَّالثة أربعة أقوال:

أحدها: اجتنبوا العودَ إلى الخمر بعد تحريمها، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) هذه العبارة كلها ليست في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٣).

والثَّاني: اتقوا ظلم العباد.

والثَّالث: توقَّوا الشُّبهات.

والرَّابع: اتقوا جميع المحرَّمات.

وفي الإحسان قولان:

أحدهما: أحسنوا العمل بترك شربها بعد التَّحريم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أحسنوا العمل بعد تحريمها، قاله مقاتل[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة: ٩٤].

[٢١١/ب] قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾.

قال المفسِّرون: لما كان عام الحديبية، وأقام النَّبيُّ ﷺ بالتَّنعيم، كانت الوحوش والطَّير تغشاهم في رحالهم، وهم مُحرِمون، فنزلت هذه الآية، ونهوا عنها ابتلاءً.

قال الزَّجَّاج: اللام في ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ لام القسم، ومعناه: لنختبرنَّ[2] طاعتكم من معصيتكم[3].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٣).

(٢) في (ت)، و(ر): (ليختبرن).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٦).

وفي «مِن» قولان:

أحدهما: أنها للتَّبعيض.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى صيد البرِّ دون صيد البحر.

والثَّاني: أنه لمَّا عنى الصيد ما داموا في الإِحرام كان ذلك بعض الصيد.

والثَّاني: أنها لبيان الجنس، كقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

قوله: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾.

قال مجاهد: الذي تناله اليد: الفراخ والبيض، وصغار الصَّيد، والذي تناله الرِّماح: كبار الصَّيد(١).

قوله: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾.

قال مقاتل: ليرى الله ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ولم يره، فلا يتناول الصَّيد وهو مُحرم ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ فأخذ الصَّيد عمدًا بعد النَّهي للمُحرِم عن قتل الصَّيد ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: يوسع بطنه وظهره جلدًا، ويسلب ثيابه(٢).

---

(١) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٣١٥)، وابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٦٧٨٦) في تفسيرهما من طريق بن أبي نجيح، به.

(٢) انظر: البحر المحيط؛ لأبي حيَّان (٤/ ٣٦٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة: ٩٥].

قوله: ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

بيَّن الله ﷻ بهذه الآية من أيِّ وجهٍ تقع[1] البلوى، وفي أيِّ زمانٍ، وما على من قتله بعد النَّهي.

وفي قوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: وأنتم محرمون بحجٍّ أو عمرة، قاله الأكثرون.

والثَّاني: وأنتم في الحرم، يقال: أحرم: إذا دخل في الحرم، وأنجد: إذا أتى نجدًا.

والثَّالث: الجمع بين القولين.

قوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن يتعمَّد قتله ذاكرًا لإحرامه، قاله ابن عبَّاسٍ، وعطاء.

والثَّاني: أن يتعمَّد قتله ناسيًا لإحرامه، قاله مجاهد.

(١) في (ج): (يقع).

فأما قتله خطأً، ففيه قولان:

أحدهما: أنه كالعمد، قاله عمر، وعثمان، والجمهور.

قال الزُّهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السُّنَّة في الخطأ(١).

يعني: ألحقت المخطئ بالمتعمِّد في وجوب الجزاء.

وروي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**الضَّبُعُ صَيْدٌ**(٢) **وَفِيْهِ كَبْشٌ إِذاَ قَتَلَهُ الْمُحْرِمُ**»(٣).

وهذا عامٌّ في العامد والمخطئ(٤).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٧٨) من طريق هشيم، عن بعض أصحاب الزهري، به.

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٩٧)، والدارمي (١٩٤٢)، وأبو داود (٣٨٠١)، والتِّرمذي (٨٥١-١٧٩١)، والنَّسائي (٢٨٣٦)، وفي الكبرى (٣٨٠٥-٤٨١٦)، وابن ماجه (٣٢٣٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٦٤٥) من طُرق عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي عمار، عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، بلفظ: سَأَلْتُ جَابِرًا، فَقُلْتُ: الضَّبُعَ آكُلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَصَيْدٌ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَسَمِعْتَ ذَاكَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ.

ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٦٤٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٢٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٩٢) من طريق حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا. بلفظ: «**الضَّبُعُ صَيْدٌ؛ فَإِذَا أَصَابَهُ الْمُحْرِمُ فَفِيهِ جَزَاءُ كَبْشٍ مُسِنٍّ، وَيُؤْكَلُ**».

وصححه البخاري، والتِّرمذي، وابن حبان، انظر: نصب الراية (٣/ ١٣٤- ١٣٥)، والبدر المنير (٦/ ٣٥٩- ٣٦٠)، والتلخيص الحبير (٢/ ٥٨٩- ٥٩٠).

(٤) في (م): (وهذا عامٌّ في العامل والعامد والمخطئ).

قال القاضي أبو يعلى: أفاد تخصيص العمد بالذِّكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد، وإنما يختصُّ ذلك بالعامد.

والثَّاني: أنه لا شيء فيه، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن جُبَيْر، وطاوس، وعطاء، وسالم، والقاسم، وداود.

وعن أحمد ﷺ روايتان، أصحُّهما الوجوب.

قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فجزاءُ مثلِ» مضافة وبخفض «مثل».

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ منون ﴿مِّثْلُ﴾[1] مرفوع[2].

قال أبو عليٍّ: من أضاف، فقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ يكون صفة للجزاء، وإنما قال: ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، لأنهم [٢١٢/أ] يقولون: أنا أُكرِمُ مثلك، يريدون: أنا أُكرِمُك، فالمعنى: جزاء ما قتل. ومَن رفع «المثل»، فالمعنى: فعليه جزاء من النَّعم مماثل للمقتول[3]، والتَّقدير: فعليه جزاء من النَّعم مماثل ما قتل من الصَّيد[4].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧ـ٢٤٨)، والحجَّة (٣/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٥٦).

قال ابن قُتَيْبة: النَّعَم: الإِبل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإِبل(١).

وقال الزَّجَّاج: النَّعم في اللغة: الإِبل والبقر والغنم، فإن انفردت الإبل، قيل لها: نَعَمٌ(٢)، وإن(٣) انفردت البقر والغنم، لم تُسمَّ نَعَمًا(٤).

فصلٌ

قال القاضي أبو يعلى: والصَّيد الذي يجب الجزاء بقتله: ما كان مأكول اللَّحم، كالغزال، وحمار الوحش، والنَّعامة، ونحو ذلك، أو كان متولِّدًا من حيوان يؤكل لحمه، كالسِّمْع(٥)(٦)، فإنه متولِّد من الضَّبع، والذِّئب، وما عدا ذلك من السِّباع كلِّها، فلا جزاء على قاتلها سواء ابتدأ قتلها، أو عدت عليه فقتلها دفعًا عن نفسه، لأن السَّبع لا مثل له صورة ولا قيمة، فلم يدخل تحت الآية.

ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ أجاز للمحرم قتل الحيَّة، [والعقرب](٧)، والفويسقة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور، والسَّبع العادي.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٠٢).

(٢) في الأصل: (نعمًا)، والمثبت من بقية النسخ، وهو الذي في معاني القرآن وإعرابه.

(٣) في (ج): (وإذا).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٧).

(٥) في (م): (كالسَّبع)!.

(٦) السِّمْع: ولد الذئب من الضَّبع. انظر: المصباح المنير؛ للفيومي (١/ ٢٨٩).

(٧) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

قال: والواجب بقتل الصَّيد فيما له مثلٌ من الأنعام مثله، وفيما لا مثل له قيمته.

وهو قول مالك، والشَّافعي.

وقال أبو حنيفة: الواجب فيه القيمة، وحمل المثل على القيمة(١)(٢).

وظاهرُ الآية يردُّ ما قال، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم حملوا الآية على المثل من طريق الصُّورة(٣)، فقال ابن عبَّاسٍ: المثل: النَّظير، ففي الظَّبية شاة، وفي النَّعامة بعير(٤).

قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين.

وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني: من أهل ملَّتكم.

قوله: ﴿هَدْيَا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾.

قال الزَّجَّاج: هو منصوب على الحال، والمعنى: يحكمان به مقدَّرًا أن يهدى(٥)(٦).

---

(١) في (ت)، و(ر): (وقال أبو حنيفة: الواجب حمل المثل على القيمة).

(٢) انظر: المبسوط؛ للسَّرخسي (٤/ ٩٣).

(٣) في (م): (من طريق العادة الصورة).

(٤) انظر: أحكام القرآن؛ للجصَّاص (٤/ ١٣٤).

(٥) في (ج): (هذا).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٨).

ولفظ قوله: ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ لفظ معرفة، ومعناه: النَّكرة. والمعنى: بالغًا الكعبة، إلا أن التَّنوين حُذف استخفافًا.

قال ابن عبَّاسٍ: إذا أتى مكَّة ذبحه، وتصدَّق به[1][2].

قوله: ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي[3]: أَوْ ﴿كَفَّٰرَةٞ﴾ منونًا ﴿طَعَامُ﴾ رفعًا.

وقرأ نافع، وابن عامر: «أو كفَّارةُ» رفعًا غير منوَّن، «طعامِ مساكين[4]» على الإضافة[5].

قال أبو علي: من رفع ولم يضف، جعله عطفًا على الكفارة عطف بيان، لأن الطَّعام هو الكفارة[6]، ولم يضف الكفارة إلى الطَّعام، لأن الكفارة لقتل الصيد، لا للطعام، ومن أضاف الكفارة إلى الطَّعام، فلأنه لما خيَّر المكفِّر بين الهدي، والطَّعام، والصِّيام[7]، جازت الإضافة لذلك، فكأنه [٢١٢/ب]

---

(١) في (م): (إذا أتى مكَّة تصدَّق به).

(٢) انظر: التَّفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٢٩).

(٣) قوله: (والكسائي)، ليس في (م).

(٤) قوله: (عطف بيان، لأن الطَّعام هو الكفارة)، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٨)، والحجَّة (٢/ ٢٧٣)، والمبسوط (١/ ١٨٨).

(٦) في (ت)، و(ر): (مسكين).

(٧) في (م): (والصَّيد).

قال: كفارةُ طعامٍ، لا كفارة هدي، ولا صيام. والمعنى[١]: أو عليه بدل الجزاء والكفارة، وهي طعامُ مساكين[٢].

وهل يعتبر في إِخراج الطَّعام قيمة النَّظير، أو قيمة الصَّيد؟

فيه قولان:

أحدهما: قيمة النَّظير، وبه قال عطاء، والشَّافعي، وأحمد.

والثَّاني: قيمة الصَّيد، وبه قال قتادة، وأبو حنيفة، ومالك.

وفي قدر الإِطعام لكلِّ مسكين قولان:

أحدهما: مُدَّان من بُرٍّ، وبه قال ابن عبَّاسٍ، وأبو حنيفة[٣].

والثَّاني: مُدُّ بُرٍّ، وبه قال الشَّافعي.

وعن أحمد روايتان، كالقولين.

قوله: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾.

قرأ أبو رزين، والضَّحَّاك، وقتادة، والجحدري، وطلحة: «أو عِدل ذلك»، بكسر العين[٤].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٥٨).

(٣) في (ج): (وبه قال أبو حنيفة).

(٤) انظر: التَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٥١٢)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢٤٠)، وفي مختصر شواذ القرآن (ص: ٤٠): قراءة النبي ﷺ وابن عبَّاس.

وقد شرحنا هذا المعنى في «البقرة».

قال أصحابنا: يصوم عن كل مُدِّ بُرٍّ، أو نصف صاع تمر، أو شعير يومًا.

وقال أبو حنيفة: يصوم يومًا عن نصف صاع في الجميع.

وقال مالك، والشَّافعي: يصوم يومًا[1] عن كلِّ مُدٍّ من الجميع.

فصلٌ

وهل هذا الجزاء على التَّرتيب، أم على التَّخيير؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه على التَّخيير[2] بين إخراج النَّظير، وبين الصِّيام، وبين الإطعام.

والثَّاني: أنه على التَّرتيب، إن لم يجد الهدي، اشترى طعامًا، فإن كان معسرًا صام، قاله ابن سيرين.

والقولان مرويَّان عن ابن عبَّاسٍ، وبالأوَّل قال جمهور الفقهاء.

قوله: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ أي: جزاء ذنبه.

قال الزَّجَّاج: «الوَبَالُ»: ثِقَلُ الشيءِ في المكروه، ومنه قولهم: طعامٌ وبيل، وماءٌ وبيل: إذا كانا ثقيلين. قال الله ﷻ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل:١٦] أي: ثقيلًا شديدًا[3].

---

(١) من قوله: (عن نصف صاع في الجميع)... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) قوله: (فيه قولان: أحدهما: أنه على التَّخيير)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٨).

قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ما سلف في الجاهليَّة، من قتلهم الصَّيد، وهم محرمون، قاله عطاء.

والثَّاني: ما سلف من قتل الصَّيد في أول مرَّة، حكاه ابن جرير[1][2]. والأوَّل أصحُّ.

فعلى القول الأوَّل يكون معنى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإِسلام.

وعلى الثَّاني: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانية بعد أولى.

قال أبو عبيدة: «عاد» في موضع يعود، وأنشد[3][من البسيط]:

إِن يَسْمَعُوا رِيبةً طارُوا بهَا فَرَحاً وإِنْ ذكرتُ بسوءٍ عندهمْ أذِنُوا

قوله: ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ «الانتقام»: المبالغة في العقوبة.

وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إِيجاب جزاء ثانٍ إِذا عاد، وهذا قول الجمهور، وبه قال مالك[4]، والشَّافعي، وأحمد.

---

(١) في (ج): (ابن جبير)!.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٧١١ـ ٧١٢).

(٣) البيت لقعنب ابن أم صاحب. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٧٦ـ ١٧٧)، ولسان العرب (٤/ ٤٣٤ ــ ١٣/ ١٠)، وأمالي بن الشَّجري (٢/ ٢٣٣).

(٤) مكانها بياض في (ت).

وقد روي عن ابن عبَّاسٍ، والنَّخعي، وداود: أنه لا جزاء عليه في الثَّاني، إنَّما وعد بالانتقام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦].

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾.

قال أحمد: يؤكل كلُّ ما في البحر[١] إلا الضِّفدِع والتِّمساح، لأن [٢١٣/أ] التِّمساح[٢] يأكل النَّاس يعني: أنه يَفْرِسُ.

وقال أبو حنيفة، والثَّوري: لا يباح منه إلا السَّمك.

وقال ابن أبي ليلى، ومالك: يباح كلُّ ما فيه[٣] من ضفدع وغيره.

فأما «طعامه» ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما نبذه البحر ميِّتًا، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر، وأبو أيوب، وقتادة.

والثَّاني: أنه مالحه، قاله سعيد بن المسيب، وسعيد بن جُبَيْر[٤]، والسُّدِّي، وعن ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وعكرمة كالقولين.

---

(١) في (م): (قال أحمد: يؤكل جميع ما في الموت البحر)!.

(٢) قوله: (لأن التِّمساح)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) في (م): (في البحر).

(٤) في (م): (قاله سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب).

واختلفت الرِّواية عن النَّخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح، وما لَفَظَهُ.

والثَّالث: أنه ما نبت بمائه من زروع البَرِّ، وإنما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه ينبت بمائه، حكاه الزَّجَّاج[1].

وفي «المتاع» قولان:

أحدهما: أنه المنفعة، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، وقتادة.

والثَّاني: أنه الحِلُّ؛ قاله النَّخعي.

قال مقاتل: متاعًا لكم يعني المقيمين، وللسَّيارة، يعني المسافرين[2][3].

قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

أما الاصطياد فمحرَّم على المُحْرِم[4]، فإن صيد لأجله، حَرُم عليه أكله خلافًا لأبي حنيفة، فإن أكل فعليه الضمان خلافًا لأحد قولي الشَّافعي.

فإن ذبح المُحرم صيدًا، فهو ميتة، خلافًا لأحد قولي الشَّافعي أيضًا[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٩).

(٢) في (ج): (والسيارة والمسافرين).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٦).

(٤) قوله: (على المحرم)، ليس في (ج).

(٥) ليست في (ج).

فإن ذبح الحلال صيدًا في الحرم، فهو ميتة أيضًا، خلافًا[(١)(٢)] لأكثر الحنفيَّة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٧، ٩٨].

قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ «جعل» بمعنى: صيَّر.

وفي تسمية الكعبة «كعبة» قولان:

أحدهما: لأنها مربَّعة، قاله عكرمة، ومجاهد.

والثَّاني: لعُلُوِّها ونتوئها، يقال: كعبت المرأة كعابة، وهي كاعب، إذا نتأ ثديها[(٣)].

ومعنى تسمية البيت حرام:

أنه حَرُم أن يُصاد عنده، وأن يُختلى ما عنده من الخلا، وأن يُعضَدَ شجرُه، وعظمت حرمته.

والمراد: بتحريم البيت سائر الحرم، كما قال: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وأراد: الحرم. والقيام: بمعنى القوام.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من قوله: (لأحد قولي الشَّافعي أيضًا)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٦٥)، والصحاح (١/ ٢١٣)، والمخصص (١/ ٦٦)، ولسان العرب (١/ ٧١٩)، والقاموس المحيط (١/ ١٣١).

وقرأ ابن عامر: «قِيَمًا» بغير ألف[١].

قال أبو عليٍّ: وجهه على أحد أمرين، إما أن يكون جعله مصدرًا، كالشِّبع. أو حذف الألف وهو يريدها، كما يُقصر الممدود[٢].

وفي معنى الكلام ستَّة أقوال:

أحدها: قيامًا[٣] للدِّين[٤]، ومعالم للحجِّ[٥]، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: قيامًا لأمرِ مَن توجَّه إليها، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

قال قتادة: كان الرَّجل لو جرَّ كلَّ جريرة، ثم لجأ إليها[٦]، لم يتناول[٧].

والثَّالث: قيامًا لبقاء الدِّين، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّت واستُقْبِلت، قاله الحسن.

والرَّابع: قوام دنيا[٨] وقوام دين، قاله أبو عبيدة[٩].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٢٦)، والحجَّة (٣/ ٢٥٨)، والمبسوط (١/ ١٨٨).

(٢) انظر: السَّبعة (٢/ ٢٥٩).

(٣) في (ج): (قوامًا).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (للناس).

(٥) في (ت)، و(م)، و(ر): (ومعالم الحج).

(٦) من قوله: (رواه العوفي)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٩)، وابن المنذر (٧٣٥) في تفسيرهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بلفظ مطول.

(٨) في (ج): (دليل).

(٩) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٧٧).

والخامس: قيامًا للنَّاس(١)، أي: مما أُمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزَّجَّاج(٢).

والسَّادس: قيامًا لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التِّجارة [٢١٣/ ب] عندها(٣)، ذكره بعض المفسِّرين.

فأما «الشَّهر الحرام» فالمراد به الأشهر الحرم، كانوا يأمن بعضهم بعضًا فيها، فكان ذلك قوامًا لهم، وكذلك إذا أهدى الرَّجل هديًا أو قلَّد بعيره أمِنَ كيف تصرَّف، فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للنَّاس بما جعل في صدورهم من تعظيمها.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾.

ذكر ابن الأنباريِّ في المشار إليه بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم، وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لتعلموا، أي: ذلك الغيب الذي أنبأتكم به عن الله يدلُّكم على أنه يعلم ما في السَّماوات وما في الأرض، ولا يخفى(٤) عليه خافية.

---

(١) في (ت)، و(ر): (والخامس: وللناس).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٠).

(٣) في (ت)، و(ر): (عنده).

(٤) في (ت)، و(ر): (تخفى).

والثَّاني: أن العرب[١] كانت تسفك الدِّماء بغير حلِّها، وتأخذ الأموال بغير حقِّها، ويقتل أحدهم غير القاتل، فإذا دخلوا البلد الحرام، أو دخل الشَّهر الحرام، كفُّوا عن القتل.

والمعنى: جعل الله الكعبة أمنًا، والشَّهر الحرام أمنًا، إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتًا يزول فيه الخوف هلكوا، فذلك يدلُّ على أنه يعلم ما في السَّماوات وما في الأرض[٢].

والثَّالث: أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكَّة في الشُّهور المعلومة، فإذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعًا، لعلمه بما في ذلك من صلاحهم، وليستدلُّوا بذلك على أنه يعلم ما في السَّماوات وما في الأرض.

والرَّابع: أن الله تعالى جعل مكَّة[٣] أمنًا، وكذلك الشَّهر الحرام، فإذا دخل الظَّبي الوحشيُّ الحرم، أنس بالنَّاس، ولم ينفر من الكلب، ولم يطلبه الكلب[٤]، فإذا خرجا[٥] عن حدود الحرم[٦]، طلبه الكلبُ، وذُعِر هو منه، والطائِر يأنس بالنَّاس في الحرم، ولا يزالُ يطير حتى يقرب من البيت، فإذا

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (وفي الأرض).

(٣) في (ت)، و(ر): (الكعبة).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ج): (خرج).

(٦) من قوله: (أنس بالناس)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

قرب منه عدل عنه، ولمْ يطرْ فوقه إجلالًا له، فإذا لحقه وجعٌ طرح نفسه على سقف البيت استشفاءً به، فهذه الأعاجيب في ذلك المكان، وفي ذلك الشَّهر الحرام قد دللن على أن الله تعالى يعلم ما في السَّماوات وما في الأرض.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٩٩ ﴾ [المائدة: ٩٩].

قوله: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ في هذه الآية تهديدٌ شديدٌ.

وزعم مقاتل أنها نزلت والتي بعدها، في أمر شُريح بن ضُبيعة وأصحابه، وهم حجَّاج اليمامة حيث همَّ المسلمون بالغارة عليهم[١].

وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة.

وهل هذه الآية محكمةٌ، أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: أنها محكمة، وأنها تدلُّ على أن الواجب على الرَّسول التَّبليغ، وليس عليه الهُدى[٢].

والثَّاني: أنها كانت قبل الأمر بالقتال، ثم نسخت بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٧).

(٢) من قوله: (أحدهما: أنها محكمة)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

[٢١٤/أ] قوله: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾.

روى جابر بن عبد الله أن رجلًا قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ[١]» فنزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ[٢].

وفي ﴿ٱلْخَبِيثُ﴾، ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: الحلال والحرام، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن.

والثَّاني: المؤمن والكافر، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: المطيع والعاصي.

والرَّابع: الرديء والجيِّد، ذكرهما الماورديُّ[٣].

ومعنى «الإعجاب» هاهنا: السُّرور بما تعجب[٤] منه.

---

(١) في (ج): (طيِّبًا).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٠) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَشُرْبَ الخَمْرِ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ، أَلَا إِنَّ الخَمْرَ لُعِنَ شَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعُهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا»، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنْ كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي، فَاعْتَقَبْتُ مِنْ بَيْعِ الخَمْرِ مَالًا فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ المَالُ إِنْ عَمِلْتُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ فَالْخَبِيثُ: الْحَرَامُ.

(٣) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٧٠).

(٤) في (ج): (يتعجب).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة: ١٠١].

قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

في سبب نزولها ستَّة أقوال:

أحدها: أن النَّاس سألوا النَّبيَّ ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضبًا خطيبًا، فقال: «**سَلُونِي، فوالله لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ما دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ**»، فقام رجل من قريش، يقال له: عبد الله بن حُذافة كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبيَّ الله مَن أبي؟ قال: «**أَبُوكَ حُذَافَةُ**» فقام آخر، فقال: يا نبيَّ الله أين أبي؟[(١)] قال: «**فِي النَّارِ**» فقام عمر فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، إنَّا حديثو عهدٍ بجاهلية، والله أعلم مَن آباؤنا، فسكن غضبه ﷺ، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة[(٢)]، وقتادة عن أنس[(٣)].

والثَّاني: أن رسول الله ﷺ خطب النَّاس، فقال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ**» فقام عكَّاشة بن مُحصن، فقال: أفي كلِّ عام يا رسول الله؟ فقال: «**أَمَا إِنِّي لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُمْ لَضَلَلْتُمْ، اسْكُتُوا عَنِّي مَا سَكَتُّ**

---

(١) في (ت)، و(ر): (فقام فقال: أين أنا؟)، وفي (ج)، و(م): (فقام آخر فقال: أين أنا؟).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٧٧)، والبخاري (٧٠٨٩)، ومسلم (٢٣٥٩) بألفاظ مختصرة ومطولة.

عَنْكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ[١] بِكَثْرةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة[٢].

وقيل: إن السَّائل عن ذلك الأقرع بن حابس.

والثَّالث: أن قومًا كانوا يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرَّجل: مَن أبي؟ ويقول الرَّجل تضلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه[٣] أبو الجويرية عن ابن عبَّاسٍ[٤].

والرَّابع: أن قومًا سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عبَّاسٍ[٥]، وبه قال ابن جُبَيْر.

والخامس: أن قومًا كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنى عن عكرمة[٦].

والسَّادس: أنها نزلت في تمنِّيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذِنَ لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحبِّ الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي. [٢١٤/ب]

---

(١) في (ج): (فإنما هلك من هلك ممَّن كان قبلكم).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٩)، وابن مردويه كما في الدُّر المنثور (٣/ ٢٠٦) من طريق الحسين بن واقد، عن محمد بن زياد الجمحي، به.

(٣) ليست في (ج).

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٢)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٦٨٧٧) في تفسيرهما.

(٥) رواه سعيد بن منصور (٨٣٩)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٢) في تفسيرهما من طريق عتاب بن بشير، عن خصيف بن عبد الرحمن الجزري، به، بنحوه.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٢).

قال الزَّجَّاج: ﴿أَشۡيَآءَ﴾ في موضع خفض إلا أنها فتحت، لأنها لا تنصرف[١].

و﴿تُبۡدَ لَكُمۡ﴾: تظهر لكم. فأعلم الله تعالى أن السُّؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، لأنه يسوء الجواب عنه.

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿إِن تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ أي: إِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِيهَا بِتَغْلِيظٍ سَاءَكُمْ[٢] ذَلِكَ[٣].

قوله: ﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾.

أي: حين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب، أو نهي أو حكم، وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتم حينئذ عنها تبد لكم.

وفي قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنها إشارة إلى الأشياء.

والثَّاني: إلى المسألة.

فعلى القول الأوَّل في الآية تقديم وتأخير. والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، عفا الله عنها. ويكون معنى: عفا الله عنها: أمسك[٤] عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكمًا.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٢).

(٢) في (ج): (شانكم).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٥) من طريق عطيَّة العَوْفي، عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) من قوله: (عفا الله عنها)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

وعلى القول الثَّاني، الآية على نظمها، ومعنى: عفا الله عنها: لم يؤاخذ بها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المائدة: ١٠٢].

قوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾.

في هؤلاء القوم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الذين سألوا عيسى نزول المائدة، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن.

والثَّاني[١]: أنهم قوم صالح حين سألوا النَّاقة، هذا على قول السُّدِّي.

وهذان القولان يخرَّجان على أنها سألوا الآيات.

والثَّالث: أن القوم هم الذين سألوا في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرةً لأجزأت، ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم، قاله ابن زيد.

وهذا يخرَّج[٢] على سؤال من سأل عن الحجِّ، إذ لو أراد الله أن يشدِّد عليهم[٣] بالزِّيادة في الفرض لشدَّد.

والرَّابع: أنهم الذين قالوا لنبيٍّ لهم: ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضًا. وهو يخرَّج على [قول][٤] من قال: إنما سألوا عن الجهاد والفرائض تمنيًا لذلك.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (ويخرَّج).

(٣) ليست في (ج).

(٤) زيادة من (ت)، و(م)، و(ر).

قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدِّقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣].

قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به.

وفي «البحيرة» أربعة أقوال:

أحدها: أنها النَّاقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكرًا نحروه، فأكله الرِّجال والنِّساء، وإن كان أنثى شقُّوا أُذنها، وكانت حرامًا على النِّساء[٢] لا ينتفعن بها، ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرِّجال خاصَّة، فإذا ماتت، اشترك فيها الرِّجال والنِّساء، قاله ابن عبَّاسٍ، واختاره ابن قُتَيْبة[٣].

والثَّاني: أنها النَّاقة تلد خمس إناث ليس فيهنَّ ذكر، فيَعْمِدون إلى الخامسة، فيَبْتِكُون أُذنها، قاله عطاء.

والثَّالث: أنها ابنة السَّائبة، قاله ابن إسحاق، والفرَّاء[٤]. [٢١٥/أ]

قال ابن إسحاق: كانت النَّاقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٩).

(٢) في (م): (وكانت على النِّساء حرامًا).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

فيهنَّ ذكر، سُيِّبت، فإذا نتجت بعد ذلك أنثى، شقَّت أُذنها، وسمِّيت بحيرة، وخلِّيت مع أُمِّها[١].

والرَّابع: أنها النَّاقة كانت إِذا نتجت خمسة أبطن، وكان آخرها ذكرًا بحروا أُذنها، أي: شقُّوها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وإِذا لقيها المُعْيي لم يركبها، قاله الزَّجَّاج[٢].

فأما «السَّائبة»، فهي فاعلة بمعنى: مفعولة، وهي المسيَّبة، كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢١]: أي مرضيَّة.

وفي «السَّائبة» خمسة أقوال:

أحدها: أنها التي تُسيَّب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهرًا، ولا يحلبون لها لبنًا، ولا يجزُّون منها وبرًا، ولا يحملون عليها شيئًا، رواه ابن أبي طلحة[٣] عن ابن عبَّاس[٤].

والثَّاني: أن الرَّجل كان يُسيِّب من ماله ما شاء، فيأتي به إِلى خزنة الآلهة، فيطعمون ابن[٥] السَّبيل من ألبانه ولحومه إِلا النِّساء، فلا يطعمونهن شيئًا منه إِلا أن تموت، فيشترك[٦] فيه الرِّجال والنِّساء، رواه أبو

---

(١) انظر: غريب الحديث؛ لابن قُتَيْبة (١/ ٤٢٥)، والنُّكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٧٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٣) في (ج): (أبو صالح).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٦٨٩٢) في تفسيرهما.

(٥) ليست في (م).

(٦) في (م): (فيشترط).

صالـح عـن ابـن عبَّـاسٍ.

وقـال الشَّـعبيُّ: كانـوا يهدون آلهتهـم الإِبل والغنـم، ويتركونها عنـد الآلهة، فـلا يـشرب منهـا إِلا رجـلٌ، فـإن مـات منهـا شيءٌ أكلـه الرِّجـال والنِّسـاء(١).

والثَّالـث: أنهـا النَّاقـة إِذا ولـدت عـشرة أبطـن، كلهـن إِنـاث، سـيِّبت، فلـم تركـب، ولم يُجزَّ لهـا وبـر، ولم يـشرب لبنهـا إِلا ضيـف أو ولدُهـا حتـى تمـوت، فـإذا ماتـت أكلهـا الرِّجـال والنِّسـاء، ذكـره الفـرَّاء(٢).

والرَّابـع: أنهـا البعـير يُسـيَّب بنـذر يكـون عـلى الرَّجـل إِن سـلَّمه الله تعالى مـن مـرض أو بلَّغـه منزلـه أن يفعـل ذلـك، قاله ابـن قُتَيْبـة(٣).

قـال الزَّجَّـاج: كان الرَّجـل إِذا نـذر لـشيء مـن هـذا، قـال: ناقتـي سـائبة، فكانـت(٤) كالبحـيرة في أن لا ينتفـع بهـا ولا تمنـع مـن مـاء ومرعـى(٥).

والخامـس: أنـه البعـير يحـجُّ عليـه الحجَّـة، فيُسـيَّب، ولا يسـتعمل شـكرًا لنَجْحِهـا، حـكاه المـاورديُّ عـن الشَّـافعيِّ(٦).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٣).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٤) في (م): (وكانت).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٦) انظـر: الأم (٦/ ١٩٨) وعبارتـه هكـذا: «وَهُـوَ الْبَعِـيرُ يُنْجِـحُ عَلَيْـهِ صَاحِبُـهُ الْحَاجَـةَ أَوْ يَبْتَدِئُ الْحَاجَـةَ أَنْ يُسَـيِّبَهُ فَـلَا يَكُـونُ عَلَيْـهِ سَـبِيلٌ» انتهـى.

وفي «الوصيلة» خمسة أقوال:

أحدها: أنها الشَّاة [كانت][1] إِذا نتجت سبعة أبطن، نظروا إِلى السَّابع[2]، فإن كان[3] أُنثى، لم ينتفع النِّساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرِّجال والنِّساء، وإِن كان ذكرًا، ذبحوه، فأكلوه جميعًا، وإِن كان ذكرًا وأُنثى، قالوا: وصلت أخاها، فتترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرِّجال دون النِّساء، فإذا ماتت، اشترك فيها الرِّجال والنِّساء[4]، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

[٢١٥/ب] وذهب إِلى نحوه ابن قُتَيْبة فقال: إِن كان السَّابع ذكرًا، ذبح فأكل منه الرِّجال والنِّساء، وإِن كان أُنثى، تركت في الغنم، وإِن كان ذكرًا وأُنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح، لمكانها، وكانت لحومها حرامًا على النِّساء، ولبن[5] الأُنثى حرامًا على النِّساء إِلا أن يموت[6] منها شيء فيأكله الرِّجال والنِّساء[7].

---

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (الرابع).

(٣) في (ج)، و(م): (كانت).

(٤) في (ت)، و(ر): (اشترك الرجال والنساء فيها).

(٥) في (ج): (لأن).

(٦) في (ج): (تموت).

(٧) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٨ـ ١٢٩).

والثَّاني: أنها النَّاقة البكر تبتكر في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تثنِّي بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويَدْعونها الوصيلة، أي: وصلت إحداهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزُّهري عن ابن المسيَّب.

والثَّالث: أنها الشَّاة تنتج عشر إناثٍ متتابعاتٍ في خمسة أبطن، فيدعونها الوصيلة، وما ولدت بعد ذلك فللذُّكور دون الإناث، قاله ابن إسحاق.

والرَّابع: أنها الشَّاة تنتج سبعة أبطن، عَنَاقين عَناقين، فإذا ولدت في[1] سابعها عناقًا وجديًا، قيل: وصلت أخاها، فجَرت مجرى السَّائبة، قاله الفرَّاء[2].

والخامس: أن الشَّاة كانت إذا ولدت أُنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكرًا جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكرًا وأُنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذَّكر لآلهتهم[3]، قاله الزَّجَّاج[4].

وفي «الحام» ستَّة أقوال:

أحدها: أنه الفحل، ينتج[5] من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسيِّبونه لأصنامهم، ولا يحملُ عليه، قاله ابن مسعود، وابن عبَّاسٍ، واختاره أبو عبيدة، والزَّجَّاج[6].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٣) من قوله: (فإن ولدت ذكرًا وأنثى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٥) في (ت)، و(ر): (تنتج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

والثَّاني: أنـه الفحـل يولـد لولـده، فيقولـون: قـد حمـى هـذا ظهـره، فـلا يحملـون عليـه، ولا يجزُّون وبـره، ولا يمنعونـه مـاءً، ولا مرعـى، رواه ابـن أبي طلحـة عـن ابـن عبَّـاسٍ، واختـاره الفـرَّاء[١]، وابـن قُتَيْبـة[٢].

والثَّالـث: أنـه الفحـل يظهـر مـن أولاده عـشر إِنـاثٍ مـن بناتـه، وبنـات بناتـه، قالـه عطـاء.

والرَّابع: أنه الذي ينتج له سبع إِناث متواليات، قاله ابن زيد.

والخامس: أنه الذي لصُلبه عشرة كلُّها تضرِب[٣] في الإِبل، قاله أبو روق.

والسَّادس: أنـه الفحـل يـضرب في إِبـل الرَّجـل عـشر سـنين، فيخـلَّى، ويقـال: قـد حمـى ظهـره، ذكـره المـاورديُّ عـن الشـافعيِّ[٤].

قـال الزَّجَّـاج: والـذي ذكرنـاه في البحـيرة، والسَّـائبة، والوصيلـة، والحـام أثبـت مـا روينـا عـن أهـل اللُّغـة[٥].

وقـد أعلـم الله ﷻ في هـذه الآيـة أنـه لم يحرِّم مـن هـذه الأشـياء شـيئًا، وأن الذيـن كفـروا افـتروا عـلى الله ﷻ.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٩).

(٣) في (ت)، و(ر): (يضرب).

(٤) انظر: النُكت والعيون (٢/ ٧٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

قال مقاتل: وافتراؤهم: قولهم: إن الله حرَّمه، وأمرنا به[١].

وفي قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قولان:

أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرَّموا[٢]، قاله الشَّعبيُّ.

والثَّاني: لا يعقلون أن هذا التَّحريم من الشَّيطان، قاله قتادة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤].

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قيل لهؤلاء المشركين الذين حرَّموا على أنفسهم هذه الأنعام: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من تحليل ما حرَّمتم على أنفسكم، قالوا: ﴿حَسْبُنَا﴾ أي: يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدِّين والمنهاج ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الدِّين[٣] ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ له، أتتَّبعونهم في خطئهم[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٠).

(٢) قوله: (الذين حرَّموا)، ليس في (ج).

(٣) قوله: (من الدين)، ليس في (ج).

(٤) في (ج): (خطاياهم).

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن النَّبيَّ ﷺ كتب إلى هَجَر، وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليُؤدُّوا الجزية، فلما أتاه الكتاب، عرضه على مَن عنده من العرب واليهود والنَّصارى والمجوس، فأقرُّوا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «**أَمَّا الْعَرَبُ فَلَا نَقْبَلُ**[١] **مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَالمَجُوسُ فَاقْبَلْ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ**». فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقو مكة: عجبًا لمحمدٍ يزعم أن الله بعثه ليقاتل النَّاس كافَّة[٢] حتى يسلموا، وقد قبل من مجوس هَجر، وأهل الكتاب الجزية، فهلَّا أكرههم على الإسلام[٣]، وقد ردَّها على إخواننا من العرب، فشقَّ ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٤].

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب فلما أسلمت العرب طوعًا وكرهًا، قبلها من مجوس هَجَر، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت هذه الآية[٥].

---

(١) في (ج): (فلا يُقبل).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): (فهلَّا أكرههم حتى يُسلموا).

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٢) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به. ومحمد بن السَّائب الكلبي متروك.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١١).

والثَّاني: أن الرَّجل كان إذا أسلم، قالوا له[١]: سفَّهت آباءك وضلَّلتهم، وكان ينبغي لك[٢] أن تنصرهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد[٣].

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف، لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له، فهو ضالٌّ، وليس بمهتدٍ[٤].

وقال عثمان بن عفان: لم يأت تأويلُها بعد[٥].

وقال ابن مسعود: تأويلُها في آخر الزَّمان: قولوا ما قبل منكم، فإذا غلبتم، فعليكم أنفسكم[٦].

وفي قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ[٧]﴾ قولان:

أحدهما: لا يضرُّكم من ضلَّ بترك الأمر بالمعروف إذا اهتديتم أنتم للأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، قاله حُذيفة بن اليمان، وابن المسيَّب.

والثَّاني: لا يضرُّكم من ضلَّ من أهل الكتاب إذا أدَّوا الجزية، قاله مجاهد.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٤).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٤).

(٦) رواه أبو عبيد في النَّاسخ والمنسوخ (٥٢٦)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٦)، وابن أبي حاتم (٦٩٢٢) في تفسيرهما.

(٧) قوله: (إذا اهتديتم)، ليس في (م).

وفي قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيهٌ على الجزاء.

فصلٌ

فعلى ما ذكرنا عن الزَّجَّاج في معنى الآية، هي محكمة، وقد ذهب قومٌ من المفسِّرين إلى أنها منسوخة.

وهم في ناسخها قولان:

أحدهما: أنه آية السَّيف.

والثَّاني: أن آخرها نسخ أوَّلها.

روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية[1] جمعت النَّاسخ والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ والنَّاسخ: قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2].

و«الهُدى» هاهنا: الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)﴾ [المائدة: ١٠٦].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٢٨٦).

روى سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ قال: كان تميم الدَّاري، وعدي بن بدَّاء يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجلٌ من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس فيها[١] أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما، دفعاها إلى أهله، وكتما جامًا كان معه من فضة، وكان مخوَّصًا بالذَّهب، فقالا: لم نره، فأُتي بهما إلى النَّبيِّ ﷺ فاستحلفهما بالله: ما كتما، وخلَّى سبيلهما، ثم إن الجام وُجدَ عند قومٍ من أهل[٢] مكَّة، فقالوا: ابتعناه من تميم الدَّاري، وعدي بن بدَّاء[٣]، فقام أولياء السَّهمي، فأخذوا الجام، وحلفوا[٤] رجلان منهم[٥] بالله[٦]: إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق مِن شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها[٧].

قال مقاتل: واسم الميِّت: بُزيلُ بن أبي مارية مولى العاص بن وائل السَّهمي، وكان تميم، وعدي نصرانيَّين، فأسلم تميم، ومات عديٌّ نصرانيًّا[٨].

---

(١) في (ت)، و(ر): (بها).

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ج): (زيد).

(٤) في (ت)، و(م)، و(ر): (وحُلِّف).

(٥) في (م): (منهما).

(٦) ليست في (م).

(٧) رواه البخاري في التَّاريخ الكبير (١/ ٢١٥)، والتِّرمذي (٣٠٦٠)، والطَّبراني في الكبير (١٢٥٠٩)، والدَّارقطني في السنن (٤٣٤٨).

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١١).

فأما التَّفسير:

فقال الفرَّاء: معنى الآية: ليشهدكم اثنان إِذا حضر أحدكم الموت[(١)].

قال الزَّجَّاج: المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين[(٢)]، فحذف[(٣)] «شهادة» ويقوم «اثنان» مقامها[(٤)].

وقال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: ليشهدكم في سفركم إِذا حضركم الموت، وأردتم الوصيَّة اثنان.

وفي هذه الشَّهادة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الشَّهادة على الوصيَّة التي[(٥)] ثبتت عند الحكَّام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثَّوري، والجمهور.

والثَّاني: أنها أيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد.

والثَّالث: أنها شهادة الوصيَّة، أي: حضورها، كقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٣٣]، جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيدًا، واستدلَّ

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٣).

(٢) في (ت)، و(ر): (المعنى: شهادة اثنين).

(٣) في (ت)، و(ر): (فتُحذف).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٤).

(٥) ليست في (ج).

أرباب هذا القول بقوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ قالوا: والشَّاهد لا يلزمه يمينٌ[١].

فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدِّماته.

قوله: ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ أي: وقت الوصيَّة.

وفي قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: من أهل دينكم وملَّتكم، قاله ابن مسعود، وابن عبَّاسٍ، وسعيد بن المسيَّب، وسعيد بن جُبَيْر، وشريح، وابن سيرين، والشَّعبي، [٢١٦/أ] وهو قول أصحابنا.

والثَّاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضًا، قاله الحسن، وعكرمة، والزُّهري، والسُّدِّي.

قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ[٢]﴾ تقديره: أو شهادة آخرين.

وفي قوله: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: من غير ملَّتكم ودينكم، قاله أرباب القول الأول.

والثَّاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضًا، قاله أرباب القول الثَّاني.

وفي «أوْ» قولان:

أحدهما: أنها ليست للتَّخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم

---

(١) في (ت)، و(ر): (قالوا: والشاهد تلزمه).

(٢) قوله: (من غيركم)، ليس في (م).

تجدوا منكم، وبه قال ابن عبَّاسٍ، وابن جُبَيْر.

والثَّاني: أنها للتَّخيير، ذكره الماورديُّ(١).

فصلٌ

والقائل بأن(٢) المراد بالآية شهادة مسلمين من القبيلة، أو من غير القبيلة لا يشك في إِحْكَامِ هذه الآية.

فأما القائل بأن المراد بقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أهل الكتاب إِذا شهدوا على الوصيَّة في السَّفر.

فلهم(٣) فيها قولان:

أحدهما: أنها محكمة، والعمل على هذا باق، وهو قول ابن عبَّاسٍ، وابن المسيَّب، وابن جُبَيْر، وابن سيرين، وقتادة، والشَّعبي، والثَّوري، وأحمد في آخرين.

والثَّاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ {الطلاق: ٢} وهو قول زيد بن أسلم، وإليه يميل أبو حنيفة، ومالك، والشَّافعي، قالوا: وأهل الكفر ليسوا بعدول.

والأوَّل أصحُّ، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحيض والنِّفاس والاستهلال.

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٧٥).

(٢) في (ج): (أن).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ[1]﴾ هذا الشَّرط متعلق بالشَّهادة، والمعنى: ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض، أي: سافرتم.

﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ فيه محذوفٌ، تقديره: وقد أسندتم الوصيَّة[2] إليهما، ودفعتم إليهما مالكم.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ خطابٌ للورثة إذا ارتابوا[3].

وقال ابن عبَّاسٍ: هذا من صلة قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من الكفار، فأما إذا كانا مسلمين، فلا يمين عليهما[4].

وفي هذه الصَّلاة قولان:

أحدهما: صلاة العصر، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال شريح، وابن جُبَيْر، وإبراهيم، وقتادة، والشَّعبيُّ.

والثَّاني: من بعد صلاتهما في دينهما، حكاه السُّدِّي عن ابن عبَّاسٍ. وقال[5] به.

قال الزَّجَّاج: كان النَّاس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع النَّاس[6].

---

(١) قوله: (في الأرض) من (ج).

(٢) في (م): (المصيبة).

(٣) في (ت)، و(ر): (إذا تابوا).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٦) من طريق العَوْفي مختصرًا.

(٥) كلمة (قال) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٦).

وقال ابن قُتَيْبة: لأنه وقت يعظِّمه أهل الأديان[١].

قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: فيحلفان ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم يا أولياء الميِّت.

ومعنى الآية: إذا قدم الموصى إليهما بتركة المتوفى، فاتهمهما الوارث، استحلفا بعد صلاة العصر: أنهما لم يسرقا، ولم يخونا. [٢١٦/ب]

فالشَّرط في قوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ متعلِّق بـ ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾، كأنه قال: إن ارتبتم حبستموهما فاستحلفتموهما، فيحلفان بالله: [لَا نَشْتَرِى بِهِۦ] أي: بأيماننا، وقيل: بتحريف شهادتنا، فالهاء عائدة على المعنى.

﴿ثَمَنًا﴾ أي: عرضًا من الدُّنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، وخصَّ ذا القرابة، لميل القريب إلى قريبه. والمعنى: لا نحابي في شهادتنا أحدًا، ولا نميل مع ذي القربى في قول الزُّور ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ إنما أُضيفت إليه، لأمره بإقامتها، ونهيه عن كتمانها.

وقرأ سعيد بن جُبَيْر: «ولا نكتم شهادةً» بالتنوين، «الله» بقطع الهمزة وقصرها، وكسر الهاء، ساكنة النون في الوصل[٢].

وقرأ سعيد بن المسيَّب، وعكرمة: «شهادةً» بالتنوين والوصل

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٩).

(٢) انظر: مختصر في شواذ القرآن (ص: ٤١)، وعزاها لسعيد بن جُبَيْر، والشَّعبي.

منصوبة الهاء[١].

وقرأ أبو عمران الجوني: «شهادةٌ» بالتنوين وإسكانها في الوصل، «اللهَ» بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء[٢].

وقرأ الشَّعبي وابن السَّمَيْفع: «شهادةٌ» بالتنوين وإسكانها في الوصل، «آللهِ» بقطع الهمزة، ومدِّها، وكسر الهاء[٣].

وقرأ أبو العالية، وعمرو بن دينار مثله، إِلَّا أنهما نصبا الهاء[٤].

واختلف العلماء لأيِّ معنىً وجبت اليمين على هذين الشَّاهدين:

على ثلاثة أقوال:

أحدها: لكونهما من غير أهل الإسلام، روي هذا المعنى عن أبي موسى الأشعريِّ.

والثَّاني: لوصيَّةٍ وقعت بخطِّ الميِّت فَقَدَ ورثتُهُ بعضَ ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: لأن الورثة كانوا يقولون: كان مال ميِّتنا أكثر[٥]، فاستخانوا

---

(١) انظر: المصدر السابق، والبحر المحيط (٤/ ٣٩٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٦).

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن (ص: ٤١)، وإعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٤٦٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٦).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

الشَّاهدين، قاله الحسن، ومجاهد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المائدة: ١٠٧].

قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾.

قال المفسِّرون:

لما نزلت الآية الأولى، دعا رسول الله ﷺ عديًّا وتميمًا، فاستحلفهما عند المنبر: أنهما لم يخونا شيئًا مما دفع إليهما فحلفا، وخلَّى سبيلهما، ثم[1] ظهر الإناء الذي كتماه، فرفعهما أولياء الميِّت إلى رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾[2].

ومعنى [عُثِرَ]: اطُّلع أي: إن عثر أهل الميِّت، أو مَن يلي أمره، على أن الشَّاهدين اللَّذين هما آخران من غيرنا ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ لميلهما[3] عن الاستقامة في شهادتهما ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقام هذين الخائنين ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكِسَائِي: «اسْتُحِقَّ»

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: معالم التَّنزيل؛ للبغوي (٢/ ٩٨).

(٣) في (ت)، و(ر): (بميلهما).

بضـم التـاء، «الْأَوْلَيـانِ» عـلى التَّثنيـة[(١)][(٢)].

وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان:

أحدهما: أنهما الذِّمِّيَّان.

والثَّاني: الوليَّان.

فعلى الأول في معنى ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾[(٣)] أربعة أقوال: [٢١٧/أ]

أحدهـا: اسـتحقَّ عليهـم الإِيصـاء، قـال ابـن الأنبـاريِّ: المعنـى: مـن القـوم الذيـن اسـتحقَّ فيهـم الإِيصـاء، اسـتحقَّه الأوليـان بالميِّـت.

وكذلـك قـال الزَّجَّـاج: المعنـى: مـن الذيـن اسـتحقَّت الوصيَّـة أو الإِيصـاء عليهـم[(٤)].

والثَّـاني: أنـه الظُّلـم، والمعنـى: مـن الذين اسـتحقَّ عليهـم ظلـم الأولَيان؛ فحـذف الظُّلـم، وأقـام الأوليـين مقامـه، ذكـره ابـن القاسـم أيضًا.

والثَّالث: أنه الخروج مما قاما به من الشَّهادة، لظهور خيانتهما.

والرَّابـع: أنـه الإثـم، والمعنـى: استحقَّ منهـم الإثـم، ونابـت «عـلى» عـن «مِـن» كقولـه: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين:٢] أي: منهـم.

---

(١) في (م): (وأبان عن عاصم على التَّثنية)، بدلاً من قوله: («الْأَوْلَيانِ» على التَّثنية).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٨)، والحجَّة (١/ ١٣٥)، والمبسوط (١/ ١٨٨).

(٣) من قوله: (قولان)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

قال الفرَّاء: «على» بمعنى «في» كقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: في ملكه، ذكر القولين أبو عليٍّ الفارسي(١).

وعلى هذه الأقوال مفعول «استحقَّ» محذوف مُقدَّر.

وعلى القول الثَّاني في معنى ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان:

أحدهما: استحقَّ منهم الأوليان، وهو(٢) اختيار ابن قُتَيْبة(٣).

والثَّاني: جني عليهم الإثم، ذكره الزَّجَّاج(٤).

فأما «الأوليان»: فقال الأخفش: الأوليان: اثنان، واحدهما(٥): الأولى، والجمع: الأوليون(٦).

ثم للمفسِّرين فيهما قولان:

أحدهما: أنهما أولياء الميت، قاله الجمهور.

قال الزَّجَّاج: «الأوليان» في قول أكثر البصريين يرتفعان على البَدَلِ مما في «يقومان»، والمعنى: فليقم الأوليان بالميِّت مقام هذين الخائنين(٧).

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٤)، والحجَّة (٣/ ٢٦٨).

(٢) في (ت)، و(ر): (وهذا).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٢٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

(٥) في (ت)، و(ر): (أحدهما).

(٦) في (م): (الأولون).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

وقال أبو عليٍّ: لا يخلو الأوليان أن يكون ارتفاعهما على الابتداء، أو يكون خبر مبتدأ محذوف[١]، كأنه قال: فآخران يقومان مقامهما هما[٢] الأوليان، أو يكون بدلًا من الضَّمير الذي في «يقومان»، والتَّقدير: فيقوم الأوليان[٣].

والقول الثَّاني: أن[٤] الأوليان: هما الذِّمِّيَّان، والمعنى: أنهما الأوليان بالخيانة، ذكره ابن الأنباريِّ.

فيكون المعنى: يقومان، إلَّا[٥] من الذين استحق عليهم [الإثم، وهما الأوليان بالخيانة][٦].

قال الشَّاعر[٧][البيت من الطويل]:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً ... مُبَرَّدَةً باتَتْ عَلَى طَهَيَانِ

أي: بدلاً من ماء زمزم[٨].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٦٧).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

(٥) قوله: (يقومان، إلا)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(م)، و(ر).

(٧) البيت ليعلى بن الأحول الكندي في خزانة الأدب (٥/ ٢٧٦، ٩/ ٤٥٣)، ولسان العرب (١٤/ ٤٢٦)، و(١٥/ ٤٧٧)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٢٩)، وتهذيب اللُّغة (٦/ ٣٧٧).

(٨) من قوله: (قال الشاعر)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

وروى[١] قرَّة[٢] عن ابن كثير[٣]، وحفص عن عاصم: «استَحَق»[٤] بفتح التاء والحاء، «الأوليان» على التثنية[٥].

والمعنى[٦]: استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها، فحذف المفعول.

وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم[٧]: «استُحِقَّ» برفع التاء، وكسر الحاء، «الأوَّلِينَ» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع[٨].

والتَّقدير: من الأولين الذين استحق فيهم الإِثم، أي: جني عليهم، لأنهم كانوا أولين في الذِّكر، ألا ترى أنه قد تقدَّم ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

وروى الحلبيُّ عن عبد الوارث: «الأوَّلَيْنِ» بفتح الواو وتشديدها، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهو تثنية: أوَّل[٩].

(١) في (م): (روى).

(٢) في (م): (قرة عن ابن عباس).

(٣) في (ت)، و(ر): (ورُوي عن ابن كثير).

(٤) في (م): (ليستحق)!.

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٢٥٤).

(٦) ليست في (م).

(٧) في (ت)، و(ر): (وقرأ أبوبكر عن عاصم).

(٨) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٩).

(٩) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٢٥٤).

وقرأ الحسن البصري: «استَحَق» بفتح التاء والحاء، «الأوَّلان» تثنية «أوَّل» على البدل من قوله: ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾[1]. [٢١٧/ب]

وقال ابن قُتَيْبَة: أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرِّفنا كيف يشهد[2] بالوصيَّة عند حضور الموت فقال: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: عدلان من المسلمين، وعلم أن من النَّاس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين[3]، وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت، فلا يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من غير أهل دينكم، فالذِّمِّيَّان في السَّفر خاصَّة إذا لم يوجد غيرهما، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أراد: تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم[4] في[5] شهادتها، وخشيتم أن يكونا قد[6] خانا، أو بدَّلا فإذا حلفا، مضت شهادتها، ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ أي: ظهر على أنهما ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: حنثا في اليمين بكذب أو خيانة، ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ أي: قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوليان يقال: هذا الأولى بفلان، ثم يحذف من الكلام «بفلان»، فيقال:

---

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٤١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٢٥٤).

(٢) في (ت)، و(ر): (تشهد)، وفي (ج): (نشهد).

(٣) من قوله: (وعلم أن من الناس)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) من قوله: (أراد: تحبسونهما)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) في (ت)، و(ر): (من).

(٦) ليست في (ج).

هـذا الأولى، وهـذان الأوليـان[1]، و«عليهـم» بمعنـى: «منهـم» فيحلفـان بـالله: لقـد ظهرنـا عـلى خيانـة الذِّمِّيَّـين، وكذبهـما، ومـا اعتدينـا عليهـما، ولشـهادتنا أصـحُّ، لكفرهمـا وإيمانـنـا، فترجـع عـلى الذِّمِّيَّـين بـما اختانـا، وينقـض مـا مـضى مـن الحكـم بشـهادتهما تلـك[2].

وقـال غـيره: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾ أي: ليميننـا أحـقُّ، وسـمِّيت اليمـين شـهادة، لأنهـا كالشَّـهادة عـلى مـا يحلـفُ عليـه أنـه كذلـك.

قـال المفسِّرون: فلـما نزلـت هـذه الآية قـام عمـرو بـن العـاص، والمطَّلب بـن أبي وَداعـة السَّـهميَّان، فحلفـا بـالله، ودُفِعَ الإنـاء إليهـما وإلى أوليـاء الميِّت.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾ [المائـدة: ١٠٨].

قولـه: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ أي: ذلـك الـذي حكمنـا بـه مـن ردِّ اليمـين، أقـرب إلى إتيـان أهـل الذِّمَّـة بالشَّـهادة عـلى وجههـا، أي: عـلى مـا كانـت، وأقـرب أن يخافـوا أن تـردَّ أيـمان أوليـاء الميـت بعـد أيمانهـم، فيحلفـون عـلى خيانتهـم، فيفتضحـوا، ويغرمـوا، فـلا يحلفـون كاذبـين إذا خافـوا ذلـك. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أن تحلفـوا كاذبـين، أو تخونـوا أمانـة، ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ الموعظـة.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المائـدة: ١٠٩].

---

(١) من قوله: (وهما الوليان يقال: هذا)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٩ ـ ٢٢١).

قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾.

قال الزَّجَّاج: نصب ﴿يَوْمَ﴾ محمول على قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ واتقوا يوم جمعه للرُّسل، ومعنى مسألته للرُّسل توبيخ الذين أُرسلوا إليهم[١].

فأما قول الرُّسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾.

ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنهم طاشت عقولهم حين زفرت جهنَّم، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ثم تُرَدُّ إليهم عقولُهم، فينطلقون بحجَّتهم، رواه أبو الضُّحى عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

والثَّاني: أن المعنى ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إلَّا علمٌ أنت أعلم به منا، رواه[٢] ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عملوا بعدكم، وأحدثوا، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ قاله ابن جُرَيْج[٣]، وفيه بُعْد. [٢١٨/أ]

والرَّابع: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ مع علمك، لأنك تعلم الغيب، ذكره الزَّجَّاج[٤].

والخامس: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ كعلمك، إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمروا، ونحن نعلم ما أظهروا، ولا نعلم ما أضمروا،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٨).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت)، و(ر): (ابن جرير).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٨).

فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، هذا اختيار ابن الأنباريِّ.

والسَّادس: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بجميع أفعالهم إذ كنا نعلم بعضها وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان بعد وفاتنا، وإنما يُستحقُّ الجزاء بما تقع به الخاتمة، حكاه ابن الأنباريِّ.

قال المفسِّرون: إذا ردَّ الأنبياء العلم إلى الله[1] أُبْلِسَتِ الأممُ، وعلمت أن ما أتته في الدُّنيا [كان][2] غير غائب عنه، وأن الكلَّ لا يخرجون عن قبضته.

قوله: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

قال الخطَّابي: «العلَّام»: بمنزلة العليم، وبناء «فعَّال» بناء التَّكثير[3].

فأما [ٱلْغُيُوبِ] فجمع غيب، وهو ما غاب عنك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ قال ابن عبَّاسٍ: معناه: وإذ يقول.

قوله: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾.

---

(١) في (م): (قال المفسرون: إذا أراد العلم إلى الله).

(٢) زيادة من (ت)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص: ١٠٣).

في تذكيره النِّعم فائدتان:

إحداهما: إِسماع الأمم ما خصَّه به من الكرامة.

والثَّانية: توكيد حجَّته على جاحده.

ومن نعمه على مريم أنه اصطفاها وطهَّرها، وأتاها برزقها من غير سبب.

وقال الحسن: المراد بذكر النِّعمة: الشُّكر.

فأما «النِّعمة» فلفظها لفظ الواحد، ومعناها الجمع.

فإن قيل: لم قال هاهنا: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ وفي «آل عمران»: ﴿فِيهِ﴾؟

فالجواب: أنه جائز أن يكون ذكر الطَّير على معنى الجميع، وأنَّث على معنى الجماعة، وجاز أن يكون «فيه» للطَّير، «وفيها» للهيئة، ذكره أبو عليٍّ[١] الفارسي[٢].

قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم هاهنا، وفي «هود»، و[في][٣] «الصَّفِّ»[٤]: ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقرأ في «يونس»: ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ {الآية: ٢} بألف.

---

(١) سقطت من (ت).

(٢) انظر: الحجَّة (٣/ ٤٤).

(٣) من (م).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، الأربعة: ﴿سِحْرٌ﴾ بغير ألف[١].

فمن قرأ «سحر» أشار إلى ما جاء به، ومن قرأ «ساحر»، أشار إلى الشَّخص.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

وفي الوحي إلى الحواريِّين قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإِلهام، قاله الفرَّاء[٢].

وقال السُّدِّي: قذف في قلوبهم[٣].

والثَّاني: أنه بمعنى الأمر، فتقديره: أمرت الحواريِّين، و«إلى» صلة، قاله أبو عبيدة[٤].[٥]

وفي قوله: ﴿وَاشْهَدْ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم يعنون الله تعالى.

والثَّاني: عيسى عليه السلام.

وقوله: ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون للعبادة والتَّوحيد.

وقد سبق شرح ما أُهمل هاهنا فيما تقدَّم.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٩)، والحجَّة (٣/ ٢٧٠)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٢٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (٧٠٠٥) في تفسيرهما.

(٤) في الأصل: (أبو عبيد)، والمثبت من بقية النُّسخ، وهو الصواب.

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٢).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائـدة: ١١٢].

قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: هل يقدر[١].

وقرأ الكِسَائِي: «هل تستطيع» بالتاء، ونصْب «الرَّب»[٢].

قال الفرَّاء: معناه: هل تقدر أن تسأل ربَّك[٣][٤].

قـال ابـن الأنبـاريِّ: ولا يجـوز لأحـدٍ أن يتوهَّـم أن الحواريـين شـكُّوا [٢١٨/ ب] في قـدرة الله، وإنـما هـذا كـما يقـول الإنسـان لصاحبـه: هـل تسـتطيع أن تقـوم معـي، وهـو يعلـم أنـه مسـتطيع، ولكنَّـه يريـد: هـل يسـهل عليـك.

وقال أبو عليٍّ: المعنى: هل يفعل ذلك بمسألتك إيَّاه[٥].

وزعـم بعضهـم أنهـم قالـوا ذلـك قبـل اسـتحكام إيمانهـم ومعرفتهـم، فـردَّ عليهـم عيسـى بقولـه: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أن تنسبوه إلى عجـز، والأوَّل أصحُّ.

فأمَّا «المائدة».

فقـال اللُّغويـون: «المائـدة»: كلُّ مـا كان عليـه مـن الأَخوِنـة طعـام، فـإذا

---

(١) في الأصـل، و(ت)، و(ر): (أي: هـل تقـدر أن تسـأل ربـك)!، والمثبـت مـن (ج)، و(م)، وفي معـاني القـرآن وإعرابـه (١/ ٣٢٥): (أي: هـل يقـدر ربُّـك).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٩)، والحجَّة (٣/ ٢٧٣)، والتَّيسير (١/ ١٠١).

(٣) من قوله: (وقرأ الكِسَائِي)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٥).

(٥) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٧٤).

لم يكن عليه [طعام](١) فليس بمائدة، والكأس: كل إناء فيه شراب، فإذا لم يكن فيه شراب(٢)، فليس بكأس، ذكره الزَّجَّاج(٣).

قال الفرَّاء: وسمعت بعض العرب يقول للطَّبق الذي تهدى(٤) عليه الهديَّة: هُوَ المُهْدَى، مقصور، ما دامت عليه الهديَّة، فإذا كان فارغًا رجع إلى اسمه إن كان طبقًا أو خوانًا أو غير ذلك(٥).

وذكر الزَّجَّاج عن أبي عبيدة أن لفظها فاعلة، وهي في المعنى مفعولة، مثل عِيشَةٍ راضِيَةٍ(٦).

قال أبو عبيدة: وهي من العطاء، والممتاد: المفتعل المطلوب منه العطاء(٧).

قال الشَّاعر(٨)[من الرجز]:

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُمْتَادِ ....

وَمَادَ زيدٌ عَمْرًا: إذا أعطاه.

قال الزَّجَّاج: والأصل عندي في «مائدة» أنها فاعلةٌ من: ماد يميد:

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) قوله: (فإذا لم يكن فيه شراب)، ليس في (م).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٥).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (يهدى).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢١٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٨٢).

(٧) المصدر السابق.

(٨) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه (ص: ٤٠)، ومجاز القرآن (١/ ٣٤١)، ولسان العرب (٣/ ١١٤).

إذا تحـرَّك، فكأنهـا تميـد بـها عليهـا[١].

وقال ابن قُتَيْبَة: «المائدة»: الطَّعام، من: مَادَنِي يَميدُني[٢]، كأنها تميدُ للآكلين، أي: تعطيهم، أو تكون فاعلة بمعنى: مفعول بها، أي: ميد بها الآكلون[٣].

قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: اتَّقوه أن تسألوه البلاء، لأنها إِن نزلت وكذَّبتم، عُذِّبتم، قاله مقاتل[٤].

والثَّاني: أن تسألوه ما لم تسأله الأُمم قبلكم، ذكره أبو عبيد[٥].

والثَّالث: أن تشكُّوا في قدرته.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائـدة: ١١٣].

قوله: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾.

هذا اعتذار منهم بيَّنوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه.

وفي إِرادتهم للأكل منها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أرادوا ذلك للحاجة، وشدَّة الجوع، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٠).

(٢) في (ج): (ومائدة الطَّعام مأخوذة من: مادني يميدني).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٧).

(٥) انظر: البحر المحيط (١/ ٦٠١).

والثَّاني: ليزدادوا إيمانًا، ذكره ابن الأنباريِّ.

والثَّالث: للتَّبرُّك بها، ذكره الماورديُّ[١].

وفي قوله: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: تطمئنُّ إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبيًّا.

والثَّاني: إلى[٢] أن الله تعالى قد[٣] اختارنا أعوانًا لك.

والثَّالث: إلى أن الله تعالى قد أجاب [سؤالنا][٤].

وقال ابن عبَّاسٍ: قال لهم عيسى: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يومًا، ثم لا تسألونه شيئًا إلا أعطاكم؟ فصاموا، ثم سألوا المائدة[٥].

فمعنى: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنَّا إذا صمنا ثلاثين يومًا لم نسأل الله شيئًا إلا أعطانا.

وفي هذا العلم قولان:

[٢١٩/أ] **أحدهما:** أنه علمٌ يحدث[٦] لهم لم يكن، وهو قول مَن قال: كان سؤالهم قبل استحكام معرفتهم[٧].

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٨٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ليست في (ج).

(٤) زيادة من (ت)، و(م)، و(ر)، وفي (ج): (قد أجاب لنا).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٧٠١٦) في تفسيرهما.

(٦) في (ت)، و(ر): (محدث).

(٧) في (ج): (كان سؤالهم بعد معرفتهم).

والثَّاني: أنه زيادة علم إلى علم، ويقين إلى يقين، وهو قول من قال: كان سؤالهم بعد معرفتهم.

وقرأ الأعمش: «وتعلم» بالتاء، والمعنى: وتعلم القلوب أن قد صدقتنا[١].

وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: من الشَّاهدين لله بالقدرة، ولك بالنُّبوَّة.

والثَّاني: عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرِّيَّة عند هذا السُّؤال.

والثَّالث: من الشَّاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدنا من الآيات الدَّالة على أنك نبيٌّ.

و الرَّابع: من الشَّاهدين[٢] لك عند الله بأداء ما بُعثت به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

وقرأ ابن محيصن، وابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري: «لِأُولَانَا وَأُخْرَانَا» برفع الهمزة، وتخفيف الواو[٣].

---

(١) أي: وَتَعْلَمُهُ قُلُوبُنَا. في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وإعراب القراءات الشاذة (١/ ٤٦٥)، والبحر المحيط (٤/ ٤١٢)

(٢) من قوله: (عند من يأتي من قومنا)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٤٢): عن زيد بن ثابت، وابن محيصن، واليماني، وفي معاني=

والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيدًا لنا، نعظِّمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسُّدِّي.

وقال كعب: أُنزلت عليهم يوم الأحد، فاتَّخذوه عيدًا[1].

وقال ابن قُتَيْبة: عيدًا، أي: مجمعًا[2].

قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه[3].

وقال ابن الأنباريِّ: سُمِّيَ عيدًا للعودِ من التَّرح إلى الفرح[4].

قوله: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾.

أي علامة منك تدلُّ على توحيدك، وصحَّة نبوَّة[5] نبيِّك.

وقرأ ابن السَّمَيْفع، وابن مُحَيْصِن، والضَّحَّاك: «وأنَّه منك» بفتح الهمزة، وبنون مشدَّدة[6].

=القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٣٨٦): عن عاصم الجَحْدَري، والبحر المحيط (٤/ ٤١٣) وقال: ﴿لِأُولَانَا وَأُخْرَانَا﴾ أنَّثوا على معنى الأمة والجماعة.

(١) المشهور عن كعب أنها آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ كما في تفسير ابن جرير الطَّبري(٨/ ٨٧) عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بنِ الخطَّاب: إِنِّي لَأَعْرِفُ قَوْمًا لَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ لَنَظَرُوا إِلَى يَوْمِ نَزَلَتْ فِيهِ، فَاتَّخَذُوهُ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ فَقَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي أَيِّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] يَوْمَ جُمُعَةٍ، يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُمَا لَنَا عِيدَانِ».

(٢) انظر: غريب الحديث (١/ ١٤٩).

(٣) انظر: البحر المحيط (٤/ ٤١٣).

(٤) انظر: الزَّاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩١).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:٤٢)، والبحر المحيط (٤/ ٤١٣) عن اليماني.

وفي قوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ **قولان:**

أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك.

والثَّاني: ارزقنا الشُّكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

قرأ نافع وعاصم وابن عامر: «منزِّلها» بالتَّشديد، وقرأ الباقون خفيفة[٢].

وهذا وعدٌ بإجابة سؤال عيسى عليه السلام.

واختلف العلماء: هل نزلت أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبِّه عن أبي عثمان النَّهدي، عن سلمان الفارسيِّ قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدُّوا في طلبها لبس جُبَّة من شعر، ثم توضَّأ، واغتسل، وصفَّ قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وطأطأ رأسه خضوعًا، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خدِّه، وتقطر

(١) في (ج): (من إحياء ميتك لنا).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ١٦٥)، والحجَّة (٣/ ٢٨٣)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

مـن أطـراف لحيتـه حتـى ابتلَّـت الأرض مـن دموعـه[١] حيـال[٢] وجهـه، ثـم رفـع رأسـه إلى السَّـماء، فقـال: اللهـمَّ ربَّنـا أنـزل علينـا مائـدة مـن السَّـماء، فبينما عيسـى كذلـك، هبطـت عليهـم مائـدةٌ مـن السَّـماء، سـفرة حمـراء بـين غمامتـين، غمامـة مـن تحتهـا، وغمامـة مـن فوقهـا، وعيسـى يبكـي ويتـضرَّع، ويقـول: إلهي [٢١٩/ب] اجعلهـا سـلامةً، لا تجعلهـا عذابًـا[٣]، حتـى اسـتقرَّت بـين يديـه، والحواريُّـون مـن[٤] حولـه، فأقبـل هـو وأصحابـه حتـى قعـدوا حولهـا، وإذا عليهـا منديـلٌ مغطًّـى، فقـال عيسـى: أيُّكـم أوثـق بنفسـه وأقـلُّ بـلاءً عنـد ربِّـه فليأخـذ هـذا المنديـل، وليكشـف لنـا عـن هـذه الآيـة. قالـوا: يـا روح الله أنـت أولانـا بذلك، فاكشـف عنهـا، فاسـتأنف وضـوءًا جديـدًا، وصـلَّى ركعتـين، وسـأل ربَّـه أن يـأذن لـه بالكشـف عنهـا، ثـم قعـد إليهـا، وتنـاول المنديـل، فـإذا عليهـا سـمكة مشـويَّة، ليـس فيهـا شـوك، وحولهـا مـن كلِّ البقـل مـا خـلا الكـرَّاث، وعنـد رأسـها الخـلُّ، وعنـد ذنبهـا الملـح، وحولهـا خمسـة أرغفـةٍ، عـلى رغيـف تمـر، وعـلى رغيـف زيتـون[٥]، وعـلى رغيـف خمـس رمَّانـات. فقـال شـمعون رأس الحواريِّـين: يـا روح الله أمِـن طعـام الدُّنيـا هـذا، أم مـن طعـام الجنَّـة؟ فقـال عيسـى: سـبحان الله أمـا تنتهـون! مـا أخوفنـي عليكـم. قـال شـمعون: لا وإلـه بنـي إسرائيـل مـا أردت بهـذا سـوءًا. قـال عيسـى ﷺ: ليـس مـا تـرون عليهـا

(١) قوله: (من دموعه)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (حال).

(٣) مكانها بياض في (ت).

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٥) قوله: (وعلى رغيف زيتون)، ليس في (ت)، و(ر).

من طعام الدُّنيا، ولا من طعام الجنَّة، إنما هو شيءٌ ابتدعه الله[١]، فقال له: «كن» فكان أسرع من طرفة عين. فقال الحواريُّون: يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية، فقال: سبحان الله! ما اكتفيتم بهذه الآية؟! ثم أقبل على السَّمكة[٢] فقال: عودي بإذن الله حيَّةً طريَّةً، فعادت تضطرب على المائدة، ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشويَّة[٣]، فقال: يا روح الله كن أنت أوَّل من يأكل منها، فقال: معاذ الله بل يأكل منها مَن سألها، فلما رأوا امتناعه، خافوا أن يكون نزولها عقوبة، فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزَّمنى واليتامى، فقال: كلوا من رزق ربِّكم[٤]، ودعوة نبيِّكم، ليكون[٥] مهنؤها لكم، وعقوبتها على غيركم، فأكل منها ألف وسبعمائة إنسان، يصدرون[٦] عنها شباعًا وهي كهيئتها حين نزلت، فصحَّ كلُّ مريض، واستغنى كلُّ فقير أكل منها، ثم نزلت بعد ذلك عليهم، فازدحموا عليها، فجعلها عيسى نوبًا بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعين يومًا، تنزل يومًا، وتغبُّ[٧] يومًا، وكانت تنزل عند ارتفاع

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (السَّماء).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) في (ج): (الله).

(٥) في (ج): (لتكون).

(٦) سقطت من (ج).

(٧) كذا بالأصل، وفي (ت)، و(ج)، و(ر): (وتغيب)، والغِبُّ، مِنْ وِرْدِ الماءِ: فَهُوَ أن تَشرَبَ يَوْمًا، وَيَوْمًا لا، والغِبُّ: وِرْدُ يَوْمٍ، وظِمءُ آخرَ. انظر: لسان العرب (١/ ٦٣٥).

الضُّحى، فيأكلون منها حتى إذا قالوا؛ ارتفعت إلى السَّماء وهم ينظرون إلى ظلِّها في الأرض(١).

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرةً وعشيَّة، حيث كانوا(٢).

وقال غيره: نزلت يوم الأحد مرتين. [٢٢٠/أ]

وقيل: نزلت غدوة وعشيَّة يوم الأحد، فلذلك جعلوه عيدًا.

وفي الذي كان على المائدة ثمانية أقوال:

أحدها: أنه خبز ولحم، روي عن عمار بن ياسر عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**نَزَلَتِ المَائِدَةُ من السَّماء خُبْزًا وَلَحْمًا**»(٣).

والثَّاني: أنها سمكة مشويَّة، وخمس أرغفة، وتمر، وزيتون، ورمَّان. وقد ذكرناه عن سلمان(٤).

والثَّالث: ثمرٌ من ثمار الجنَّة، قاله عمار بن ياسر.

وقال قتادة: ثمرٌ من ثمار الجنَّة، وطعامٌ من طعامها(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٠١٩) مختصرًا.

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ١٢٨).

(٣) رواه التِّرمذي (٣٠٦١)، والبزار في مسنده (١٤١٩)، وأبو يعلى (١٦٥١)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم (٧٠٢٢) في تفسيرهما وغيرهم من طريق سعيد، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، به، بلفظ: «**نَزَلَتِ المَائِدَةُ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا وَلَا يَرْفَعُوا لِغَدٍ، فَخَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**».

(٤) في (م): (سليمان).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٢٨)، وابن الأنباريِّ في الأضداد (١/ ٣٥١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

و الرَّابـع: خبـزٌ، وسـمكٌ، رواه العَـوْفي عـن ابـن عبَّـاسٍ، وبـه قـال الحسـن، وأبـو عبـد الرحمـن السُّـلمي.

والخامس: قصعةٌ من ثريد، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ.

والسَّادس: أنه أُنزل عليها كلُّ شيء إِلَّا اللَّحم، قاله سعيد بن جُبَيْر.

والسَّابع: سمكةٌ فيها طعم كلِّ شيءٍ من الطَّعام، قاله عطيَّة العَوْفي.

والثَّامن: خبز أرز وبقل، قاله ابن السَّائب.

والقـول الثَّـاني: أنهـا لم تنـزل، روى قتـادة عـن الحسـن أن المائـدة لم تنـزل، لأنـه لمـا قـال الله تعـالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قالـوا: لا حاجـة لنـا فيهـا.

وروى ابـن أبي نجيـح عـن مجاهـد، قـال: أُنزلـت مائـدة عليهـا ألـوانٌ مـن الطَّعـام، فعرضهـا عليهـم، وأخبرهم أنـه العـذاب إِن كفـروا، فأبوها فلـم تنزل.

وروى ليـث عـن مجاهـد قـال: هـذا مثـلٌ ضربـه الله تعـالى لخلقـه، لينهاهم عـن مسـألة الآيـات لأنبيائـه، ولم ينـزل عليهم شيء.

والأوَّل أصحُّ.

قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي: بعد إِنزال المائدة.

وفي العذاب المذكور قولان:

أحدهما: أنه المسخ.

والثَّاني: جنسٌ من العذاب لم يعذِّب به أحد سواهم.

قال الزَّجَّاج: ويجوز أن يعجل لهم في الدُّنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة(١).

وفي ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه عامٌّ.

والثَّاني: عالمو زمانهم.

وقد ذكر المفسِّرون أن جماعة من أصحاب المائدة مسخوا.

وفي سبب مسخهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أمروا أن لا يخونوا، ولا يدَّخِروا، فخانوا وادَّخروا، فمسخوا قردةً وخنازير، رواه عمار بن ياسر عن النَّبيِّ ﷺ(٢).

والثَّاني: أن عيسى خصَّ بالمائدة الفقراء، فتكلَّم الأغنياء بالقبيح من القول، وشكَّكوا النَّاس فيها، وارتابوا، فلما أمسى المرتابون بها، وأخذوا مضاجعهم، مسخهم الله خنازير، قاله سلمان(٣) الفارسيُّ.

والثَّالث: أن الذين شاهدوا المائدة، ورجعوا إلى قومهم، فأخبروهم، فضحك بهم من لم يشهد، وقالوا: إنما سحر أعينكم، وأخذ بقلوبكم، فمن أراد الله به خيرًا، ثبت على بصيرته، ومن أراد به فتنة، رجع إلى [٢٢٠/ ب] كفره، فلعنهم عيسى، فأصبحوا خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٢).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) في (م): (أبو سلمان)!.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾.

في زمان هذا القول قولان:

أحدهما: أنه يقوله له يوم القيامة، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة(١)، وابن جُرَيْج.

والثَّاني: أنه قاله له حين رفعه إليه، قاله السُّدِّي، وميسرة(٢).

والأوَّل أصحُّ.

وفي «إِذْ» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها زائدة، والمعنى: وقال الله، قاله أبو عبيدة(٣).

والثَّاني: أنها على أصلها، والمعنى: وإذ يقول الله، قاله ابن قُتَيْبة(٤).

والثَّالث: أنها بمعنى: «إذا»، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [سبأ: ٥١] والمعنى: إذا.

---

(١) ليست في (م).

(٢) ليست في (ت)، و(م)، و(ر).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٩).

قال أبو النَّجم[١][من الرجز]:

ثُـمَّ جَـزَاكَ اللهُ عَنِّـي إِذْ جَـزَى　　　جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فِي السَّـماوَاتِ الْعُـلَا

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التَّوبيخ لِمن ادَّعى ذلك على عيسى.

قال أبو عبيدة: وإنما قال: ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ لأنهم إذا أشركوا فعلَ ذكرٍ مع فعل أنثى ذكَّروهما[٢].

فإن قيل: فالنَّصارى لم يتَّخذوا مريم إلهًا، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟

فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشرًا، وإنما ولدت إلهًا، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعضيَّة بمثابة مَن ولدته، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: براءة لك من السُّوء.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: لست أستحقُّ العبادة فأدعو النَّاس إليها.

وروى عطاء بن السَّائب عن ميسرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ رُعِد كلُّ مَفْصِل منه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله، وما قال: إني لم أقل، ولكنه قال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾[٣].

---

(١) البيت في الأضداد؛ لابن الأنباريِّ (١/ ١١٩)، والصاحبي في فقه اللُّغة (١/ ٩٩)، ولسان العرب (١٥/ ٤٦٣) برواية:

ثُمَّ جَزاه اللهُ عَنَّا، إِذْ جَزى　　　جَنَّاتِ عَدْنٍ والعلاليَّ العُلا

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٠٥٤) من طريق قيس، به.

فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟

فالجواب: أنه تثبيت للحجَّة على قومه، وإكذاب لهم في ادِّعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرارٌ من عيسى ﷺ بالعجز في قوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾، وبالعبوديَّة في قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾.

قوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾.

قال الزَّجَّاج: تعلم ما أُضمره، ولا أعلم ما عندك علمُه، والتَّأويل: تعلم ما أعلم، وأنا لا أعلم ما تعلم[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٧].

قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحِّدوه[٢].

قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ أي: على ما يفعلون ما كنت مقيمًا فيهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالرَّفع إلى السَّماء.

والثَّاني: بالموت عند انتهاء الأجل.

و«الرَّقيب» مشروحٌ في سورة «النِّساء»، و«الشَّهيد» في «آل عمران».

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨].

قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فبتوبة كانت منهم[١].

وقال الزَّجَّاج: علم[٢] عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على[٣] الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: إن تعذِّب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم، لأنك قد أوضحت لهم الحقَّ، فكفروا، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ[٤]﴾ أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم، وآمَن، فذلك تفضُّل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز، لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في[٥] ذلك[٦]. [٢٢١/أ]

وقال ابن الأنباريِّ: معنى الكلام: لا ينبغي لأحدٍ أن يعترض عليك، فإن عذَّبتهم، فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم - ولست فاعلًا إذا ماتوا على الكفر - فلا اعتراض عليك.

---

(١) انظر: التَّفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٤٨).

(٢) في (ج): (يعلم).

(٣) ليست في (ج).

(٤) ليست في (م).

(٥) قوله: (وأنت في مغفرتك لهم عزيز)... إلى هنا، ليس في (م).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٣ـ ٢٢٤).

وقال غيره: العفو لا ينقص عزَّك، ولا يخرج عن حكمك.

وقد روى أبو ذرٍّ ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ قيام ليلةٍ بآيةٍ يردِّدها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١١٩، ١٢٠].

قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

قرأ الجمهور برفع «اليوم».

وقرأ نافع بنصبه على الظَّرف[(٢)].

قال الزَّجَّاج: المعنى: قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصَّادقين صدقهم، ويجوز أن يكون على معنى: قال الله هذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصَّادقين صدقهم[(٣)].

و[في][(٤)] المراد باليوم: يوم القيامة، وإنما خصَّ نفع الصِّدق به لأنه يوم الجزاء.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٨٣٦٨)، وأحمد (٣٥/ ٢٥٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٤٧) وغيرهم.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٠)، والحجَّة (٣/ ٢٨٢)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٤).

(٤) من (م).

وفي هذا الصِّدق قولان:

أحدهما: أنه صدقهم في الدُّنيا ينفعهم في الآخرة.

والثَّاني: صدقهم في الآخرة ينفعهم هنالك.

وفي هذه الآية تصديقٌ لعيسى فيما قال.

قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ أي: بطاعتهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بثوابه.

وفي قوله: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ تنبيهٌ على عبوديَّة عيسى، وتحريضٌ على تعليق الآمال بالله وحده.

سورة الأنعام

فصلٌ في نزولها[١]

روى مجاهد عن ابن عبَّاسٍ: أن الأنعام مما نزل بمكَّة[٢]. وهذا قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد.

وروى يوسف بن مهران عن ابن عبَّاسٍ، قال: نزلت «سورة الأنعام» جملة[٣] ليلًا بمكة، وحولها سبعون ألف ملك[٤].

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ قال[٥]: هي مكِّيَّة، نزلت جملة واحدة، ونزلت ليلاً وكتبوها من ليلتهم، غير ستِّ آيات منها مدنيَّات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] إلى آخر الثَّلاث آيات. وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام:٩١]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٩٣] إلى آخر الآيتين[٦].

---

(١) في (ج): (بسم الله الرحمن الرحيم)، بدلاً من قوله: (فصل في نزولها).

(٢) رواه النَّحاس في النَّاسخ والمنسوخ (١/ ٤١٥)، بلفظ مطول، وانظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢٥٦).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٤٠)، وابن الضريس في فضائله (١٩٦)، والطَّبراني في الكبير (١٢٩٣٠) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، به، بنحوه. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٥) من قوله: (نزلت سورة الأنعام جملة)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢٥٦).

وذكر مقاتل نحو هذا. وزاد آيتين: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١١٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ [٢٢١/ب] يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [الأنعام:٢٠](١).

وروي عن ابن عبَّاسٍ، وقتادة قالا: هي مكِّيَّة، إلَّا آيتين نزلتا بالمدينة قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١]. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ(٢)﴾ [الأنعام:١٤١].

وذكر أبو الفتح بن شَيْطَا(٣): أنها مكية، غير آيتين نزلتا بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ(٤)﴾ [الأنعام:١٥١]، والتي بعدها.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٤٧-٥٤٨).

(٢) قوله: (وغير معروشات) زيادة من (ج).

(٣) هو: عبد الواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شَيْطَا - أبو الفتح - مقرئ العراق مصنف كتاب التِّذكار في القراءات، قال الخطيب: كتبنا عنه، وكان ثقةً عالمًا بوجوه القراءات، بصيرًا بالعربيَّة، حافظًا لمذاهب القراء، توفي (٤٥٠هـ).
انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٦٩)، والوافي بالوفيات (١٩/ ١٦٩)، وغاية النهاية (١/ ٤٧٣).

(٤) قوله: (أتل ما حرم ربكم عليكم)، ليس في (ج)، و(ف)، و(ر).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

فأمَّا[١] التَّفسير:

فقال كعب: فاتحة التَّوراة فاتحة «الأنعام»، وخاتمتها خاتمة «هود»، وإنما ذكر السَّماوات والأرض، لأنهما[٢] من أعظم المخلوقات[٣].

والمراد «بالجَعل»: الخلق. وقيل: إنَّ «جعل» هاهنا: صلة، والمعنى: والظُّلمات.

وفي المراد بـ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: الكفر والإيمان، قاله الحسن.

والثَّاني: اللَّيل والنَّهار، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: جميع الظُّلمات والأنوار[٤].

قال قتادة: خلق السَّماوات قبل الأرض، والظلماتِ قبل النُّور، والجنةَ قبل النَّار[٥].

---

(١) في (ر): (وأما).

(٢) في (ر): (لأنها).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٢٤٧)، والدارمي (٣٤٤٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٤٧)، وابن الضريس في فضائله (١٩٩) بألفاظ مطولة ومختصرة.

(٤) في (ف)، و(ر): (والنور).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٧٠٧٩) في تفسيرهما من طريق يزيد=

قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ[(١)]﴾ يعني: المشركين بعد هذا البيان.

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يجعلون له عَدِيلًا، فيعبدون الحجارة المواتَ، مع إقرارهم بأنه الخالق لِما وُصِف. يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساويته به.

قال أبو عبيدة: هو مقدَّم ومؤخَّر، تقديره: يعدلون بربِّهم[(٢)].

وقال النَّضر بن شُمَيْلٍ: الباء: بمعنى «عن».

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام: ٢].

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾.

يعني: آدم، وذلك أنه لما شكَّ المشركون في البعث، وقالوا: من يحيي هذه العظام[(٣)]؟ أعلمهم [الله][(٤)] أنه خلقهم من طين، فهو قادر على إعادة خلقهم.

=بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به.

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٥).

(٣) من قوله: (لما وُصف. يقال: عدلت)... إلى هنا، بياض في (ر).

(٤) من (ج).

قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾.

فيه ستة أقوال:

أحدها: أن الأجل الأول: أجل[(١)] الحياة إلى الموت. والثَّاني: أجل الموت إلى البعث، روي عن ابن عبَّاسٍ، والحسن، وابن المسيَّب، وقتادة، والضَّحَّاك، ومقاتل.

والثَّاني: أن الأجل الأول: النَّوم[(٢)] [الذي][(٣)] تُقْبَضُ فيه الرُّوح، ثم ترجع في حال اليقظة، والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان. رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أن الأجل الأَوَّل: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثَّاني: أجل الدُّنيا، قاله مجاهد في رواية.

والرَّابع: أن الأَوَّل: خلق الأشياء في ستة أيام، والثَّاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني.

والخامس: أن الأَوَّل: قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثَّاني: الحياة في الدُّنيا، قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذُّريَّة حين أحياهم وخاطبهم.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ر): (اليوم).

(٣) زيادة من (ج).

والسَّادس: أن الأوَّل: أجل من قد مات من قبل، والثَّاني: أجل من يموت من[1] بعد، ذكره الماورديُّ[2].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ﴾ أي بعد هذا البيان.

﴿تَمۡتَرُونَ﴾ **وفيه قولان:**

[٢٢٢/أ] **أحدهما**: تشكُّون، قاله قتادة، والسُّدِّي.

وفيما شكُّوا فيه قولان:

أحدهما: الوحدانية.

والثَّاني: البعث.

والثَّاني: يختلفون: مأخوذ من المراء، ذكره الماورديُّ[3].

قَوۡلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: [و][4] هو المعبود في السَّماوات وفي الأرض، قاله ابن الأنباريِّ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٩٣).

(٣) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٩٣).

(٤) من (ر).

والثَّاني: وهو المنفرد بالتدبير في السَّماوات وفي الأرض، قاله الزَّجَّاج[١].

والثَّالث: وهو الله في السَّماوات، ويعلم سرَّكم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير[٢].

والرَّابع: أنه مقدَّم ومؤخَّر. والمعنى: وهو الله يعلم سرَّكم وجهركم في السَّماوات والأرض، ذكره بعض المفسِّرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنعام: ٤، ٥].

قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ نزلت في كفار قريش.

وفي «الآية» قولان:

أحدهما: أنها الآية من القرآن.

والثَّاني: المعجزة، مثل انشقاق القمر.

والمراد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: القرآن. و«الأنباء»: الأخبار. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: ٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٥٥).

قوله: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾.

«القرن»: اسم أهل كلِّ عصر. وسمُّوا بذلك، لاقترانهم في الوجود.

وللمفسِّرين في المراد بالقرن سبعة أقوال:

أحدها: أنه أربعون سنة، ذكره ابن سيرين عن النَّبيِّ ﷺ[١].

والثَّاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بسر المازني، وأبو سلمة بن عبد الرحمن.

و الرَّابع: مائة[٢] وعشرون سنة، قاله زُرارة بن أوفى، وإياس بن معاوية.

والخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري.

والسَّادس: سبعون سنة، ذكره الفرَّاء.

والسَّابع[٣]: أن القرن: أهل كلِّ مدَّة كان فيها نبيٌّ، أو طبقة من العلماء، قلَّتِ السُّنون، أو كثرت بدليل قوله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي**»[٤] يعني: أصحابي «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» يعني: التَّابعين «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» يعني: الذين أخذوا عن التَّابعين.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٤/ ٥٣٥) من طريق عمر بن شاكر، عن ابن سيرين، مرسلًا.

(٢) من قوله: (سنة، قاله عبد الله بن بسر)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ج): (والسَّادس) كرَّره مرتين!.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

فالقرن: مقدار التَّوسط في أعمار أهل الزَّمان، فهو في كلِّ قوم على مقدار أعمالهم.

واشتقاق القرن: من الاقتران.

وفي معنى ذلك الاقتران قولان:

أحدهما: أنه سمِّي قرنًا، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزَّمان في بقائهم. هذا اختيار الزَّجَّاج(١).

والثَّاني: أنه سمِّي قرنًا، لأنه يَقْرِنُ زمانًا بزمانٍ، وأُمَّةً بأمَّةٍ، قاله ابن الأنباريِّ.

وحكى ابن قُتَيْبة عن أبي عبيدة قال: يرون أن أقلَّ ما بين القرنين: ثلاثون سنة(٢).

قوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: أعطيناهم ما لم نُعطِكم(٣). يقال: مكَّنتُه ومكَّنتُ له: إذا أقدرته على الشيء بإعطاء ما يصحُّ به الفعل من العدة. [٢٢٢/ب]

وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب.

فأما ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: فالمراد بها المطر.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٥)، وغريب القرآن (١/ ١٥٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٧٧٥)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٧١١٠) في تفسيرهما عن قتادة، وليس ابن عبَّاسٍ ﷺ.

ومعنى «أرسلنا»: أنزلنا.

و«المدرار»: مفعال، من درَّ يَدِرُّ، والمعنى: نرسلها[١] كثيرة الدَّرِّ. ومِفعال: من أسماء المبالغة، كقولهم: امرأة مذكار: إذا كانت كثيرة الولادة للذُّكور، وكذلك مئناث.

فإن قيل: «السَّماء» مؤنَّثة، فلم ذكَّر «مدرارًا»؟!

فالجواب: أن حكم ما انعدل من النُّعوت عن منهاج الفعل وبنائه، أن يلزم التَّذكير في كلِّ حال، سواء كان وصفًا لمذكَّر أو مؤنَّث كقولهم: امرأة مذكار، ومعطار، وامرأة مذكر، ومؤنث[٢]: وهي كفور، وشكور. ولو بُنيتْ هذه الأوصاف على الفعل، لقيل: كافرة، وشاكرة، ومُذْكِرَة، فلما عدل عن بناء الفعل، جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التَّأنيث فيه عن العلامة كقولهم: النَّعلَ لبستُها، والفأسَ كسرتُها، وكان إيثارهم التَّذكير للفرق[٣] بين المبني على الفعل، والمعدول عن مِثْلِ الأفاعيل.

والمراد بالمدرار: المبالغة في اتصال المطر ودوامه، يعني: أنها تَدِرُّ وقت الحاجة إليها، لا أنها تدوم ليلًا ونهارًا، فتفسد، ذكره ابن الأنباريِّ.

---

(١) في (ف): (الفرق).

(٢) في (ج): (ونث)!.

(٣) في (ف): (والنور).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعـام: ٧].

قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾.

سبب نزولها:

أن مشركـي مكَّـة قالـوا: يـا محمـد، والله لـن نؤمـن لـك حتـى تأتينـا بكتـاب مـن عنـد الله، ومعـه أربعـة مـن الملائكـة، يشـهدون أنـه مـن عنـد الله، وأنـك رسـوله، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه ابـن السَّـائب[(١)].

قـال ابـن قُتَيْبـة: و«القرطـاس»: الصَّحيفـة، يقـال للرَّامـي[(٢)] إذا أصـاب الصَّحيفـة: قَرْطَـسَ[(٣)].

قـال شـيخنا أبـو منصـور اللُّغـوي[(٤)]: القرطـاس[(٥)] قـد تكلَّمـوا بـه قديمًا. ويقـال: إن أصلـه غـير عـربي.

والجمهور على كسر قافه.

وضمَّها أبو رزين، وعكرمة، وطلحة، ويحيى بن يعمر[(٦)].

---

(١) ذكره الواحدي في التَّفسير الوسيط (٢/ ٢٥٣)، والثعلبي في تفسيره (٤/ ١٣٥).

(٢) في (ف): (الرامي).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٠ـ ١٥١).

(٤) من قوله: (الصحيفة، يقال للرامي)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) ليست في (ج).

(٦) وعن معن الكوفي في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وانظر: حجَّة القراءات (١/ ٤٠٢).

فأما قوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فهو توكيد لنزوله، وقيل: إنما علَّقه باللَّمس باليد إبعادًا له عن السِّحر، لأن السِّحر يُتخيَّل في المرئيَّات دون الملموسات.

ومعنى الآية: إنَّهم يدفعون الصَّحيح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام: ٨].

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾.

قال مقاتل: نزلت في النَّضر بن الحارث، وعبد الله بن أبي أُمية، ونوفل[١] بن خويلد[٢].

و﴿لَوْلَا﴾ بمعنى «هلَّا» ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نصدِّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ فعاينوه ولم يؤمنوا.

﴿لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: لماتوا، ولم يؤخَّروا طرفة عين لتوبة، قاله ابن عبَّاس.

والثَّاني: لقامت السَّاعة، قاله عكرمة، ومجاهد.

والثَّالث: لعجِّل لهم العذاب، قاله قتادة.

---

(١) في (ج): (والنوفل).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٠).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٩].

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَهُ﴾ أي: ولو جعلنا الرَّسول إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَهُ﴾ في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون رؤية المَلَك على صورته، [٢٢٣/أ] ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ أي: لشبَّهنا عليهم. يقال: ألبست[1] الأمر على القوم، أُلبِسه أي: شبَّهته عليهم، وأشكلته. والمعنى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكُّوا، فلا يدرون أمَلَكٌ هو أم آدميٌّ؟ فأضللناهم بما به ضلُّوا قبل أن يُبعث المَلَك.

وقال الزَّجَّاج: كانوا يلبسون على ضعفتهم في أمر النَّبيِّ ﷺ، فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم، فقال تعالى: لو رأوا المَلَك رجلًا، لكان يلحقهم فيه من اللَّبْسِ مثلُ ما لحق ضعفتهم منه[2].

وقرأ الزُّهري، ومعاذ القارئ، وأبو رجاء: «وللبَّسنا» بالتَّشديد، «عليهم ما يلبِّسون» مشدَّدة أيضًا[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١٠، ١١].

---

(١) في (ج)، و(ف): (لبَّست).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣١).

(٣) عن الزُّهري في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، والبحر المحيط (٤/ ٤٤٤).

قوله: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾ أي: أحاط.

قال الزَّجَّاج: الحَيْقُ في اللُّغة: ما يشتمل[١] على الإنسان من مكروه فَعَلَهُ، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣] أي: لا ترجع عاقبة مَكْرُوهِهِ إلا عليهم[٢].

قال السُّدِّي: وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢].

قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلا فـ ﴿قُل﴾ لهم[٤] ﴿لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: قضى لنفسه أنه أرحم الرَّاحمين[٥].

قال الزَّجَّاج: ومعنى كتب: أوجب ذلك إيجابًا مؤكدًا، وجائز أن يكون كتب في اللَّوح المحفوظ، وإنما خُوطِبَ الخلقُ بما يعقلون، فهم يعقلون أن توكيد الشيء المؤخَّر أن يحفظ بالكتاب[٦].

---

(١) في (ف): (اشتمل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٦٦)، وابن أبي حاتم (٧١٣٩) في تفسيرهما.

(٤) ليست في (ف).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٥٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٤).

وقال غيره: رحمته عامة فمنها تأخير العذاب عن مستحقِّه، وقبول توبة العاصي[١].

قوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

اللام: لام القسم. كأنه قال: والله ليجمعنَّكم إلى اليوم الذي أنكرتموه.

وذهب قوم إلى أن «إلى» بمعنى: «في». ثم اختلفوا، فقال قوم: في يوم القيامة. وقال آخرون: في قبوركم إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: بالشِّرك، ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لِما سبق فيهم من القضاء.

وقال ابن قُتَيْبة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ مردود إلى قوله: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الذين خسروا[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [الأنعام: ١٣].

قوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

سبب نزولها:

أن كفار مكَّة قالوا للنبيِّ ﷺ: قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبًا في أموالنا حتى تكون من

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥١).

أغنانا رجلًا، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاسٍ[(١)].

وفي معنى ﴿سَكَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه من السُّكنى. قال ابنُ الأعرابيِّ: «سكن» بمعنى حلَّ[(٢)].

والثَّاني: أنه من السُّكون الذي يضادُّ الحركة.

قال مقاتل: من المخلوقات ما يستقرُّ بالنَّهار، وينتشر باللَّيل ومنها [٢٢٣/ب] ما يستقرُّ باللَّيل، وينتشر بالنَّهار[(٣)(٤)].

فإن قيل: لم خصَّ السُّكون بالذِّكر دون الحركة؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن السُّكون أعمُّ وجودًا من الحركة.

والثَّاني: أن كلَّ متحرِّك قد يسكن، وليس كلُّ ساكن يتحرَّك.

والثَّالث: أن في الآية إضمارًا، والمعنى: وله ما سكن وتحرَّك، كقوله تعالى ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١] أراد: والبرد، فاختصر.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤) عن الكلبي، عن ابن عبَّاسٍ ﷺ.

(٢) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٢٥٦).

(٣) من قوله: (وينتشر بالليل)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤، ١٥].

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾.

ذكر[١] مقاتل أن سبب نزولها:

أن كفَّار قريش قالوا: يا محمد، ألا ترجع إلى دين آبائك؟ فنزلت هذه الآية.

وهذا الاستفهام معناه الإنكار، أي: لا أتخذ وليًّا غير الله أتولَّاه، وأعبده، وأستعينه.

قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[٢]﴾.

الجمهور على كسر راء «فاطرِ».

وقرأ ابن أبي عبلة برفعها[٣].

قال أبو عبيدة: «الفاطر» معناه: الخالق[٤].

وقال ابن قُتَيْبة: هو المبتدئ، ومنه: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**»[٥].

---

(١) في (ج): (قال).

(٢) ليست في (ف)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٩٤)، وإعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٧).

(٥) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم[(١)].

وقال ابن عبَّاسٍ: كنت لا أدري ما فاطر السَّماوات والأرض[(٢)]، حتى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أي[(٣)]: أنا ابتدأتها[(٤)].

قال الزَّجَّاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى الخلق، والانفطار الانشقاق في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١].

فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى «فطرهما»: خلقهما خلقًا قاطعًا. والانفطار، والفطور: تقطُّعٌ وتشقُّقٌ.

قوله: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾.

قرأ الجمهور بضم الياء من الثَّاني، ومعناه: وهو يَرزق ولا يُرزق، لأن بعض العبيد يرزق مولاه.

وقرأ عكرمة والأعمش: «ولا يَطعم» بفتح الياء[(٥)].

---

(١) انظر: غريب القرآن(١/ ١٥١).

(٢) قوله: (السَّماوات والأرض)، ليس في (ج).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه أبو عبيد في فضائله (١/ ٣٤٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٧٥)، وابن الأنباريِّ في الوقف والابتداء (١٠٩)،وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢١٢).

(٥) عن مجاهد في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وعن الأعمش في إعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٤٠٥)، وفي البحر المحيط (٤/ ٤٥٢): عن مجاهد، وابن جُبَيْر، وأبي حيوة، وعمرو بن عبيد، وأبي عمرو.

قـال الزَّجَّـاج: وهـذا الاختيـار عنـد البـصراء بالعربيَّـة، ومعنـاه: وهـو يَـرزق ويُطْعِـمُ ولا يـأكل[١].

قوله: ﴿إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ﴾ أي: أوَّل مسلم من هذه الأمة.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

قـال الأخفـش: معنـاه: وقيـل لي: لا تكونـنَّ، فصـارت: أُمـرت، بـدلًا من ذلـك؛ لأنـه حـين قـال: أمـرت، قـد أخـبر أنـه قيل لـه[٢].

قوله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

زعـم بعـض المفسِّريـن أنـه كان يجـب عليـه أن يخـاف عاقبـة الذُّنـوب، ثـم نُسـخ ذلـك بقولـه: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتـح:٢].

والصَّحيـح أن الآيتـين خـبر، والخـبر لا يدخلـه النَّسـخ، وإنـما هـو معلَّـق بـشرط،[وذلـك لا يقـع][٣]، ومثلـه: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمـر:٦٥].

قَوۡلُـهُ تَعَـالَى: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [الأنعـام:١٦].

قوله: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ر).

قرأ ابن كَثِيرٍ[١] ونافع وأبو عَمْرٍو وابن عامر وحفص عن عاصم: «مَنْ[٢] يُصْرَفْ عَنْهُ[٣]» بضم الياء وفتح الرَّاء. يعنون: العذاب.

وقرأ حمزة والكِسَائِي وأبو بكر عن عاصم: «يَصرِف»[٤] بفتح الياء وكسر الرَّاء، الضَّمير قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾[٥]. [٢٢٤/أ]

ومما يحسِّن هذه القراءة قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ فقد اتفق إسناد الضَّمير[٦] إلى اسم الله ﷻ.

ويعني بقوله: ﴿يُصْرَفْ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني: صرف العذاب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾.

«الضُّرُّ»: اسم جامع لكلِّ ما يتضرَّرُ به الإنسان، من فقر ومرض وغير ذلك، والخير: اسم جامع لكلِّ ما ينتفع به الإنسان[٧].

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ف).

(٣) من (ج).

(٤) من قوله: (بضم الياء وفتح الراء)... إلى هنا، ليس في (ف).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٤)، والحجَّة (٣/ ٢٨٥)، والمبسوط (١/ ١٩١).

(٦) في (ف): (الضميرين)، وفي (ج): (الطمير)!.

(٧) من قوله: (من فقر ومرض)... إلى هنا، ليس في (ف).

وللمفسِّرين في «الضُّرِّ» و«الخير» قولان:

أحدهما: أن «الضُّرَّ»: السُّقم، و«الخير»: العافية.

والثَّاني: أن «الضُّرَّ»: الفقر، و«الخير»: الغنى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

القاهر: الغالب، والقهر: الغلبة. والمعنى: أنه قهر الخلق فصرَّفهم على ما أراد طوعًا وكرهًا، فهو المستعلي عليهم، وهم تحت التَّسخير والتَّذليل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩].

قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾.

سبب نزولها:

أن رؤساء مكَّة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما ترى أحدًا يصدِّقُك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنَّصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح[(١)] عن ابن عبَّاسٍ[(٢)].

---

(١) من قوله: (ذكر ولا صفة، فأرنا)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٤٠) عن الكلبي.

ومعنى الآية: قل لقريش: أيُّ شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك، وإلَّا فقل: الله، وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول.

وقال الزَّجَّاج: أمره الله تعالى أن يحتجَّ عليهم بأن شهادة الله ﷻ في نُبُوَّته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ ففي الإنذار به دليل على نبوَّته، لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي، وفيه خبر ما كان وما يكون، ووعد فيه بأشياء، فكانت كما قال[١].

وقرأ عكرمة، وابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري: «وأَوحَى إليَّ» بفتح الهمزة وفتح الحاء[٢]، «القرآنَ» بالنَّصب[٣].

فأمَّا «الإنذار»، فمعناه: التَّخويف.

ومعنى ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: من بلغ إليه هذا القرآن، فإني نذير له.

قال القُرَظِيُّ: من بلغه القرآن فكأنما رأى النَّبيَّ ﷺ، وكلَّمه[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٤).

(٢) في (ف): (بفتح الهمزة والحاء).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٥٥٩) عن أبي نَهِيك، وفي البحر المحيط (٤/ ٤٦٠) عن عكرمة، وأبي نَهِيك، وابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري.
والمعنى: لأنذركم ولأبشركم فحذف المعطوف لدلالة المعنى عليه، أو اقتصر على الإنذار لأنه في مقام تخويف هؤلاء المكذبين بالرسالة المتخذين غير الله إلهًا.

(٤) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٣٢٠)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٨٢) بمعناه.

وقال أنس بن مالك: لمَّا نزلت هذه الآية، كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وكلِّ جبار يدعوهم[1] إلى الله ﷻ[2].

قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار عليهم.

قال الفرَّاء: وإنما قال: ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولم يقل: «آخر» لأن الآلهة جمع، والجمع يقع عليه التَّأنيث، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ[3] الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١][4]. [٢٢٤/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾ [الأنعام: ٢٠].

قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾.

في الكتاب قولان:

أحدهما: أنه التَّوراة والإنجيل، وهذا قول الجمهور.

والثَّاني: أنه القرآن.

---

(١) في (ج): (يدعوه).

(٢) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٥٦).

(٣) في (ج): (قرون)!.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٩).

وفي هاء ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها[١] ترجع[٢] إلى النَّبيِّ ﷺ، قاله السُّدِّي.

وروي عن عمر بن الخطَّاب ﵁ أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيِّه بمكَّة ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ﴾ فكيف هذه المعرفة؟ فقال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأَنَا أشدُّ معرفةً بمحمد ﷺ مني بابني. فقال عمر: وكيف ذاك؟ فقال: إني أشهد أنه رسول الله حقًّا، ولا أدري ما يصنع[٣] النِّساء[٤].

والثَّاني: أنها ترجع إلى الدِّين والنَّبيِّ. فالمعنى: يعرفون الإسلام أنه دين الله ﷻ، وأن محمدًا رسول الله، قاله قتادة.

والثَّالث: أنها ترجع إلى القرآن. فالمعنى: يعرفون الكتاب الدَّالَّ على صدقه، ذكره الماورديُّ[٥].

وفي ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم مشركو مكَّة.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ف): (يرجع).

(٣) في (ف): (صنع).

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ١٣) من طريق الكلبي، عن الربيع، عن ابن عبَّاسٍ، به، بنحوه.

(٥) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٠١).

والثَّاني: كفَّار أهل الكتابين[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١].

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق على الله الكذب في ادِّعاء شريك معه.

وفي «آياته» قولان:

أحدهما: أنها محمد والقرآن، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: القرآن، قاله مقاتل[٢].

والمراد بالظُّلم المذكور في هذه الآية: الشِّرك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢].

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.

انتصب «اليومَ» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم.

وقال ابن جرير: والمعنى: لا يفلحون اليوم، ولا يوم نحشرهم[٣].

---

(١) في (ف): (الكنايس).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٥).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٨٨).

وقرأ يعقوب: «يحشرهم» «ثم يقول» بالياء فيهما[١].

وفي الذين عني[٢] قولان:

أحدهما: المسلمون والمشركون.

والثَّاني: العابدون والمعبودون.

وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾.

سؤال توبيخ. والمراد بشركائهم: الأوثان، وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء لله.

وفي معنى ﴿تَزْعُمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يزعمون أنهم[٣] شركاء[٤] مع الله.

والثَّاني: يزعمون أنها تشفع لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٩)، والحجَّة (٣/ ٤٠٦)، والمبسوط (١/ ٥٣٨).

(٢) في (ج): (عنوا).

(٣) في (ف): (أنها).

(٤) من قوله: (لله. وفي معنى [٨])... إلى هنا، ليس في (ج).

قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بالتَّاء، ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالرَّفع.

وقرأ نافع، وأبو عَمْرٍو، وأبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتَّاء أيضًا، «فتنتَهم» بالنَّصب، وقد رُويت عن ابن كَثِيرٍ أيضًا[١].

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «يكن» بالياء، «فتنتَهم» بالنَّصب[٢].

وفي «الفتنة» أربعة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى الكلام والقول. قال ابن عبَّاسٍ[٣]، والضَّحَّاك[٤]: لم يكن كلامُهُم.

والثَّاني: أنها المعذرة. قال قتادة، وابن زيد: لم تكن معذرتهم.

قال ابن الأنباريِّ: فالمعنى: اعتذروا بما هو مُهْلِكٌ لهم، وسبب لفضيحتهم. [٢٢٥/أ]

والثَّالث: أنها بمعنى البليَّة. قال عطاء الخُراساني: لم تكن بليَّتهم[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٤)، والحجَّة (٣/ ٢٨٧)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ٤٦٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٩١)، وابن أبي حاتم (٧١٧٥) في تفسيرهما من طريق عطاء الخرساني، به. ولفظ ابن أبي حاتم: معذرتهم.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٩١)، وابن أبي حاتم (٧١٧٩) في تفسيرهما.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧١٧٨).

وقال أبو عُبيد: لم تكن بليَّتهم التي ألزمتهم الحجة، وزادتهم لائمة.

و **الرَّابع**: أنها بمعنى الافتتان. والمعنى: لم تكن عاقبة فتنتهم.

قال الزَّجّاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه.

ومثل ذلك في اللُّغة أنْ ترى إنْساناً يُحِبُّ غاوِياً، فإذا وقع في هَلَكَةٍ، تبرَّأ منه فيقول له: ما كانت محبَّتك لفلان إلا أن انتفيت منه.

قال: وهذا تأويل لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام، وتصرُّفَ العربِ في ذلك[1].

وقال ابن الأنباريِّ: المعنى: أنهم افتتنوا بقولهم هذا، إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدُّنيا.

قوله: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ[2]﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وعاصم، وابن عامر[3]: «واللهِ ربِّنا» بكسر الباء.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف: بنصب الباء[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٥ـ٢٣٦).

(٢) قوله: (ما كنا مشركين)، زيادة من (ج).

(٣) في (ج): (وابن عامر، وعاصم).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (١/ ١٣٧)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون.

والثَّاني: المنافقون.

ومتى يحلفون؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: إذا رأوا أنه لا يدخل الجنَّة إلَّا من كان مسلمًا، قالوا: تعالوا نكابر عن شركنا، فحلفوا، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنهم إذا دخلوا النَّار، ورأوا أهل التَّوحيد يخرجون؛ حلفوا، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد.

والثَّالث: أنهم إذا سئلوا: أين شركاؤكم؟ تبرَّؤوا، وحلفوا: ما كنَّا مشركين، قاله مقاتل[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤].

قوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: باعتذارهم بالباطل ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب ما كانوا يدَّعون ويختلقون من أن الأصنام شركاء لله، وشفعاؤهم في الآخرة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٥).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٥، ٢٦].

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾.

سبب نزولها:

أن نفرًا من المشركين، منهم عتبة، وشيبة، والنَّضر بن الحارث، وأُميَّةُ وأُبيٌّ ابنا خلف، جلسوا إلى رسول الله ﷺ، واستمعوا(١) إليه، ثم قالوا للنَّضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بنيةً(٢)، ما أدري ما يقول؟ إلا أني أرى تحرُّك شفتيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدِّثكم عن القرون الماضية، وكان النَّضر كثير الحديث عن القرون الأولى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ(٣).

فأما «الأكنَّة»، فقال الزَّجَّاج: هي جمع كِنان، وهو الغِطاءُ، مثل عِنَان وأعِنَّة(٤).

وأما: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ فمنصوب على أنه مفعول له. المعنى: وجعلنا على قلوبهم أكنَّةً لكراهة أن يفقهوه، فلما حذفت اللام، نصبت الكراهة، [٢٢٥/ب]
ولما حذفت الكراهة، انتقل نصبُها إلى «أنْ».

(١) في (ف): (فاستمعوا).

(٢) في (ف): (بيته)، وهو موافق لما في تفسير الثعلبي (٤/ ١٤١).

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٦).

«الوَقْر»: ثِقَلُ السَّمع، يقال: في أذنه وَقْر، وَقد وُقِرَتِ الأذن تُوْقَر.

قال الشَّاعر[(١)(٢)][من الرمل]:

وكلامٌ سَـيِّئٌ قَـدْ وُقِـرَتْ أُذُني عَنْـهُ، وَمَـا بِي مِـنْ صَمَـمْ

والوِقـر، بكسر الـواو أن يُحَمَّـل البعـير وغـيره مقـدار مـا يطيـق، تقـول: عليـه وِقـر، ويقـال: نخلـة موقِـر، وموقِـرة، وإنـما فُعـل ذلـك بهـم مجـازاة لهـم بإقامتهـم عـلى كفرهـم، وليـس المعنـى أنهـم لم يفقهـوه، ولم يسـمعوه، ولكنهـم لَّـما عدلـوا عنـه، وصرفـوا فكرهـم عـمَّا عليهـم في سـوء العاقبـة، كانـوا بمنزلـة مـن لم يعلـم ولم يسـمع.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ أي: كلَّ علامـة تـدلُّ عـلى رسـالتك، ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾.

ثـم أعلـم الله ﷻ مقـدار احتجاجهـم وجدلهـم، وأنهـم إنـما يسـتعملون في الاحتجـاج أن يقولـوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: مـا هـذا ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

وفيها قولان:

أحدهمـا: أنهـا مـا سُـطِّر مـن أخبارهـم وأحاديثهـم. روى أبـو صالـح عـن ابـن عبَّـاسٍ قـال: أسـاطير الأولـين: كذبهـم، وأحاديثهـم في دهرهـم.

---

(١) بداية سقط من (ف) بمقدار لوح تقريبًا.

(٢) البيـت للمثقَّـب العبـدي في ديوانـه (ص٢٣٠)؛ ولسـان العـرب (١٢/ ٢٦٥)، والعـين (٥/ ٢٠٦)، والمفضليـات (١/ ٢٩٤).

وقال أبو الحسن الأخفش: يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير: أُسْطُورَة.

وقال بعضهم: إِسطارَة، ولا أُراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو عَبادِيد ومَذاكِير وأَبابِيل[١].

وقال ابن قُتَيْبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سُطِرَ منها، أي: ما كتب، ومنه قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] أي: يكتبون، واحدها سطر، ثم أسطار، ثم أساطير جمع الجمع، مثل قول، وأقوال، وأقاويل[٢].

والقول الثَّاني: أن معنى أساطير الأوَّلين: التُّرَّهات.

قال أبو عُبَيدة: واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، ومجازها مجاز التُّرَّهات[٣].

قال ابن الأنباريِّ: التُّرَّهات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك مشكلة، يقول قائلهم: قد أخذنا في ترَّهات البسابس، يعني: قد عدلنا عن الطَّريق الواضح إلى المشكل، وعمَّا يُعرف إلى ما لا يُعرف. و«البسابس»: الصَّحاري الواسعة، والتُّرَّهات: طرق تتشعَّب من الطَّريق الأعظم، فتكثر وتُشكِل، فجُعلت مثلاً لما لا يصحُّ وينكشف[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ٣٧).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: العين (٧/ ٢٠٥)، والصحاح (٣/ ٩٠٩)، وجمهرة اللغة (١/ ١٧٥)، ولسان العرب (١/ ٤٦٠)، والقاموس المحيط (١/ ٥٣٣) وغيرها.

فإن قيل: لِمَ عابوا القرآن بأنه أساطير الأوَّلين، وقد سطر الأوَّلون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحي من الله تعالى.

والثَّاني: أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل.

فعلى الجواب الأوَّل تكون «أساطير» من التَّسطير[1].

وعلى الثَّاني يكون بمعنى التُّرَّهات، وقد شرحنا معنى التُّرَّهات. [٢٢٦/أ]

قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عمَّا جاء به، فنزلت فيه هذه الآية، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ[2]، وهو قول عمرو بن دينار[3]، وعطاء بن دينار[4]، والقاسم بن مخيمرة[5].

---

(١) في (ج): (يكون ال ! من التسطير).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٥) من طريق حبيب بن أبي ثابت، به، بنحوه.

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢/ ٢٦٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٠٥).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٠٤).

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنَّبيِّ ﷺ[١] سوءًا، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم، فيقتلوه، قال: ما لي عنه صبر؛ فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنَّت ناقة إلى غير فصيلها دفعتُه إليكم. وقال:

والله لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ بِجَمْعِهِم حَتَّى أُوَسَّدَ في التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وابْشِرْ وقَرَّ بذاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَعرَضْتَ دِينًا لا مَحَالَةَ أنَّهُ مِنْ خَيْرِ أدْيانِ البريَّةِ دِينَا
لَولا المَلامَةُ أو حَذَارِي سُبَّة لَوَجَدْتَني سَمْحًا بذَاكَ مُبِيْنَا

فنزلت فيه هذه الآية[٢].

والثَّاني: أن كفار مكَّة كانوا ينهون النَّاس عن[٣] اتِّباع النَّبيِّ ﷺ، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالبيُّ عن ابن عبَّاسٍ[٤]. وبه قال ابن الحنفيَّة[٥]، والضَّحَّاك[٦]، والسُّدِّي[٧].

---

(١) من قوله: (عند أبي طالب يدعوه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٦)، ورواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٥) وهو حديث عبد الله بن عباس ﷺ المتقدم قريبًا.

(٣) نهاية السَّقط المشار إليه آنفًا في (ف).

(٤) الوالبي هو سعيد بن جُبَيْر، ونظنه يقصد حديثه المتقدم.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٧٢٠١) في تفسيرهما.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم عقب الأثر رقم (٧٢٠١).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٠٢).

فعلى القول الأول، يكون قوله تعالى: «وهم» كنايةً عن واحد.

وعلى الثَّاني: عن جماعة.

وفي هاء ﴿عَنۡهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى النَّبيِّ ﷺ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: ينهون عن أذاه.

والثَّاني: عن اتِّباعه.

والقول الثَّاني: أنها تَرْجِع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ﴾ بمعنى يبعدون.

وفي هاء ﴿عَنۡهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها راجعة إلى النَّبيِّ ﷺ.

والثَّاني: إلى القرآن.

قوله: ﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ﴾ أي: وما يهلكون ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالتَّباعد عنه ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنَّهم يهلكون بها[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧].

---

(١) في (ف): (يهلكونها).

قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

في معنى ﴿وُقِفُواْ﴾ ستة أقوال:

أحدها: حُبِسُوا عليها، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: عُرِضُوا عليها، قاله مقاتل[١].

والثَّالث: عاينوها.

و الرَّابع: وقفوا عليها[٢] وهي تحتهم.

والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي فهمته وتبيَّنته، ذكر هذه الأقوال الثَّلاثة الزَّجَّاج[٣]، واختار الأخير[٤].

[٢٢٦/ب] وقال ابن جرير: عَلَى هاهنا بمعنى «في»[٥].

والسَّادس: جعلوا عليها وقفًا، كالوقوف المؤبَّدة على سبلها، ذكره الماورديُّ[٦].

والخطاب بهذه الآية للنَّبيِّ ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجبًا.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٢) من قوله: (قاله مقاتل)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٩).

(٤) في (ف): (الآخر).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٠٦).

(٦) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٠٥).

قوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من «نكذبُ»، والنون من «نكونُ»[1].

قال الزَّجَّاج: والمعنى أنهم تمنَّوا الرَّدَّ، وضمنوا أنهم لا يكذِّبون.

والمعنى: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ ونحن لا نكذِّب بآيات ربِّنا، رُدِدْنا أو لم نُردَّ، ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّا قد عاينَّا ما لا نكذِّب معه أبدًا.

قال: ويجوز الرَّفع على وجه آخر، على معنى ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ يا ليتنا لا نكذِّب، كأنهم تمنُّوا الرَّدَّ والتَّوفيق للتَّصديق[2].

وقال الأخفش: إذا رفعت جعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نكذِّب -والله- بآيات ربِّنا، ونكون -والله- من المؤمنين[3].

وقرأ حمزة إلا العجليَّ، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بنصب الباء من «نكذِّبَ»، والنون من «نكونَ»[4].

قال مَكِّي بن أبي طالب: وهذا النَّصب على جواب التَّمني، وذلك بإضمار «أن»، حملًا على مصدر «نُردُّ»، فأضمرت «أن» لتكون مع الفعل مصدرًا، فتعطف بالواو مصدرًا على مصدر. وتقديره: يا ليت لنا ردًّا، وانتفاء من التَّكذيب، وكونًا من المؤمنين[5].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٧).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٥٠).

وقرأ ابن عامر برفع الباء من «نُكذبُ»، ونصب النون من «نكونَ»، فالرَّفع قد بيَّنا علَّته، والنَّصب على جواب التَّمني[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٨، ٢٩].

قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾.

«بل»: هاهنا ردٌّ لكلامهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو ردُّوا لآمنوا.

وقال الزَّجَّاج: «بل» استدراك وإيجاب بعد نفي، تقول: ما جاء زيد بل عمرو[٢].

وفي معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض، قاله الحسن.

والثَّاني: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بألسنتهم، قاله مقاتل[٣].

والثَّالث: بدا لهم جزاء ما كانوا[٤] يخفونه، قاله المُبرِّد.

و الرَّابع: بدا للأتباع ما كان يُخفيه الرؤساء، قاله الزَّجَّاج[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) من قوله: (يخفون من قبل)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٠).

قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لعادوا إلى ما نُهوا عنه[1] من الشِّرك، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

قال ابن الأنباريِّ: كذَّبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم أنهم إن رُدُّوا آمنوا ولم يكذِّبوا، ولم يكذِّبْهم في التَّمني.

قوله: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذا إخبار عن منكري البعث.

قال مقاتل: لما أخبر النَّبيُّ ﷺ كفار مكَّة بالبعث، قالوا هذا[3]. [٢٢٧/أ]

وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا حكاية قولهم، لو رُدُّوا لقالوا[4].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)﴾ [الأنعام: ٣٠].

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

قال مقاتل: عُرِضُوا على ربِّهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِالْحَقِّ﴾[5].

وقال غيره: أليس هذا البعث حقًّا؟.

---

(١) قوله: (قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهوا عنه)، ليس في (ج).

(٢) أورده الماوردي في النُّكت والعيون (٢/ ١٠٦) بلا نسبة.

(٣) انظر: تفسر مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٢٠) مختصرًا.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

فعلى قول مقاتل: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالبعث.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

إنما وُصِفُوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم.

والمراد ﴿بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: البعث والجزاء. و﴿السَّاعَةُ﴾: القيامة. و«البغتة»: الفجأة.

قال الزَّجَّاج: كلُّ ما أتى فجأةً فقد بغت، يقال: قد بغته الأمر يَبْغَتُه بَغْتًا وبغتةً: إذا أتاه فجأةً.

قال الشَّاعر[1] [من الطويل]:

وَلَكِنَّهُمْ بانُوا وَلَمْ أَخْشَ بَغْتَةً ... وَأَفْظَعُ شيءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ البَغْتُ

قوله: ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ «الحسرة»: التَّلهف على الشيء الفائت، وأهل التَّفسير يقولون: يا ندامتنا.

فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقِلُ؟

فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فتدخِلُ عليه «يا» التنبيه، والمراد تنبيه النَّاس،

(١) البيت ليزيد بن ضَبَّةَ الثقفي في غريب الحديث؛ للحربي (٢/ ٦١٥)، والزاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٦)، ولسان العرب (٢/ ١١)، والعين (٤/ ٣٩٧).

لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرينَّك هاهنا. لفظه لفظ النَّاهي لنفسه، والمعنى للمنهي، ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله.

وقال سيبويه: إذا قلتَ: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر وتعال يا عَجَبُ، فهذا زمانك(١).

فأما «التَّفريط» فهو: التَّضييع.

وقال الزَّجَّاج: «التَّفريط» في اللُّغة: تقدمة العجز(٢).

وفي المكني عنه بقوله: ﴿فِيهَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الدُّنيا، فالمعنى: على ما ضيَّعنا في الدُّنيا من عمل الآخرة، قاله مقاتل(٣).

والثَّاني: أنها الصَّفقة، لأن الخسران لا يكون إلَّا في صفقة، وترك ذكرها اكتفاءً بذكر الخسران. قاله ابن جرير(٤).

والثَّالث: أنها الطَّاعة. ذكره بعض المفسِّرين.

فأما «الأوزار» فقال ابن قُتَيْبة: هي الآثام، وأصل الوزر: الحمل على الظَّهر(٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢١٤-٢١٥).

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٢).

وقال ابن فارس: الوزر: الثِّقل(١).

وهل هذا الحمل حقيقة؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه على حقيقته. قال عمير بن هانئ: يُحشر مع كلِّ كافر عمله في صورة رجل قبيح، كلـمَّا كان هَوْلٌ عظَّمه عليه، وزاده خوفًا، فيقول: بئس الجليس أنت(٢)، ما لي ولك؟ فيقول: أنا عملك، طالما ركبتني في الدُّنيا، فلأركبنَّك اليوم حتى أُخزيَك على رؤوس النَّاس، فيركبُه ويتخطَّى به النَّاس حتى يقف بين يدي ربه، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا قول السُّدِّي(٣)، وعمرو بن قيس الْمُلائي(٤)، ومقاتل(٥). [٢٢٧/ ب]

والثَّاني: أنه مثل، والمعنى: يحملون ثقل ذنوبهم، قاله الزَّجَّاج(٦).

قال: فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أَثْقَلِ ما يُتحمَّل.

ومعنى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس الشَّيء شيئًا يزرونه، أي: يحملونه.

---

(١) انظر: مجمل اللُّغة (١/ ٩٢٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم (٧٢٢٩) في تفسيرهما.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم (٧٢٢٨) في تفسيرهما.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧ـ٥٥٨).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣٢].

قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: وما الحياة الدُّنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها إلا كالشَّيء يُلعب به.

والثَّاني: وما أمر الدُّنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة، لا من الدُّنيا.

والثَّالث: وما أهل الحياة الدُّنيا إلا أهل لعب ولهو، لاشتغالهم عما أمروا به. واللَّعب: ما لا يُجدي نفعًا.

قوله: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ﴾.

اللام: لام القسم.

و«الدَّار الآخرة»: الجنَّة.

«أفلا يعقلون» فيعملون لها.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وحمزة، والكِسَائِي: «يعقلون» بالياء، في «الأنعم» و«الأعراف»، و«يوسف»، و«يس»[1]، وقرءوا في «القصص» بالتَّاء.

(١) في (ج): (ويونس).

وقرأ نافع كلَّ ذلك بالياء.

وروى حفص، عن عاصم كلَّ ذلك بالتَّاء، إلا في «يس» في الخَلْقِ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٨]، بالياء[١].

وقرأ ابن عامر الذي في «يس» بالياء، والباقي بالتَّاء[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له: الحارث بن عامر، قال: والله يا محمد ما كذبتنا قطُّ فنتَّهِمَك اليوم، ولكنا إن نتَّبِعْك نُتَخَطَّفْ من أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٣].

---

(١) في (ج): (بالتَّاء).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٦)، والحجَّة (٣/ ٢٩٥ـ٢٩٦)، والمبسوط (١/ ٣٧٢).

(٣) رواه النَّسائي في الكبرى (١١٣٢١) عن ابن أبي مليكة، قال: قال عمرو بن شعيب، عن ابن عبَّاسٍ، ولم يسمعه منه، أن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [القصص: ٥٧]. ورواه ابن جرير الطَّبري من طريق ابن أبي مليكة، عن ابن عبَّاسٍ، به، بنحوه بدون ذكر عمرو بن شعيب.

وقال مقاتل: كان الحارث بن عامر يكذِّب النَّبيَّ في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته، قال: ما محمد من أهل الكذب، فنزلت فيه هذه الآية[١].

والثَّاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النَّبيَّ ﷺ قالوا فيما بينهم: إنه لَنبيٌّ، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح[٢].

والثَّالث: أن أبا جهل قال للنَّبيِّ ﷺ: إنَّا لا نكذِّبك، ولكن نُكذِّب الذي[٣] جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب[٤].

وقال أبو يزيد المدني: لقي رسولُ الله ﷺ أبا جهل، فصافحه أبو جهل، فقيل له: أتصافح هذا الصابئ؟ فقال: والله إني لأعلم أنه نبيٌّ، ولكن متى كنا تبعًا لبني عبد مناف؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[٥].

و الرَّابع: أن الْأَخْنَسَ بْن شَرِيقٍ[٦] لقي أبا جهل فقال الْأَخْنَس: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو، أم كاذب؟ فليس هاهنا من

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٨).

(٢) رواه أبو الشيخ كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٦٤) قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذا رَأَوْا رَسُول الله ﷺ بِمَكَّة قَالَ بَعضهم لبَعض فِيمَا بَينهم: إِنَّه لنَبِيٌّ فَنزلت هَذِه الْآيَة: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

(٣) في (ج): (بالذي).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٧٢٣٥) في تفسيرهما، من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، به، بنحوه. ورواه الترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥) من نفس الطريق بذكر علي بن أبي طالب ﷺ، والأول أصح.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٣٩)، وأبو الشيخ كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: (سريق)، والمثبت من بقية النُّسخ.

[٢٢٨/أ] يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللِّواء، والسِّقاية، والحجابة، والنُّبوَّة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّي[١].

فأما الذي يقولون، فهو التَّكذيب للنَّبيِّ ﷺ، والكفر بالله.

وفي الآية تسلية للنَّبيِّ ﷺ وتعزية عما يواجهونه به.

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

قرأ نافع، والكِسَائِي: «يُكْذِبُونَك» بالتخفيف وتسكين الكاف[٢].

وفي معناها قولان:

أحدهما: لا يُلْفُونَك كاذبًا. قاله ابن قُتَيْبة[٣].

والثَّاني: لا يكذِّبون الشيء الذي جئت به، إنما يجحدون آياتِ الله، ويتعرَّضون لعقوباته.

قال ابن الأنباريِّ: وكان الكِسَائِي يحتجُّ لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبْتُ الرَّجل: إذا نسبْتَه إلى الكذب وصنعة الأباطيل من القول، وأكذبتُه: إذا أخبرتَ أن الذي يحدِّث به كذب، ليس هو الصَّانع له.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٢١ـ ٢٢٢) من طريق أسباط بن نصر، به، مطولًا.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٣٠٢)، والمبسوط (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٣).

قال: وقال غير الكِسَائِي: يقال: أكذبتُ الرَّجل: إذا أدخلتَه في جملة الكذَّابين، ونسبتَه إلى صفتهم، كما يقال: أبخلتُ الرَّجل: إذا نسبتَه إلى البخل، وأجبنتُه: إذا وجدتَه جبانًا.

قال الشَّاعر[(١)] [من الطويل]:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ ومُذْنِبُ

وقرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وعاصم، وحمزة، وابن عامر: ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتَّشديد وفتح الكاف[(٢)].

وفي معناها خمسة أقوال:

أحدها: لا يكذِّبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عِناد وبَهتٍ، قاله قتادة، والسُّدِّي.

والثَّاني: لا يقولون لك: إنَّك كاذب، لعلمهم بصدقك، ولكن يكذِّبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب.

والثَّالث: لا يكذِّبونك في السِّرِّ، ولكن يكذِّبونك في العلانية، عداوةً لك، قاله ابن السَّائب، ومقاتل[(٣)].

و الرَّابع: لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: كذبت.

---

(١) البيت للكميت في لسان العرب (٢/ ١٤٢)، وتاج العروس (٥/ ٣٣٧).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٣٠٢)، والمبسوط (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٨)، والبحر المحيط (٤/ ٤٨٩).

والخامس: لا يكذِّبونك بقلوبهم، لأنهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الزَّجَّاج[١].

وقال أبو عليٍّ: يجوز أن يكون معنى القراءتين[٢] واحدًا وإن اختلفت اللَّفظتان، إلا أن «فعَّلتُ» إذا أردتَ أن تنسبه[٣] إلى أمر أكثر من «أفعَلتُ».

ويؤكد أنَّ القراءتين بمعنىً، ما حكاه سيبويه أنهم قالوا: قلَّلتُ، وأقللت، وكثَّرتُ، وأكثرت، بمعنىً[٤].

قال أبو عليٍّ: ومعنى «لا يكذِّبونك»: لا يقدرون أن ينسبوك إلى الكذب فيما أخبرتَ به مما جاء في كتبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذبًا، كما تقول: أحمدت فلانًا[٥]: إذا أصبتَه محمودًا، لأنهم يعرفونك بالصِّدق والأمانة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ بألسنتهم [٢٢٨/ ب] ما يعلمونه يقينًا، لعنادهم[٦].

وفي «آيات الله» هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها محمد ﷺ، قاله السُّدِّي.

والثَّاني: محمد والقرآن، قاله ابن السَّائب.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

(٢) في (ف): (القولين).

(٣) في (ف): (إذا أرادوا أن ينسبوه).

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٠٣).

(٥) في (ف): (الرَّجل).

(٦) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٠٣).

والثَّالث: القرآن، قاله مقاتل[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

قوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه تعزية له على ما يلقى منهم.

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ رجاء ثوابي، ﴿وَأُوذُوا﴾ حتى نُشروا بالمناشير، وحُرِّقوا بالنَّار ﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ بتعذيب من كذَّبهم[٢][٣].

قوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: لا خُلْفَ لمواعيده، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: لا مبدِّل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزَّجَّاج[٤].

والثَّالث: لا مبدِّل لحكوماته وأقضيته النَّافذة في عباده، فعبَّرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] أي: وجب ما قضي[٥] عليهم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٨).

(٢) في (ج): (يُكذِّبهم).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٣).

(٥) في (ف): (قضاه).

فعلى هذا القول، والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدِّل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة:٢١].

و الرَّابع: أن معنى الكلام معنى النَّهي، وإن كان ظاهره الإخبار، فالمعنى: لا يُبدِّلَن أحدٌ كلماتِ الله، فهو كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ {البقرة:٢}.

والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللَّفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزَّيغ، ذكر هذه الألفاظ(١) الثَّلاثة ابن الأنباريِّ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: فيما صبروا عليه من الأذى فنُصروا(٢). وقيل: إن «مِن» صلة(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٥].

---

(١) في (ج)، و(ف): (الأقوال).

(٢) في الأصل: (فتصبروا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ج): (صلته).

قوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ الحارث بن عامر أتى رسول الله ﷺ في نفر من قريش فقال: يا محمد، ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات، فإن فعلت آمنا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ(١).

و ﴿كَبُرَ﴾: بمعنى «عَظُم».

وفي معنى(٢) إعراضهم قولان:

أحدهما: عن استماع القرآن.

والثَّاني: عن اتباع النَّبيِّ ﷺ.

فأما «النَّفق»، فقال ابن قُتَيْبة: النَّفق في الأرض: المدخل، وهو السَّرْب. والسُّلَّم في السَّماء: المصعد(٣).

وقال الزَّجَّاج: النَّفق: الطَّريق النَّافذ في الأرض. والنَّافقاء، ممدود: أحد جحرة اليربوع يَخْرِقه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض، فإذا بلغ الجلدة أرقَّها، حتى إنْ رابه ريب، دفع برأسه ذلك الموضع(٤) وخرج، ومنه سُمِّي المنافق، لأنه أبطن غير ما أظهر، كالنَّافقاء الذي ظاهره غير [٢٢٩/أ] بيِّن، وباطنه حفر في الأرض.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٣).

(٤) في (ج)، و(ف): (المكان).

و«السُّلَّم» مشتقٌّ من السَّلامة، وهو الشيء الذي يسلِّمك إلى مصعدك.

والمعنى: فإن استطعت هذا فافعل، وحذف «فافعل»، لأن في الكلام دليلاً عليه[١].

وقال أبو عُبَيدة: السُّلَّم: السبب والمرقاة، تقول: اتخذتني سُلَّماً لحاجتك، أي: سبباً[٢].

وفي قوله: ﴿فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖ﴾ **قولان:**

أحدهما: بآية قد سألوك إيَّاها، وذلك أنهم سألوا نزول ملك الموت، ومثل آيات الأنبياء، كعصا موسى، وناقة صالح.

والثَّاني: بآية هي أفضل من آيتك.

قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لو شاء أن يطبعهم على الهدى لطبعهم.

والثَّاني: لو شاء لأنزل ملائكة[٣] تضطرُّهم إلى الإيمان. ذكرهما الزَّجَّاج[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٤).

(٣) في (ج)، و(ف): (آيةً).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٤).

والثَّالث: لو شاء لآمنوا كلُّهم، فأخبر [أنَّهم][(١)] إنما تركوا الإيمان بمشيئته، ونافذ قضائه.

قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى.

والثَّاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم، ويكفر [بك][(٢)] بعضهم.

والثَّالث: لا تكوننَّ ممن لا صبر له، لأن قلة الصَّبر من أخلاق الجاهلين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: ٣٦].

قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إنما يجيبك من يسمع، والمراد به سماع قبول.

وفي المراد بالموتى قولان:

أحدهما: أنهم الكفار، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة.

فيكون المعنى: إنما يستجيب المؤمنون، فأما الكفار فلا يستجيبون حتى يبعثهم الله تعالى، ثم يحشرهم كفارًا، فيجيبون اضطرارًا.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) زيادة من (ف).

والثَّاني: أنهم الموتى حقيقة، ضربهم الله تعالى[١] مثلًا.

والمعنى: أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله، فكذلك الذين لا يسمعون.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، فيجازي الكُلَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: ٣٧].

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: نزلت في رؤساء قريش[٢].

و﴿لَوْلَا﴾: بمعنى «هلَّا» وقد شرحناها في «سورة النِّساء»[٣].

وقال مقاتل: أرادوا بالآية مثل آيات الأنبياء[٤].

وقال غيره: أرادوا نزول ملك يشهد له بالنُّبوَّة.

وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: لا يعلمون بأنَّ الله ﷻ قادر على إنزال الآية.

والثَّاني: لا يعلمون ما عليهم من البلاء في إنزالها، لأنهم إن لم يؤمنوا بها، زاد عذابهم.

---

(١) قوله: (الله تعالى)، ليس في (ف).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (١/ ٢١٩).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٧٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٩).

والثَّالث: لا يعلمون المصلحة في نزول الآية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد كلَّ ما دبَّ على الأرض[١].

قال الزَّجَّاج: وذكر الجناحين توكيد، وجميع ما خُلق لا يخلو إما أن يدُبَّ، أو يطير[٢]. [٢٢٩/ب]

وقوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

قال مجاهد: أصناف مصنَّفة[٣].

وقال أبو عُبَيدة: أجناس يعرفون الله ويعبدونه[٤].

وفي معنى ﴿أَمْثَالُكُم﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أمثالكم في كون بعضها تفقه[٥] عن بعض، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم (٧٢٥٦) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به، بلفظ: «أَصْنَافٌ مُصَنَّفَةٌ تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا».

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩١).

(٥) في (ف): (يفقه).

والثَّاني: في معرفة الله، قاله عطاء.

والثَّالث: أمثالكم في الخلق والموت والبعث، قاله الزَّجَّاج[١].

و الرَّابع: أمثالكم في كونها تطلب الغذاء، وتبتغي الرِّزق، وتتوقَّى المهالك، قاله ابن قُتَيْبة[٢].

قال ابن الأنباريِّ: وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى ركَّب في المشركين عقولًا، وجعل لهم أفهامًا ألزمهم بها أن يتدبَّروا أمر النَّبيِّ ﷺ ويتمسَّكوا بطاعته، كما جعل للطَّير أفهامًا يعرف بها بعضها إشارة بعض، وهدى الذَّكَرَ منها لإتيان الأنثى، وفي كلِّ ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها.

قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾.

في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه اللَّوح المحفوظ.

روى ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ: ما تركنا شيئًا إلا وقد كتبناه في أمِّ الكتاب[٣]. وإلى هذا المعنى ذهب قتادة، وابن زيد.

والثَّاني: أنه القرآن.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٥).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٤٩).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٧٢٥٩) في تفسيرهما.

روى عطاء عن ابن عبَّاسٍ: ما تركنا من شيء إلا وقد بيَّناه لكم(١).

فعلى هذا يكون من العامِّ الذي أريد به الخاصُّ، فيكون المعنى: ما فرَّطنا في(٢) شيء بكم إليه حاجة إلا وبيَّناه في الكتاب، إما نصًّا، وإما مجملًا، وإما دلالة، كقولنا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] أي: لكلِّ شيء يُحتاج إليه في(٣) أمر الدِّين.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه الجمع يوم القيامة.

روى أبو ذرٍّ قال: انتطحت شاتان عند النَّبيِّ ﷺ فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي فِيمَا انْتَطَحَتَا؟**» قلت: لا. قال: «**وَلَكِنَّ اللهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**»(٤).

وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق يوم القيامة، البهائم والدَّوابَّ والطَّير وكلَّ شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا، فيقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا(٥).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٨).

(٢) في (ف): (من).

(٣) في (ف): (من).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٦)، عن معمر، عن الأعمش، ذكره عن أبي ذر، به. ومن طريقه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٣٦) وهو منقطع بين الأعمش وأبي ذر ﷺ.
وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد في مسنده (١٥/ ٣٣)، وسنده ضعيف أيضًا.

(٥) رواه عبد الرزاق (٢/ ٤٦)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (١٩١٠٩) في تفسيرهما.

والثَّاني: أن معنى حشرها: موتها، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾ [الأنعام: ٣٩].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ، ﴿صُمٌّ﴾ عن القرآن لا يسمعونه، ﴿وَبُكْمٌ﴾ عنه لا ينطقون به ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الشِّرك والضَّلالة. ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ﴾ فيُضلُّه[1] فيموت على الكفر ﴿وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠)﴾ [الأنعام: ٤٠].

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾.

[٢٣٠/أ] قرأ ابن كَثِير، وعاصم، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر، وحمزة: «أرأيتم» و«أرأيتكم» و«أرأيت» بالألف في كلِّ القرآن مهموزًا.

وليَّن الهمزة نافع في الكلِّ.

وقرأ الكِسَائي بغير همز ولا ألف[2].

قال الفرَّاء: العرب تقول: أرأيتك، وهم يريدون: أخبرني[3].

---

(١) في (ج)، و(ف): (يضلله).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٣٠٥)، والمبسوط (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٣).

فأمَّا ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾.

ففي المراد به هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: العذاب الذي كان يأتي الأمم الخالية، قاله مقاتل[١].

فأما ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ فهي القيامة.

قال الزَّجَّاج: وهو اسم للوقت الذي يُصعق فيه العباد، وللوقت الذي يُبعثون فيه[٢].

قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: أتدعون صنمًا أو حجرًا لكشفِ ما بكم؟! فاحتجَّ عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مسَّهم الضُّرُّ دعوا الله.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾، لأنه بمعنى أخبروا، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين، فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم؟.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤١].

قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٦).

قال الزَّجَّاج: أعلمهم أنهم لا يدعون في الشَّدائد إلا إيَّاه، وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام(١).

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾.

المعنى: فيكشف الضُّرَّ الذي من أجله دعوتم، وهذا على اتِّساع الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، أي: أهل القرية.

﴿وَتَنسَوْنَ﴾: يجوز أن يكون بمعنى «تتركون»، ويجوز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

في الآية محذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أُمم من قبلك رسلاً فخالفوهم، فأخذناهم بالبأساء.

وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الزَّمَانَة والخوف، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنها البؤس، وهو الفقر، قاله ابن قُتَيْبة(٢).

والثَّالث: أنها الجوع، ذكره الزَّجَّاج(٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ٧٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

وفي الضَّرَّاء ثلاثة أقوال:

أحدها: البلاء، والجوع، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: النَّقص في الأموال والأنفس، ذكره الزَّجَّاج[1].

والثَّالث: الأسقام والأمراض، قاله أبو سليمان.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: لكي يتضرَّعوا.

و«التَّضرُّع»: التَّذلل والاستكانة.

وفي الكلام محذوف تقديره: فلم يتضرَّعوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

قوله: ﴿فَلَوْلَآ﴾ معناه: «فهلَّا».

و«البأس»: العذاب.

ومقصود الآية: أن الله تعالى أعلم نبيَّه ﷺ أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أُخذوا بالشَّدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم، وزيَّن لهم الشَّيطان ضلالتهم فأصرُّوا عليها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: تركوا ما وُعظوا به(١).

[٢٣٠/ب] ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد رخاء الدُّنيا وسرورها.

وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فَتَّحنا» بالتَّشديد هنا، وفي «الأعراف»، وفي «الأنبياء»: «فُتِّحت»، وفي «القمر»: «فَتَّحنا».

والجمهور على تخفيفهن(٢).

قال الزَّجَّاج: أبواب كلِّ شيء كان مغلقًا عنهم من الخير، حتى إذا ظنُّوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقامًا، وما فُتح عليهم باستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا(٣).

وقال ابن الأنباريِّ: إنما أراد بقوله: «كلَّ شيء»: التَّأكيد، لقول القائل: أكلنا عند فلان كلَّ شيء، وكنا عنده في كلِّ سرور، يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٢٣].

وقال الحسن: من وُسِّع عليه فلم ير أنه يُمكر به، فلا رأي له، ومن قُتِّر عليه فلم ير أنه يُنظر له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مُكر بالقوم وربِّ الكعبة، أُعطوا حاجاتهم ثم أُخذوا(٤).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٤٤١)، والمبسوط (١/ ١٩٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٩٣)، وأبو الشيخ كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٧٠).

قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

في المُبْلِس خمسة أقوال:

أحدها: أنه الآيس من رحمة الله ﷻ، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، وقال في رواية أخرى: الآيس من كلِّ خير.

وقال الفرَّاء: المُبْلِس: اليائس المنقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجَّته، فلا يكون عنده جواب: قَدْ أَبْلَسَ.

قال العجَّاج [من الرجز]:

يَا صَاحِ هَلْ تعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسا   قَالَ نَعَمْ! أعْرِفُه! وأَبْلَسَا

أي: لم يَحِرْ جوابًا[١].

وقيل: المُكْرَس: الذي قد بعرت فيه الإبل، وبوَّلت، فيركب بعضه بعضًا.

والثَّاني: أنه المُفْتَضِح. قال مجاهد: الإبلاس: الفضيحة[٢].

والثَّالث: أنه المُهْلَك، قاله السُّدِّي.

و الرَّابع: أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشَّرِّ ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد.

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٣٥)، والبيت للعجاج في ديوانه (١/ ١٨٥)، ولسان العرب (٦/ ٣٠)، والتنبيه والإيضاح (٢/ ٢٦٢)، وتهذيب اللُّغة (١٢/ ٤٤٢)، والكامل (٢/ ١٤١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧٣).

والخامس: أنه الحزين النَّادم، قاله أبو عُبَيدة.

وأنشد لرؤبة [من الرجز]:

وَحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسُ

أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن(١).

وقال الزَّجَّاج: هو الشَّديد الحسرة، الحزين، اليائس.

وقال في موضع آخر: المُبْلِس: السَّاكت المتحيِّر(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

قال ابن السَّائب: دابرهم: الذي يتخلَّف في آخرهم(٣).

والمعنى: أنهم استؤصلوا.

وقال أبو عُبَيدة(٤): دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم(٥).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٢)، والبيت لرؤبة في ديوانه (ص ٦٧)، وبلا نسبة في لسان العرب (٦/ ٣٠)، وتهذيب اللُّغة (١٢/ ٤٤٢)، ومقاييس اللُّغة (١/ ٣٣٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩، ٤/ ٢٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢).

(٤) من قوله: (قال ابن السَّائب)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٢).

قال ابن قُتَيْبة: هو كما يقال: اجتُثَّ أصلهم(١).

قال المفسِّرون: وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم، لأن ذلك إنعام على رسلهم الذين كذبوهم، وعلم الحمد على كفايته شر الظَّالمين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٤٦].

قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أي: أذهبها ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ حتى لا تعرفون شيئًا ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾؟

في هاء ﴿بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: [٢٣١/أ]

أحدها: أنها تعود على الفعل، والمعنى: يأتيكم بما أخذ الله منكم، قاله الزَّجَّاج(٢).

وقال الفرَّاء: إذا كنيت عن الأفاعيل، وإن كثرتْ، وحَّدتَ الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذيني.

والثَّاني: أنها تعود إلى الهدى، ذكره الفرَّاء(٣).

فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور، ولكن المعنى يشتمل عليه، لأن من أُخذ سمعه وبصره وخُتم على قلبه لم(٤) يهتد.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٥).

(٤) في (ف): (فلم).

والثَّالث: أنها تعود على السَّمع، ويكون ما عُطف عليه داخلًا معه في القصة، لأنه معطوف عليه، ذكره الزَّجَّاج(١).

والجمهور يقرءون: ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ﴾ بكسر هاء «بِهِ».

وروى المسيَّبي عن نافع: «بهُ انظر»: بالضم(٢).

قال أبو عليٍّ: من كسر، حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو: بهي عيب، ومن ضمَّ، فعلى قول من قال: «فخسفنا بهو و بدارهو الأرض» فحذف الواو(٣).

قوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾.

قال مقاتل: يعني تكون العلامات في أُمور شتى، فيخوِّفهم بأخذ الأسماع والأبصار والقلوب، وما صُنع بالأُمم الخالية ﴿ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ أي: يعرضون فلا(٤) يعتبرون(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٧﴾ [الأنعام: ٤٧].

قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧_٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١٠)، ومعاني القراءات (١/ ٣٥٤).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٣١٠).

(٤) في (ج): (ولا).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦١).

قال الزَّجَّاج: «الْبَغْتَةُ»: المفاجأة. و«الْجَهْرَةُ»: أن يأتيهم وهم يرونه[1].

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم[2] معاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالثواب ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ أي: بالعقاب، وليس إرسالهم ليأتوا بما يقترحونه من الآيات.

ثم ذكر ثواب من صدَّق، وعقاب من كذَّب في تمام الآية والتي[3] بعدها.

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿يَفْسُقُونَ﴾: بمعنى يكفرون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾.

سبب نزولها:

أن أهل مكَّة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزًا فتستغني به،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٢) من قوله: (أن يأتيهم وهم يرونه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ف): (والذي).

فإنك فقير محتاج، أو تكون لك جنة تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

وقال الزَّجَّاج: وهذه الآية متَّصلة بقوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [يونس:٢٠]، فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحي، ولا يقول: إنه مَلَكٌ، لأن الملك يشاهد من أمور الله تعالى ما لا يشاهده البشر[١].

وقرأ ابن مسعود، وابن جُبَيْر، وعكرمة، والجَحْدَري: «إني مَلِكٌ» بكسر اللام[٢].

وفي ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قولان:

أحدهما: أن «الأعمى»: الكافر، و«البصير»: المؤمن، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة.

والثَّاني: «الأعمى»: الضالُّ، و«البصير»: المهتدي، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد. [٢٣١/ب]

وفي قوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: فيما بُيِّن لكم من الآيات الدَّالَّة على وحدانيَّته وصدق رسوله.

والثَّاني: فيما ضُرب لكم من مثل الأعمى والبصير وأنهما لا يستويان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٠).

(٢) وعن طلحة الحضرمي في مختصر ابن خالويه (ص:٤٣).

قوله: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ﴾.

قال الزَّجَّاج: يعني بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم، وإن كان مُنْذِرًا لجميع الخلق، لأن الحجَّة على الخائفين الحشر أظهر، لاعترافهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما مسلم، فيُنذَر ليؤديَ حقَّ الله عليه في إسلامه، وإما كتابيٌّ، فأهل الكتاب مجمعون على البعث. وذكر الولي والشفيع، لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبَّاؤه، فأعلم ﷻ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ"(١).

وقال غيره: ليس لهم من دونه وليٌّ، أي: ليس لهم غير الله وليٌّ ولا شفيعٌ، لأن شفاعة الشَّافعين بأمره.

وقال أبو سليمان الدِّمشقي: هذه الآية متعلِّقة بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قوله: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾.

روى سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة: فيَّ، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١).

قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهؤلاء، فاطردهم عنك؛ فدخل على رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فنزلت هذه الآية[1].

وقال خبَّاب بن الأرتِّ: نزلت فينا، كنا ضعفاء عند النَّبيِّ ﷺ يعلِّمنا بالغداة والعشيِّ ما ينفعنا، فجاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فقالا: إنا من أشراف قومنا، وإنا نكره أن يرونا معهم، فاطردهم إذا جالسناك. قال: «نَعَمْ». فقالوا: لا نرضى حتى تكتب بيننا كتابًا، فأُتي بأديم ودواة، ودعا عليًّا ليكتب، فلما أراد ذلك، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ [2]فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ فرمى بالصَّحيفة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ». فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٣) مختصرًا، وعبد بن حميد (١٣١)، والنَّسائي في الكبرى (٨١٦٣ـ ٨١٨٠ـ ٨٢٠٧ـ ٨٢٠٩ـ ١١٠٩٨)، وابن ماجه (٤١٢٨)، والبزار في مسنده (١٢٢٨)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨٢٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٩٥) بألفاظ متقاربة.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٢٧)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٥٩)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (١/ ١١٣)، والطَّبراني في الكبير (٣٦٩٣)، والبزار في مسنده (٢١٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٠٩).

وقال ابن مسعود: مرَّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خبَّاب، وصهيب، وبلال، وعمَّار، فقالوا: يا محمد، رضيتَ بهؤلاء، أتريد أن نكون تبعًا لهم؟! فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[1].

وقال عكرمة: جاء عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، في أشراف بني عبد مناف، إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم في صدورنا، وأدنى [٢٣٢/أ] لاتِّباعنا إياه، فأتاه أبو طالب فحدَّثه بذلك، فقال عمر بن الخطَّاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته[2].

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاس: أن هذه الآيات نزلت في الموالي، منهم بلال، وصُهَيب، وخبَّاب، وعمَّار، ومِهْجَع، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأن قوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ نزلت فيهم أيضًا[3].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧/ ٩٢)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٥٨)، وابن أبي حاتم (٧٣٤٢) في تفسيرهما، والطَّبراني في الكبير (١٠٥٢٠)، والبزار في مسنده (٢٠٤١) وغيرهم من طرق عن أشعث بن سوار، عن كردوس الثعلبي، عن ابن مسعود ﷺ، به، بنحوه. وهو حديث حسن. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أشعث، وهو ابن سوار الكندي، ويشهد له حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ المتقدم.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٢) من طريق حجاج، عن ابن جُرَيج، به.

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٥٢٠).

وقد روى العَوْفِي عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ أناسًا من الأشراف قالوا للنَّبيِّ ﷺ: نؤمن لك، وإذا صلَّينا فأخِّر هؤلاء الذين معك، فليصلُّوا خلفنا[(١)].

فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصَّفِّ، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه.

قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾.

في هذا الدُّعاء خمسة أقوال:

أحدها: أنه الصَّلاة المكتوبة، قاله ابن عمر، وابن عبَّاسٍ.

وقال مجاهد: هي الصَّلوات الخمس[(٢)].

وفي رواية عن مجاهد، وقتادة قالا: يعني صلاة الصُّبح والعصر.

وزعم مقاتل أن الصَّلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشيِّ، ثم فرضت الصَّلوات الخمس بعد ذلك[(٣)].

والثَّاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النَّخعي، وعنه كالقول الأوَّل.

والثَّالث: أنه عبادة الله، قاله الضَّحَّاك.

و الرَّابع: أنه تعلُّم القرآن غدوة وعشيَّة، قاله أبو جعفر.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٧).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٣).

والخامس: أنه دعاء الله بالتَّوحيد، والإخلاص له[١]، وعبادته، قاله الزَّجَّاج[٢].

وقرأ الجمهور: «بالغداة».

وقرأ ابن عامر هاهنا وفي «الكهف» أيضًا: «بالغُدْوَةِ» بضم الغين وإسكان الدَّال وبعدها واو[٣].

قال الفرَّاء: والعرب لا تدخل الألف واللام في «الغدوة»؛ لأنها معرفة بغير ألف ولام، ولا تضيفها العرب يقولون: أتيتك غداة الخميس، ولا يقولون: غُدوة الخميس، فهذا دليل على أنها معرفة[٤].

وقال أبو عليٍّ: الوجه: الغداة، لأنها تستعمل نكرة[٥]، وتتعرَّف باللام، وأما غُدوة، فمعرفة[٦].

وقد قال الخليل: يجوز أن تقول: أتيتك اليوم غُدوة وبُكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة، فهذا وجه قراءة ابن عامر[٧].

فإن قيل: دعاء القوم كان متَّصلًا باللَّيل والنَّهار، فلماذا خصَّ الغداة والعشي؟

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١٩)، والمبسوط (١/ ١٩٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٩).

(٥) في الأصل، و(ج): (بكرة)، والمثبت من (ر)، وهو الموافق لما في كتاب الحجَّة.

(٦) انظر: الحجَّة (٣/ ٣١٩).

(٧) انظر: الكتاب؛ لسيبويه (٣/ ٢٩٤).

فالجواب: أنه نبَّه بالغداة على جميع النَّهار، وبالعشيِّ على اللَّيل، لأنه إذا كان عمل النَّهار خالصًا له، كان عمل اللَّيل أصفى.

قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي يريدون الله، فشهد الله لهم بصحة النِّيَّات، وأنهم مخلصون في ذلك[1].

فأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوال: [٢٣٢/ب]

أحدها: أنه حساب الأعمال، قاله الحسن.

والثَّاني: حساب الأرزاق.

والثَّالث: أنه بمعنى الكفاية. والمعنى: ما عليك من كفايتهم، ولا عليهم كفايتك.

قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قال ابن الأنباريِّ: عظم هذا الأمر على النَّبيِّ ﷺ، وخُوِّفَ بالدُّخول في جملة الظَّالمين، لأنه كان قد همَّ بتقديم الرُّؤساء على الضُّعفاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١) بمعناه.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

المعنى: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا هؤلاء[١] أيضًا بعضهم ببعض. و«فتنا» بمعنى: ابتلينا واختبرنا ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ يعني الكبراء: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون الفقراء والضعفاء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالهدى؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة.

قال ابن السَّائب: ابتلى الله الرُّؤساء بالموالي، فإذا نظر الشَّريف إلى الوضيع قد آمن قبله، أنف أن يُسلم، ويقول: سبقني هذا![٢].

قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا منَّ عليهم بالهداية.

والمعنى: إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر.

والاستفهام في «أليس»، معناه التَّقرير، أي: إنه كذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنَّا أصبنا

(١) ليست في (ف).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٦).

ذنوبًا عظيمة، فسكت عنهم رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله أنس بن مالك(١).

والثاني: أنها نزلت في الذين نُهي عن طردهم، فكان النَّبيُّ ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسَّلام، وقال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ»، قاله الحسن، وعكرمة(٢).

والثَّالث: أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وعثمان بن مظعون، وأبي عُبيدة، ومصعب بن عمير، وسالم، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعمار، وبلال، قاله عطاء(٣).

و الرَّابع: أن عمر بن الخطَّاب كان أشار على رسول الله ﷺ بتأخير الفقراء، استمالة للرُّؤساء إلى الإسلام، فلمَّا نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ جاء عمر بن الخطَّاب يعتذر من مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن السَّائب(٤).

والخامس: أنها نزلت مبشِّرة بإسلام عمر بن الخطَّاب، فلما جاء وأسلم تلاها عليه رسول الله ﷺ، حكاه أبو سليمان الدِّمشقي.

---

(١) رواه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٠٦)، و ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم (٧٣٤٥) في تفسيرهما من طريق سفيان الثَّوري، عن مجمع، عن ماهان، مرفوعًا.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٥) عن عكرمة، مرسلًا.

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٥٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٢) من طريق ابن جُرَيْج، عن عكرمة من قوله، بلفظ مطول.

فأما قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فمعناه: يصدِّقون بحججنا وبراهيننا.

قوله: ﴿فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه أُمر بالسَّلام عليهم تشريفًا لهم، وقد ذكرناه عن الحسن، وعكرمة. [٢٣٣/أ]

والثَّاني: أنه أُمر بإبلاغ السَّلام إليهم عن الله تعالى، قاله ابن زيد.

قال الزَّجَّاج: ومعنى السَّلام: دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات[1].

وفي السُّوء قولان:

أحدهما: أنه الشِّرك.

والثَّاني: المعاصي.

وقد ذكرنا في «سورة النِّساء» معنى «الجهالة»[2].

قرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرو، وحمزة، والكِسَائِي: «إنه من عمل منكم سوءًا» «فإنه غفور» بكسر الألف فيهما.

وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتح الألف فيهما.

وقرأ نافع بنصب ألف «أنه من عمل»، وكسر ألف «فإنه غفور»[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٢- ٢٥٣).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٧).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١١)، والمبسوط (١/ ١٩٤ـ ١٩٥).

قال أبو عليٍّ: من كسر ألف «إنه» جعله تفسيرًا للرَّحمة، ومن كسر ألف «فإنه غفور» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن فتح ألف «أنه من عمل» جعل «أنَّ» بدلاً من الرَّحمة، والمعنى: كتب ربكم «أنه من عمل»، ومن فتحها بعد الفاء أضمر خبرًا تقديره: فله «أنه غفور رحيم»، والمعنى: فله غفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة:٦٣] معناه: فله أن له نار جهنم، وأما قراءة نافع، فإنه أبدل من الرَّحمة، واستأنف ما بعد الفاء[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: وكما فصَّلنا لك في هذه السُّورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين، كذلك نبيِّن لك حجَّتنا في كل حقٍّ ينكره أهل الباطل.

قال ابن قُتَيْبة: ومعنى تفصيلها: إتيانها متفرِّقة شيئًا بعد شيء[٢].

قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر: «وَلِتَسْتَبِينَ» بالتَّاء، «سبيلُ» بالرَّفع.

وقرأ نافع، وزيد عن يعقوب: بالتَّاء أيضًا، إلا أنهما نصبا السَّبيل.

---

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣١١).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم: « وَلِيَسْتَبِين» بالياء، «سبيلُ» بالرَّفع(١).

فمن قرأ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالياء أو بالتَّاء، فلأن السَّبيل يُذكَّر ويُؤنَّث على ما بيَّنا في «آل عمران»، ومن نصب اللام، فالمعنى: ولتستبين أنت يا محمد سبيلَ المجرمين.

وفي سبيلهم التي بُيِّنت له، قولان:

أحدهما: أنها طريقهم في الشِّرك، ومصيرهم إلى الخزي، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحسد، لا إيثار مجالسته واتِّباعه، قاله أبو سليمان.

فإن قيل: كيف انفردت لام «كي» في قوله: «ولتستبين»، وسبيلها أن تكون شرطًا لفعل يتقدَّمها أو يأتي بعدها؟

فقد أجاب عنه ابن الأنباريِّ بجوابين:

أحدهما: أنها شرط لفعل مضمر، يراد به: ونفعل ذلك لكي تستبين.

والثَّاني: أنها معطوفة على لام مضمرة، تأويله: نفصِّل الآيات لينكشف أمرهم، ولتستبين سبيلهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١٤)، والمبسوط (١/ ١٩٥).

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام.

وفي معنى ﴿تَدْعُونَ﴾ قولان: [٢٣٣/ب]

أحدهما: تدعونهم آلهة.

والثَّاني: تعبدون، قاله ابن عبَّاسٍ.

وأهواؤهم: دينهم.

قال الزَّجَّاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البيِّنة والبرهان(١).

ومعنى «إذًا» معنى الشَّرط، والمعنى: قد ضللت إن عبدتها(٢).

وقرأ طلحة، وابن أبي ليلى: «قد ضلِلت» بكسر اللام(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾.

سبب نزولها:

أن النَّضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنَّبيِّ ﷺ: يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا به، استهزاءً، وقام النَّضر عند الكعبة فقال: اللَّهمَّ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٣) عن يحيى وابن أبي ليلى، وفي البحر المحيط (٤/ ١٤٢) عن السُّلمي.

إن كن ما يقول حقًّا، فائتنا بالعذاب، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[١].

فأما «البيِّنة» فهي الدِّلالة التي تفصل بين الحقِّ والباطل.

قال الزَّجَّاج: أنا على أمر بيِّن، لا متَّبعٌ هوى[٢].

قوله: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾.

في هاء الكناية، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الرَّبِّ.

والثَّاني: ترجع إلى البيان.

والثَّالث: ترجع إلى العذاب الذي طلبوه استهزاءً.

قوله: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي: ما بيدي.

وفي الذي استعجلوا به قولان:

أحدهما: أنه العذاب، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن.

والثَّاني: أنه الآيات التي كانوا يقترحونها، ذكره الزَّجَّاج[٣].

قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٩) عن محمد بن السَّائب الكلبي من قوله.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٦).

فيه قولان:

أحدهما: أنه الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثَّواب والعقاب.

والثَّاني: أنه القضاء بإنزال العذاب على المخالف.

قوله: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾.

قرأ ابن كَثِير، وعاصم، ونافع ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ بالصاد المشددة، من القصص. والمعنى: أن كلَّ ما أخبر به فهو حقٌّ.

وقرأ أبو عَمْرٍو، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: «يَقْضِي الحقَّ» من القضاء[1]. والمعنى: يقضي القضاء الحقَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنعام: ٥٨].

قوله: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي: من العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يقول: لم أمهلكم ساعةً، ولأهلكتكم[2].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: إن شاء عاجلهم، وإن شاء أخَّر عقوبتهم.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣١٨)، والمبسوط (١/ ١٩٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٥٣٢).

والثَّاني: أعلم بما يؤول إليهم أمرهم، وأنه قد يهتدي منهم قوم، ولا يهتدي آخرون؛ فلذلك يؤخِّرهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾.

قال ابن جرير: وَالْمَفَاتِحُ: جمع مِفْتَح يقال: مِفْتَحٌ وَمِفْتَاحٌ، فمن قال: مِفْتَحٌ، جمعه: مَفَاتِحَ. ومن قال: مِفْتَاحٌ، جمعه: مَفَاتِيحَ[1].

وفي ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ سبعة[2] أقوال:

أحدها: أنها خمس لا يعلمها إلا الله ﷻ.

روى البخاريُّ في أفراده من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، لَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ[3] إِلَّا اللهُ، وَلَا** [٢٣٤/أ] **تَعْلَمُ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ إِلَّا اللهُ»**[4].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٨٢).

(٢) في (ج): (ستة).

(٣) في (ج): (ولا ما يكون غدًا).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٩٧)، وعبد بن حميد في مسنده (٧٣٣).

قال ابن مسعود: أُوتي نبيُّكم علم كلِّ شيء إلا مفاتيحَ الغيب(١).

والثَّاني: أنها خزائن غيب السَّماوات والأرض من الأقدار والأرزاق، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: ما غاب عن الخلق من الثَّواب والعقاب، وما تصير إليه الأمور، قاله عطاء.

و الرَّابع: خزائن غيب العذاب، متى ينزل، قاله مقاتل(٢).

والخامس: الوُصلة إلى علم الغيب إذا اسْتُعْلم، قاله الزَّجَّاج(٣).

والسَّادس: عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال.

والسَّابع: ما لم يكن، هل يكون، أم لا يكون؟ وما يكون كيف يكون، وما لا يكون إن كان، كيف يكون؟.

فأما ﴿ٱلْبَرِّ﴾ فهو القَفْر.

وفي «البحر» قولان:

أحدهما: أنه الماء، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنه القرى، قاله مجاهد.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٨/ ٥٨٧) بلفظ: «كُلُّ شَيْءٍ أُوتِيهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ إِلَّا عِلْمَ الْغَيْبِ الْخَمْسَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

قوله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، كما تقول: ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله: أعرفه في حال مجيئه فقط[١].

فأما ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فالمراد بها بطن الأرض.

وفي «الرَّطب واليابس» خمسة أقوال:

أحدها: أن الرَّطب: الماء، واليابس: البادية.

والثَّاني: الرَّطب: ما ينبت، واليابس: ما لا ينبِت.

والثَّالث: الرَّطب: الحي، واليابس: الميت.

والرَّابع: الرَّطب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرَّك بذكر الله.

والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين[٢] إلى الأخرى، فهو يعلمه رطبًا، ويعلمه يابسًا.

وفي «الكتاب المبين» قولان:

أحدهما: أنه اللَّوح المحفوظ، قاله مقاتل[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

(٢) في (ج): (الحالين).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٤).

والثَّاني: أنه علم الله المتقَنُ، ذكره الزَّجّاج(١).

فإن قيل: ما الفائدة في إِحصاء هذه الأشياء في كتاب؟

فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرهنَّ ابن الأنباريِّ:

أحدها: أنه أحصاها في كتاب، لتقف الملائكة على نفاذ علمه.

والثَّاني: أنه نبَّه بذلك عباده على تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع.

والثَّالث: أن المراد بالكتاب: العلم؛ فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ [الأنعام: ٦٠].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾.

يريد به النَّوم، لأنه يقبض الأرواح عن التَّصرف، كما يقبض بالموت.

وقال ابن عبَّاسٍ: يقبض أرواحكم في منامكم(٢).

و﴿جَرَحۡتُم﴾: بمعنى كسبتم.

﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ﴾ أي: يوقظكم ﴿فِيهِ﴾ أي: في النَّهار.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨١).

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لتبلغوا الأجل المسمَّى لانقطاع حياتكم، فدلَّ باليقظة بعد النَّوم على البعث بعد الموت. [٢٣٤/ ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾ [الأنعام: ٦١].

قوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

«الحفظة»: الملائكة، واحدهم: حافظ، والجمع: حفظة، مثل كاتب وكتبة، وفاعل وفعلة.

وفيما يحفظونه قولان:

أحدهما: أعمال بني آدم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أعمالهم وأجسادهم، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

وقرأ حمزة: «توفَّاه رسلنا»، وحجَّته أنه فعل مسند إلى مؤنَّث غير حقيقيٍّ، وإنما التَّأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ {يوسف: ٣٠}[1].

وفي المراد بالرُّسل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أعوان مَلَك الموت، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) هي قراءة حمزة في إعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ١٤)، والحجَّة (٣/ ٣٢٥)، والتيسير (١/ ١٠٣).

وقال النَّخعي: أعوانه يتوفَّون النُّفوس، وهو يأخذها منهم(١).

والثَّاني: أن المراد بالرُّسل: مَلَك الموت وحده، قاله مقاتل(٢).

والثَّالث: أنهم الحفظة، قاله الزَّجَّاج(٣).

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لا يضيِّعون.

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١]؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه يجوز أن يريد بالرُّسل ملك الموت وحده، وقد يقع الجمع على الواحد.

والثَّاني: أن أعوان مَلَك الموت يفعلون بأمره، فأضيف الكلُّ إلى فعله.

وقيل: توفِّي أعوان ملك الموت بالنَّزع، وتوفِّي ملك الموت بأن يأمر الأرواح فتجيب، ويدعوها فتخرج، وتوفِّي الله تعالى أن يخلق الموت في الميِّت.

(١) رواه الثَّوري في تفسيره (١/ ١٠٨)، وعنه عبد الرزاق (٨٠٩)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم (٧٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢].

قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني العباد.

وفي متولِّي الرَّدِّ قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة، رَدَّتهم بالموت إلى الله تعالى.

والثَّاني: أنه الله ﷻ، ردَّهم بالبعث في الآخرة.

وفي معنى ردِّهم إلى الله تعالى قولان:

أحدهما: أنهم رُدُّوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده.

والثَّاني: أنهم رُدُّوا إلى تدبيره وحده؛ لأنه لما أنشأهم كان منفردًا بتدبيرهم، فلما مكَّنهم من التَّصرف صاروا في تدبير أنفسهم، ثم كفَّهم عنه بالموت فصاروا مردودين إلى تدبيره.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعني القضاء.

وبيان «سرعة الحساب» في «البقرة»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٠٢).

قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾.

قرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي، وأبو جعفر: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾[1] [الأنعام:٦٤] مشدَّدتين.

وقرأ يعقوب، والقزَّاز عن عبد الوارث: بسكون النون وتخفيف الجيم[2].

قال الزَّجَّاج: والمشدَّدة أجود للكثرة[3].

و﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: شدائدها، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدَّةً: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدَّت ظلمته حتى صار كاللَّيل.

قال الشَّاعر[4][من الطويل]:

فِدَىً لِبَنِي ذُهْلِ بنِ[5] شَيْبَانَ نَاقَتِي إذا كَانَ يَوْمًا ذا[6] كَواكَب أشْنَعَا[7]

(١) هذه الآية ليست في (ف).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣٢١ـ٣٢٢)، والمبسوط (١/ ١٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٩).

(٤) البيت لمُقَّاس العائِذِي، في الكتاب؛ لسيبويه (١/ ٤٧)، وغريب الحديث؛ للخطَّابي (٢/ ٢٤٠)، وشرح المفصل (٤/ ٣٤٦)، وبلا نسبة في لسان العرب (١/ ٥٠٩).

(٥) قوله: (ذهل بن)، ليس في (ج).

(٦) ليست في (ف).

(٧) في (ج): (أشعثا).

قوله: ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا﴾.

أي: مظهرين الضَّراعة، وهي شدَّة الفقر إلى الشيء، والحاجة. [٢٣٥/أ]

قوله: ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾.

قرأ عاصم إلا حفصًا: «وخِفية» بكسر الخاء، وكذلك في «سورة[1] الأعراف».

وقرأ الباقون بضم الخاء، وهما لغتان[2].

قال الفرَّاء: وفيها لغة أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة: خِفْوة، وخَفْوة[3].

ومعنى الكلام، أنكم تدعونه في أنفسكم، كما تدعونه ظاهرًا.

«لئن أنجيتنا» كذلك قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وابن عامر، وأبو عَمْرٍو: «لئن أنجيتنا».

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا﴾ بألف، لمكان الغيبة في قوله: ﴿تَدۡعُونَهُۥ﴾.

وكان حمزة، والكِسَائِي، وخلف، يميلون الجيم[4].

قوله: ﴿مِّنۡ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: في أي شدَّة وقعتم، قلتم: «لئن أنجيتنا من هذه».

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣١٦ـ٣١٧)، والمبسوط (١/ ١٩٦)، والتيسير (١/ ١٠٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٨).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣٢٢)، والمبسوط (١/ ١٩٥ـ١٩٦)، والتيسير (١/ ١٠٣).

قال ابن عبَّاسٍ: و«الشَّاكرون»(١) هاهنا: المؤمنون. وكانت قريش تسافر في البرِّ والبحر، فإذا ضلُّوا الطَّريق وخافوا الهلاك، دعَوُا الله مخلصين، فأنجاهم(٢).

فأما «الكرب» فهو الغمُّ الذي يأخذ بالنَّفس، ومنه اشتقَّت الكربة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن الذي فوقهم: العذاب النَّازل من السَّماء، كما حُصب قوم لوط، وأصحاب الفيل، والذي من تحت أرجلهم: كما خُسف بقارون، قاله ابن عبَّاسٍ، والسُّدِّي، ومقاتل(٣).

وقال غيرهم: ومنه الطُّوفان، والرِّيح، والصَّيحة، والرَّجفة.

---

(١) في (ج): (الشاكرين).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠٣٠٢) في تفسيرهما من طريق عطيَّة العَوْفي، به، بلفظ: «إِذَا أَضَلَّ الرَّجُلُ الطَّرِيقَ دَعَا اللهَ لَئِنْ أَنْجِينَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٥)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٨٣).

والقول الثَّاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَل أمرائهم، والذي من تحتهم من سَفَلتهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ(١).

وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أئمة السُّوء، والذي من تحت أرجلهم: عبيد السُّوء(٢).

قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ [ومجاهد](٣): يَبُثُّ فيكم الأهواء المختلفة، فتصيرون فِرَقًا(٤).

قال ابن قُتَيْبة: ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: من الالتباس عليهم(٥).

والمعنى: حتى تكونوا شِيعًا، أي: فرقًا مختلفين(٦). ثم يذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والحرب.

وقال الزَّجَّاج: ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ أي: يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. يقال: لَبَسْتُ عليهم الأمر، ألبسه: إذا لم أبيِّنه(٧).

ومعنى ﴿شِيَعًا﴾: أي يجعلكم فرقًا، فإذا كنتم مختلفين، قاتل بعضكم بعضًا.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٨) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٠) في تفسيرهما.

(٣) زيادة من (ج).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨٤).

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

(٦) ليست في (ج).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٠).

قوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾. أي: يقتل بعضكم بيد بعض.

وفيمن عُني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها في المسلمين أهل الصَّلاة، هذا مذهب ابن عبَّاسٍ، وأبي العالية، وقتادة.

وقال أُبي بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلُّهن عذاب، وكلُّهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، أُلبسوا شيعًا، وأُذيق بعضهم بأس بعض، وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرَّجم[1]. [٢٣٥/ب]

والثَّاني: أن العذاب للمشركين، وباقي الآية للمسلمين، قاله الحسن.

وقد روي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُه أَنْ لَا يُصِيبَكُمْ بِعَذَابٍ أَصَابَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُه أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَكُمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَمَنَعَنِيهَا**»[2].

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن (١٧١٧)، و عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٥/ ١٥٢)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم (٧٣٩٨) في تفسيرهما، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٥)، والضياء في المختارة (٣/ ٣٥٦) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، به، بنحوه.

(٢) رواه الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٠٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٣٣).

والثَّالث: أنها تهدُّدٌ للمشركين، قاله ابن جرير الطَّبري[١]، وأبو سليمان الدِّمشقي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦﴾ [الأنعام: ٦٦].

قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾.

في هاء «به» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها كناية عن القرآن.

والثَّاني: عن تصريف الآيات.

والثَّالث: عن العذاب.

قوله: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لست حفيظًا على أعمالكم لأُجازيكم بها، إنما أنا منذر، قاله الحسن.

والثَّاني: لست حفيظًا عليكم، آخذكم بالإيمان، إنما أدعوكم إلى الله تعالى، قاله الزَّجَّاج[٢].

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٠).

فصلٌ

وفي هذا القدر من الآية قولان:

أحدهما: أنه اقتضى الاقتصار في حقِّهم على الإنذار من غير زيادة، ثم نسخ ذلك بآية السَّيف.

والثَّاني: أن معناه: لست حفيظًا عليكم، إنما أُطالبكم بالظَّواهر من الإقرار والعمل، لا بالأسرار فعلى هذا هو محكم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٦٧﴾ [الأنعام: ٦٧].

قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾.

أي: لكلِّ خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.

قال السُّدِّي: فاستقرَّ نبأ القرآن بما كان يَعِدهم من العذاب يوم بدر[1].

وقال مقاتل: منه في الدُّنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنَّم[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣١١)، وابن أبي حاتم (٧٤٢٠) في تفسيرهما.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٧).

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾.

فيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: المشركون.

والثَّاني: اليهود.

والثَّالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن.

وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء، والمراء، والخصومات.

قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: فاترك مجالستهم، حتى يكون خوضهم في غير القرآن.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾.

وقرأ ابن عامر: «يُنَسِّيَنَّكَ»، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثَّانية[1].

ومثل هذا: غَرَّمْتُهُ وأغرمتُه. وفي التَّنزيل: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ [الطارق:١٧]، والمعنى: إذا أنساك الشَّيطان، فقعدت معهم ناسيًا نَهْيَنا لك، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

و«الذِّكر» و«الذِّكرى»: واحد. قال ابن عبَّاسٍ: قم إذا ذكرت[2].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٠)، والحجَّة (٣/ ٣٢٤)، والمبسوط (١/ ١٩٦)، والتيسير (١/ ١٠٣).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨٥) بلفظ: إن نسيت فقعدت، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقم إذا ذكرت.

و«الظَّالمون»: المشركون.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: ٦٩].

قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

[٢٣٦/أ] **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن المسلمين قالوا: لئن كنا كلَّما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه فمنعناهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ولا أن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية.

والثَّاني: أن المسلمين قالوا: إنا نخاف الإثم إن لم ننههم عن الخوض، فنزلت هذه الآية.

والثَّالث: أن المسلمين قالوا: لو قمنا عنهم إذا خاضوا، فإنا نخشى الإثم في مجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مقاتل[١]، والأوَّلان عن ابن عبَّاسٍ[٢][٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٧).

(٢) من قوله: (قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾. في سبب نزولها ثلاثة أقوال)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٥٧).

قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يتقون الشِّرك.

والثَّاني: يتقون الخوض.

قوله: ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ يعني: حساب الخائضين.

وفي «حسابهم» قولان:

أحدهما: أنه كفرهم وآثامهم.

والثَّاني: عقوبة خوضهم.

قوله: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي: ولكن عليكم أن تذكِّروهم.

وفيما يذكِّرونهم[1] به قولان:

أحدهما: المواعظ.

والثَّاني: قيامكم عنهم.

قال مقاتل: إذا قمتم عنهم، منعهم من الخوض الحياء منكم، والرَّغبة في مجالستكم[2].

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

---

(١) قوله: (وفيما يذكِّرونهم)، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٧).

فيه قولان:

أحدهما: يتقون الاستهزاء.

والثَّاني: يتقون الوعيد.

فصلٌ[1]

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاقتصار على تذكيرهم، ثم نُسخت بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

والصَّحيح أنها محكمة، لأنها خبر، وإنما دلَّت على أن كلَّ عبد يختصُّ بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)﴾ [الأنعام: ٧٠].

قوله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار.

---

(١) ليست في (ج).

والثَّاني: اليهود والنَّصارى.

وفي اتخاذهم دينهم لعبًا ولهوًا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه استهزاؤهم بآيات الله إذا سمعوها.

والثَّاني: أنهم دانوا بما اشتَهوا، كما يلهون بما يشتهون.

والثَّالث: أنهم يحافظون على دينهم إذا اشتَهوا، كما يلهون إذا اشتَهوا.

قال الفرَّاء: ويقال: إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد، فهم يلهون في أعيادهم، إلَّا أمَّة محمد ﷺ، فإن أعيادهم صلاةٌ وتكبيرٌ وبرٌّ وخيرٌ[1].

فصلٌ

ولعلماء النَّاسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية قولان:

أحدهما: أنه خرج مخرج التَّهديد، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١]. فعلى هذا هو محكم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد.

والثَّاني: أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم، ثم نُسخ بآية السَّيف، وإلى هذا ذهب قتادة، والسُّدِّي.

قوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي: عظ بالقرآن.

وفي قوله: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قولان:

أحدهما: لئلَّا تبسل[2] نفس، كقوله: ﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء:٤٤]. [٢٣٦/ ب]

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٩).

(٢) من قوله: (قولان)... إلى هنا، ليس في (ج).

والثَّاني: ذكِّرهم إبسال المبسلين بجناياتهم لعلَّهم يخافون.

وفي معنى ﴿تُبۡسَلَ﴾ سبعة أقوال:

أحدها: تُسْلَم، رواه عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

وقال ابن قُتَيْبة: تُسْلَم إلى الهلكة.

قال الشَّاعر[١] [من الوافر]:

وَإِبْسَالِي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقِ

أي: بغير جرم أجرمناه، والبَعْوُ: الجناية[٢].

وقال الزَّجَّاج: تُسْلَمُ بعملها غير قادرة على التَّخلص.

و«المسْتَبْسِلُ»: المُسْتَسْلِمُ الذي لا يعلم أنه يقدر على التَّخلص[٣].

والثَّاني: تُفْضَح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: تُدفع، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ.

و الرَّابع: تُهلَكُ، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

---

(١) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي في الألفاظ؛ لابن السِّكِّيت (١/ ٣١٥)، وتفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٢٣)، والمحكم والمحيط (٢/ ٣٧٧)، ومجمل اللُّغة (١/ ١٢٥)، ولسان العرب (١١/ ٥٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦١).

والخامس: تُحبس وتُؤخذ، قاله قتادة، وابن زيد.

والسَّادس: تُجزى، قاله ابن السَّائب، والكِسَائِي.

والسَّابع: تُرتهن، قاله الفرَّاء. وقال أبو عُبَيدة: تُرتهن وتسلم.

وأنشد[١][من الطويل]:

هُنَالِكَ لا أرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي ... سَمِيْرَ اللَّيَالي مُبْسَلًا بالجَرَائِر

سمير الليالي: أبَدَ الليالي.

فأما «الولي»: فهو النَّاصر الذي يمنعها من عذاب الله.

و«العدل»[٢]: الفداء.

قال ابن زيد: وإن يفتد كلَّ فداء لا يُقبل منها[٣].

فأما «الحميم» فهو الماء الحار.

قال ابن قُتَيْبَة: ومنه سمِّي الحَمَّام[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ١٩٥) والبيت للشنفري في جمهرة اللُّغة (٢/ ١٠٠٣)، والخطَّابي في غريب الحديث (٢/ ٥٩)، ولسان العرب (٤/ ٣٧٧).

(٢) في (ف): (والعذاب)!.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٢٤) بلفظ: «وَإِنْ تَعْدِلْ: وَإِنْ تَفْتَدِ يَكُونُ لَهُ الدُّنيا وَمَا فِيهَا يَفْتَدِي بِهَا لَا يُؤْخَذْ مِنْهُ عَدْلًا عَنْ نَفْسِهِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ».

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٥).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧١، ٧٢].

قوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

أي أنعبد ما لا يضرُّنا إن لم نعبده، ولا ينفعنا إن عبدناه، وهي الأصنام.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع إلى الكفر ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام، فنكون ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾.

وقرأ حمزة: «استهواه الشَّياطين»، على قياس قراءته: «توفاه رُسْلُنا»[١].

وفي معنى «استهوائها» قولان:

أحدهما: أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قُتَيْبة[٢].

وقال أبو عُبَيدة: تُشبَّه له الشَّياطين، فيتَّبعها حتى تهوي به في الأرض، فتضلُّه[٣].

والثَّاني: زيَّنت له هواه، قاله الزَّجَّاج.

---

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٢٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٦)، والتيسير (١/ ١٠٣)، وفي المصاحف؛ لابن أبي داود (١/ ١٧٦)، وإعراب القرآن (٢/ ١٦)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٤٣) ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيطان﴾ عن عبد الله بن مسعود، والأعمش.

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٦).

قال: و«حيران» منصوب على الحال، أي: استهوته في حال حيرته[(١)].

قال السُّدِّي: قال المشركون للمسلمين: اتَّبِعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضلَّ، فحيَّرته الشَّياطين، وأصحابه على الطَّريق يدعونه: يا فلان هلمَّ إلينا، فإنا على الطَّريق، فيأبى[(٢)].

وقال ابن عبَّاس: نزلت هذه الآية في عبد الرَّحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق، دعاه أبوه وأُمُّه إلى الإسلام فأبى[(٣)].

قال مقاتل: والمراد بأصحابه: أبواه[(٤)].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾.

هذا ردٌّ على من دعا إلى عبادة الأصنام، وزجرٌ عن إجابته، كأنه قيل له: لا تفعل ذلك، لأن هدى الله هو الهدى، لا هدى غيره. [٢٣٧/أ]

قوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾.

قال الزَّجَّاج: العرب تقول: أَمَرْتُك بأنْ تفعل، وأمَرتُك لِتفْعَل،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٦٦) عن أسباط بن نصر، به.

(٣) نقله الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٩٥) عن أبي عُبَيدة، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٠٧)، والبحر المحيط (٤/ ٥٥٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٩).

وَأمَرْتُك أنْ تَفْعَلَ. فمن قال: «بأن» فالباء للإلصاق[١]. والمعنى: وقع الأمر بهذا الفعل، ومن قال: «أن تفعل»، فعلى حذف الباء، ومن قال: «لتفعل» فقد أخبر بالعلَّة التي لها وقع الأمر.

قال: وفي قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وجهان:

أحدهما: أُمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصَّلاة.

والثَّاني: أن يكون محمولًا على المعنى، لأن المعنى: أُمرنا بالإسلام، وبإقامة الصَّلاة[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: خلقها للحقِّ.

والثَّاني: خلقها حقًّا.

والثَّالث: خلقها بكلامه وهو الحقُّ.

و الرَّابع: خلقها بالحكمة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٦٣).

قوله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾.

قال الزَّجَّاج: الأجود أن يكون منصوبًا على معنى: واذكر يوم نقول كن فيكون، لأن بعده: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ فالمعنى: واذكر هذا وهذا(١).

وفي الذي يقول له كن فيكون، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوم القيامة، قاله مقاتل(٢).

والثَّاني: ما يكون في [يوم](٣) القيامة.

والثَّالث: أنه الصُّور، وما ذكر من أمر الصُّور يدلُّ عليه، قالها الزَّجَّاج.

قال: وخُصَّ ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشَّيء، ليدلَّ على سرعة أمر البعث(٤).

قوله: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ أي: الصِّدق الكائن لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾.

وروى إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي عمرو: «ننفخ» بنونين(٥).

ومعنى الكلام: أن الملوك يومئذ لا ملك لهم، فهو المنفرد بالملك وحده، كما قال: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار:١٩].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٩).

(٣) زيادة من (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٣).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٤٢٤)، والحجَّة (٥/ ٢٥٠)، والتيسير (١/ ١٥٣)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٣): «يَنفُخ» عن عبد الوارث، عن أبي عمرو.

وفي ﴿ٱلصُّورِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصُّور، فقال: «هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»[١].

وقال مجاهد: الصُّور كهيئة البوق[٢].

وحكى ابن قُتَيْبَة: أن الصُّور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن.

وأنشد[٣][من الرجز]:

نَحْنُ نَطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الجَمْعَيْن بالضَّابِحَاتِ في غُبَارِ النَّقْعَيْن

نَطْحًا شَدِيدًا لا كَنَطْحِ الصُّوَرَيْن ....

---

(١) رواه أحمد (١١/ ٤١٠)، والدارمي (٢٨٤٠)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٣٢٤٤)، والنَّسائي في الكبرى (١١٢٥٠)، والطَّبراني في الكبير (١٤٥١٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤).

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٥٨٠)، وابن جرير الطَّبري (١٨/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢٣) في تفسيرهما.

(٣) بلا نسبة في غريب القرآن (١/ ٢٦)، والزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٤١٦)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٦٩)، والأمالي (١/ ٣٦).

وأنشد الفرَّاء(١)[من البسيط]:

لَـوْلَا ابـنُ جَعْـدَةَ لَمْ يُفْتَـحْ قُهُنْدُزُكُم(٢) وَلَا خُرَاسَـانُ حتَّـى يُنْفَـخَ الصُّـوْرُ

وهذا اختيارُ الجمهور.

والثَّـاني: أن الصُّـور جمـع صـورة يقـال: صـورة وصـور، بمنزلـة سـورة وسـور، كسـورة البنـاء، والمـراد نفـخ الأرواح في صُـوَرِ النَّـاس، قالـه قتـادة، وأبـو عُبَيـدة(٣).

وكذلـك قـرأ الحسـن، ومعـاذ القـارئ، وأبـو مِجْلَـز، وأبـو المتـوكِّل: «في الصُّـوَر» بفتـح الـواو(٤).

قـال ثعلـب: الأجـود أن يكـون الصُّـور: القـرن، لأنـه قـال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ثـم قـال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾ [٢٣٧/ب] [الزمر:٦٨] ولـو كان الصُّـوَر، كان: ثـم نُفـخ فيهـا، أو فيهـنَّ، وهـذا يـدلُّ علـى

---

(١) بـلا نسـبة في معاني القـرآن (١/ ٣٤٠)، والزاهـر في معـاني كلمات النَّـاس (١/ ٤١٦)، ولسـان العرب (٣/ ٦٣).

(٢) القُهُنْـدُز: بضـم القـاف والهـاء والـدَّال، أعجمـيٌّ معـرَّب، وهـو اسـم جنـسٍ لـكلِّ حصـنٍ في وسـط المدينـة العظمـى، وقلَّـما يخلـو بلـدٌ مـن خراسـان ومـا وراء النهـر مـن قهنـدز. انظـر: تـاج العـروس (١٥/ ٢٩٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٦).

(٤) وعـن عيـاض، وقتـادة في المحتسـب (٢/ ٥٩-٢١٢)، وعـن الحسـن في مختصر ابـن خالويـه (ص: ٤٤).

أنه واحد، وظاهر القرآن يشهد أنه(١) يُنفخ في الصُّور مرتين.

وقد روى أهل التَّفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْخَةُ الْفَزَعِ. وَالثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ. وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»(٢).

قال ابن عبَّاسٍ: وهذه النَّفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى، يعني: نفخة الصَّعق(٣).

قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ وهو ما غاب عن العباد ممَّا لم يعاينوه ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو ما شاهدوه ورأوه.

وقال الحسن: يعني بذلك السِّرَّ والعلانية(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾.

---

(١) في (ج): (بأن).

(٢) رواه إسحاق في مسنده (١٠)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصَّلاة (٢٧٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٦)، وابن جرير الطَّبري (١٥/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢١) في تفسيرهما، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٧٤٤)، وضعَّفه الحافظ كما في الفتح (١١/ ٣٦٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٨٦) بلفظ: «الشَّهَادَةُ، مَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْغَيْبُ: مَا غَابَ عَنْكُمْ مَا لَمْ تَرَوْهُ».

في ﴿ءَازَرَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم أبيه، روي عن ابن عبَّاسٍ، والحسن، والسُّدِّي، وابن إسحاق.

والثَّاني: أنه اسم[1] صنم، فأمَّا اسم أبي إبراهيم: فتارخ، قاله مجاهد.

فيكون المعنى: أيتخذ آزر أصنامًا؟ فكأنه جعل أصنامًا بدلًا من آزر، والاستفهام معناه الإنكار.

والثَّالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبٌّ يعيب[2].

وفي معناه قولان:

أحدهما: أنه المعوَّج، كأنه عابه بزيغه وتعويجه عن الحقِّ، ذكره الفرَّاء[3].

والثَّاني: أنه المخطئ، فكأنَّه قال: يا مخطئ أتتَّخذ أصنامًا؟ ذكره الزَّجَّاج[4].

و الرَّابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان.

قال ابن الأنباريِّ: قد يغلب على اسم الرَّجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه[5].

والجمهور على قراءة «آزرَ» بالنصب.

---

(١) من قوله: (أبيه، روي عن ابن عباس)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) في الأصل: (سبب بعيب)، والمثبت من (ج) وغيرها.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥).

(٥) انظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٢٨٩).

وقرأ الحسن، ويعقوب بالرَّفع(١).

قال الزَّجَّاج: من نصب، فموضع «آزر» خفضٌ بدلًا من أبيه، ومن رفع فعلى النِّداء(٢).

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحقَّ في خلاف قومه، نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وقيل: ﴿نُرِيٓ﴾ بمعنى أرينا.

قال الزَّجَّاج: والملكوت بمنزلة المُلك، إلا أن الملكوت أبلغ في اللُّغة، لأن الواو والتاء يزادان للمبالغة، ومثل الملكوت: الرَّغَبُوت، والرَّهَبُوت(٣).

قال مجاهد: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: آياتها تفرَّجت له السَّماوات السَّبع، حتى العرش، فنظر فيهنَّ، وتفرَّجت له الأرضون السَّبع، فنظر فيهنَّ(٤).

وقال قتادة: «ملكوت السَّماوات»: الشَّمس والقمر والنُّجوم،

---

(١) وفي المحتسب (١/ ٢٢٣) عن أُبي وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المدني ويعقوب، ورُويت عن سليمان التَّيمي. وانظر: إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٢٣٦)، والمبسوط (١/ ١٩٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٥) في تفسيرهما من طريق أبي حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، به، بنحوه.

و«ملكوت الأرض»: الجبال والشَّجر والبحار[١].

وقال السُّدِّي: أُقيم على صخرة، وفتحت له السَّماوات والأرض، فنظر إلى ملك الله ﷻ، حتى نظر إلى العرش، وإلى منزله من الجنَّة، وفتحت له الأرضون السَّبع، حتى نظر إلى الصَّخرة التي عليها الأرضون[٢].

قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾.

هذا عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السَّماوات [٢٣٨/أ] والأرض ليستدلَّ به، ويكون من الموقنين.

وفي ما يوقِن به ثلاثة أقوال:

أحدها: وحدانيَّة الله وقدرته.

والثَّاني: نبوَّته[٣] ورسالته.

والثَّالث: ليكون موقنًا بعلم كلِّ شيء حسًّا، لا خبرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ۝٧٦﴾ [الأنعام: ٧٦].

قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٥) في تفسيرهما من طريق معمر، به.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٢) في تفسيرهما من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٣) قوله: (والثاني: نبوَّته)، ليس في (ج).

قال الزَّجَّاج: يقال: جَنَّ عليه الليلُ، وأجَنَّه الليلُ: إذا أظلَمَ حتى يَستتِر بظلمته، ويقال لكلِّ ما ستر: جَنَّ، وأَجَنَّ، والاختيار أن يقال: جَنَّ عليه الليل، وأجَنَّه الليلُ[1].

الإشارة إلى بُدُوِّ قصة[2] إبراهيم عليه السلام

روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ قال: وُلد إبراهيم عليه السلام في زمن نُمرود، وكان لنمرود كُهَّان، فقالوا له: يولد في هذه السَّنة مولود يفسد آلهة أهل الأرض، ويدعوهم إلى غير دينهم، ويكون هلاك أهل بيتك على يديه، فعزل النِّساء عن الرِّجال، ودخل آزر إلى بيته، فوقع على زوجته، فحملت، فقال الكهَّان لنمرود: إن الغلام قد حُمل به اللَّيلة. فقال: كلُّ من ولدت غلامًا فاقتلوه. فلما أخذ أُم إبراهيم المخاضُ، خرجت هاربة، فوضعته في نهر يابس، ولفَّته في خرقة، ثم وضعته في حَلْفاء، وأخبرت به أباه، فأتاه، فحفر له سربًا، وسدَّ عليه بصخرة، وكانت أُمُّه تختلف إليه فترضعه، حتى شبَّ وتكلَّم، فقال لأُمِّه: من ربِّي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربُّكِ؟ قالت: أبوك. قال: فمن ربُّ أبي؟ قالت له: اسكت. فسكت، فرجعت إلى زوجها، فقالت: إن الغلام الذي كنا نتحدَّث أنه يغيِّر دين أهل الأرض، ابنك. فأتاه، فقال له مثل ذلك. فلما جنَّ عليه اللَّيل، دنا من باب السِّرب، فنظر فرأى كوكبًا[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٦).

(٢) في (ج): (قصة بُدُوِّ).

(٣) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ٥٦٩-٥٧٠) بلا نسبة.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وحفص عن عاصم: «رَأى»، بفتح الرَّاء والهمزة.

وقرأ أبو عَمْرٍو: «رَإِى» بفتح الرَّاء وكسر الهمزة.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم: «رِإِى»، بكسر الرَّاء والهمزة، واختلفوا فيها إذا لقيها ساكن، وهو آت في ستة مواضع: ﴿فَلَمَّا[1] رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾، وفي النَّحل ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[2]، ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآيتان:٨٥-٨٦] وفي الكهف: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الآية:٥٣]، وفي الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية:٢٢].

وقرأ أبو بكر عن عاصم، وحمزة إلا العبسي، وخلف -في اختياره-: بكسر الرَّاء[3] وفتح الهمزة في الكلِّ.

وروى العبسيُّ كسرة الهمزة أيضًا.

وقرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر، والكِسَائِي: بفتح الرَّاء والهمزة[4].

فإن اتَّصل ذلك بمكني، نحو: رآك، ورآه، ورآها، فإن حمزة، والكِسَائِي، وخلف، والوليد عن ابن عامر، والمفضَّل، وأبان، والقزَّاز عن [٢٣٨/ب] عبد الوارث، والكِسَائِي عن أبي بكر: يكسرون الرَّاء، ويميلون الهمزة.

---

(١) من (ج).

(٢) هذه الآية ليست في (ف).

(٣) في الأصل: (الخاء)!، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٠)، والحجَّة (٣/ ٣٢٦-٣٢٧)، والمبسوط (١/ ١٩٦-١٩٧).

وفي الكوكب الذي رآه قولان:

أحدهما: أنه الزُّهرة، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة.

والثَّاني: المشتري، قاله مجاهد، والسُّدِّي.

قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ: قال هذا ربِّي، فعبده حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشَّمس حتى غابت[1].

واحتجَّ أرباب هذا القول بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدلُّ على نوع تحيُّر، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل.

وهذا القول لا يُرتضى، والمتأهِّلون للنُّبوَّة محفوظون من مثل هذا على كلِّ حال.

فأما قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾.

فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرَّعون في دفع الضَّلال عنهم، كقولهم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السَّماوات والأرض ليكون موقنًا، فكيف لا

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٥٦)، وابن أبي حاتم (٧٥١١) في تفسيرهما.

يعصمه عن مثل هذا التَّحير؟!

والثَّاني: أنه قال ذلك استدراجًا للحجَّة، ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أُفولها، ولا بد أن يضمر في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنُّون، فيكون كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [القصص:٦٢] وإما أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله تعالى[1]: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر بن الأنباريِّ.

ويكون مراده بذلك استدراج الحجَّة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل بقوم يعبدون صنمًا، فأظهر تعظيمه، فأكرموه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدوٌّ، فشاورهم ملِكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال: هاهنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعَوُا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا.

والثَّالث: أنه قال مستفهمًا، تقديره: أهذا ربِّي؟ فأُضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]؟ أي: أفَهُم الخالدون؟.

قال الشَّاعر[2] [من الكامل]:

---

(١) من قوله: (﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) البيت للأخطل في ديوانه (ص: ٣٨٥)، والكتاب (٣/ ١٧٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٦٧)، وشرح التصريح (٢/ ١٤٤)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٤٣)، ولسان العرب (١/ ٧٠٦، ٧٠٩).

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلام مِنَ الرَّبَابِ خَيَالا

أراد: أكذبتك؟.

قال ابن الأنباريِّ: وهذا القول شاذٌّ، لأن حرف الاستفهام لا يُضمر إذ كان فارقًا بين الإخبار والاستخبار، وظاهر قوله: هذا رَبِّي، إشارة إلى الصَّانع.

وقال الزَّجَّاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربِّي، أي هذا الذي يدبِّرني، فاحتجَّ عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبِّر، لا يُرى فيه إلَّا أثر مدبِّر[١].

[٢٣٩/أ] و﴿أَفَلَ﴾ بمعنى: غاب يقال: أفل النَّجم يأفُل ويأفِل أُفولًا.

قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ أي: حبَّ ربٍّ معبود، لأن ما ظهر وأفل كان حادثًا مدبَّرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٧، ٧٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٧).

قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: سمِّي القمر قمرًا لبياضه، والأقمر: الأبيض، وليلة قمراء، أي: مضيئة(١).

فأما «البازغ» فهو الطَّالع.

ومعنى ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى﴾: لئن لم يثبِّتني على الهدى.

فإن قيل: لِمَ قال في الشَّمس: هذا، ولم يقل: هذه؟

فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أنه رأى ضوء الشَّمس، لا عينها، قاله محمد بن مقاتل.

والثَّاني: أنه أراد: هذا الطَّالع ربِّي، قاله الأخفش(٢).

والثَّالث: أن الشَّمس بمعنى الضِّياء والنُّور، فحمل الكلام على المعنى.

و الرَّابع: أن الشَّمس ليس في لفظها علامة من علامات التَّأنيث، وإنما يشبه لفظها لفظ المذكَّر، فجاز تذكيرها. ذكره والذي قبله ابن الأنباريِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٩، ٨٠].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٦).

قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾.

قال الزَّجَّاج: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين ﷻ[١].

وباقي الآية قد تقدَّم.

قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: جادلوه في آلهتهم، وخوَّفوه بها، فقال منكرًا عليهم: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي﴾[٢].

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي﴾ و﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ [الزمر:٦٤] بتشديد النون.

وقرأ نافع، وابن عامر بتخفيفها، فحذفا النون الثَّانية لالتقاء النونين[٣].

ومعنى ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في توحيده. ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ أي: بيَّن لي ما به اهتديت.

وقرأ الكِسَائِي: «هداني»، بإمالة الدَّال[٤].

والإمالة حسنة فيما كان أصله الياء، وهذا من هدى يَهدي.

قوله: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٨).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦١)، والحجَّة (٣/ ٣٣٢-٣٣٣)، والتيسير (١/ ١٠٤)، والمبسوط (١/ ١٩٧).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦١).

أي: لا أرهب آلهتكم، وذلك أنهم قالوا: نخاف أن تمسَّك آلهتنا بسوء، فقال: لا أخافها لأنها لا تضرُّ ولا تنفعُ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ فله أخاف ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: علمه علمًا تامًّا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾.

أي: من هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم، وهو قادر على ضرِّكم ونفعكم ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجة ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أي: بأن يأمن العذاب، الموحِّدُ الذي يعبد من بيده الضُّرُّ والنَّفع؟ أم المشرك الذي يعبد ما لا يضرُّ ولا ينفع؟ ثم بيَّن الأحقَّ من هو بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوه بشرك.

روى البخاري، ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، [٢٣٩/ ب] وأيُّنا ذلك؟ فقال: «إِنَّما هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان:١٣][١].

(١) رواه البخاري (٣٣٦٠، ٣٤٢٨)، ومسلم (١٢٤).

وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إبراهيم وأصحابه، وليست في هذه الأمة، قاله علي بن أبي طالب ﷺ.

وقال في رواية أخرى: هذه الآية لإبراهيم خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيء.

والثَّاني: أنه من هاجر إلى المدينة، قاله عكرمة.

والثَّالث: أنها عامَّة، ذكره بعض المفسِّرين.

وهل هي من قول إبراهيم لقومه، أم جواب من الله تعالى؟ فيه قولان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾.

يعني ما جرى بينه وبين قومه من الاستدلال على حدوث الكوكب والقمر والشَّمس، وعيبهم، إذ سوَّوا بين الصَّغير والكبير، وعبدوا من لا ينطق، وإلزامه إيَّاهم الحجَّة.

﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه إليها بالإلهام.

وقال مجاهد: الحجَّة قول إبراهيم: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾[1].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٣٨) في تفسيرهما.

قوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر: «درجاتِ من نشاء»، مضافًا.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿دَرَجَٰتٖ﴾ منوَّنًا، وكذلك قرءوا في «يوسف»[١].

ثم في المعنى قولان:

أحدهما: يرفع[٢] بالعلم والفهم والمعرفة.

والثَّاني: بالاصطفاء للرِّسالة.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾.

قال ابن جرير: حكيم في سياسة خلقه، وتلقينه أنبياءه[٣] الحُجج على أممهم المكذِّبة ﴿عَلِيمٞ﴾ بما يؤول إليه أمر الكلِّ[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٤، ٨٧].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦١_ ٢٦٢)، والحجَّة (٣/ ٣٣٥_ ٣٣٦)، والتيسير (١/ ١٠٤).

(٢) في (ج)، و(ف): (أن الرَّفع).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٨٠).

قولـه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولـدًا لصلبـه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولـدًا لإسـحاق ﴿كُلًّا﴾ مـن هـؤلاء المذكوريـن ﴿هَدَيْنَا﴾ أي: أرشـدنا.

قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾.

في «هاء الكناية» قولان:

أحدهمـا: أنهـا ترجـع إلى نـوح، رواه أبـو صالـح عـن ابـن عبَّـاسٍ، واختـاره الفـرَّاء، ومقاتـل، وابـن جريـر الطَّـبري[1].

والثَّاني: إلى إبراهيم، قاله عطاء.

وقال الزَّجَّاج: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعًا قد جرى[2].

واحتـجَّ ابـن جريـر للقـول الأوَّل بـأن الله تعـالى ذكـر في سياق الآيـات لوطًـا، وليـس مـن ذرِّيَّـة إبراهيـم[3].

وأجـاب عنـه أبـو سـليمان الدِّمشـقي بأنـه يحتمـل أن يكـون أراد: ووهبنـا لـه لوطًـا في المعاضـدة والنُّـصرة، ثـم قولـه تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مـن أبـين دليـل عـلى أنـه إبراهيـم، لأن افتتـاح الـكلام إنـما هـو بذكـر مـا أثـاب بـه إبراهيـم.

فأمـا «يوسـف» فهـو اسـم أعجمـيٌّ. قـال الفـرَّاء: «يوسُـف» بضم السـين مـن غـير همـز، لغـة أهـل الحجـاز، وبعـض بنـي أسـد يقـول: «يؤسـف» بالهمز،

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٧٣)، وتفسير الطَّبري (٩/ ٣٨١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٨١).

وبعض العرب تقول: «يوسِف» بكسر السين، وبعض بني عقيل تقول: «يوسَف»[١] بفتح السين[٢].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [٢٤٠/أ]

أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه، بأن رفعنا درجته، ووهبنا له أولادًا أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المحسنين.

فأما «عيسى، وإلياس، واليسع، ولوطًا» فأسماء أعجميَّة.

وجمهور القرَّاء يقرءون: «اليسع» بلام واحدة مخفَّفة، منهم ابن كَثِير، ونافع، وعاصم، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي هاهنا وفي «ص»: «إِلْلَيَسَّعَ» بلامين مع التَّشديد[٣].

قال الفرَّاء: وهي أشبه بالصَّواب، وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل، ولأن العرب لا تدخل على «يَفْعَل»، إذا كان في معنى فلان، ألفًا ولامًا، يقولون: هذا يسع قد جاء، وهذا يعمر، وهذا يزيد، فهكذا الفصيح من الكلام.

وأنشدني بعضهم[٤][من الطويل]:

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدَ مُبَارَكًا   شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهْ

---

(١) من قوله: (بالهمز، وبعض العرب)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٥٩).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٢)، والحجَّة (٣/ ٣٣٧)، والتيسير (١/ ١٠٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٨) والبيت لابن ميَّادة في شرح أبيات المغني (١/ ٣٠٩)، والمحكم والمحيط (٩/ ٨٦)، و خزانة الأدب (٢/ ٢٢٦)، ولسان العرب (٣/ ٢٠٠).

فلما ذكر الوليد بالألف واللام، أتبعه يزيد بالألف واللام، وكلٌّ صواب.

وقال مَكِّي: من قرأه بلام واحدة، فالأصل عنده: يسع، ومن قرأه بلامين، فالأصل عنده: «لَيْسَعُ» فأدخلوا عليه حرف التَّعريف[1].

وباقي أسماء الأنبياء قد تقدَّم بيانها.

والمراد بـ «العالمين»: عالمو زمانهم.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ «من» هاهنا للتَّبعيض.

قال الزَّجَّاج: المعنى: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذرِّيَّاتهم[2].

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ مثل اخترناهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه.

فأمَّا «الصِّراط المستقيم» فهو التَّوحيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: ذلك دين الله الذي هم عليه ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[3].

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩٦).

﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ يعني الأنبياء المذكورين ﴿لَحَبِطَ﴾ أي: لبطل وزال عملهم، لأنه لا يقبل عمل مشرك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني الكتب التي أنزلها عليهم ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾: الفقه والعلم ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ يعني بآياتنا.

وفيمن أُشير إليه بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل مكَّة، قاله ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن المسيَّب، وقتادة.

والثَّاني: أنهم قريش، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: أمَّة النَّبيِّ ﷺ، قاله الحسن.

قوله: ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾.

قال أبو عُبَيدة: فقد رزقناها قومًا(١).

وقال الزَّجَّاج: وكَّلنا بالإيمان بها قومًا(٢).

وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل المدينة من الأنصار، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن المسيَّب، وقتادة، والسُّدِّي.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٠).

والثَّاني: الأنبياء والصَّالحون، قاله الحسن.

[٢٤٠/ب] وقال قتادة: هم النَّبيُّون الثَّمانية عشر المذكورون في هذا المكان، وهذا اختيار الزَّجَّاج، وابن جرير[1].

والثَّالث: أنهم الملائكة، قاله أبو رجاء.

و الرَّابع: أنهم المهاجرون والأنصار.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يعني النَّبيِّين المذكورين.

وفي قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ **قولان**:

أحدهما: بشرائعهم وبسننهم فاعملْ، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: اقتدِ بهم في صبرهم، قاله الزَّجَّاج[2].

وكان ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وعاصم، يثبتون الهاء من قوله: ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ في الوصل ساكنة.

وكان حمزة، والكِسَائِي[3]، وخلف، ويعقوب، والكِسَائِي عن أبي بكر، واليزيدي - في اختياره - يحذفون الهاء في الوصل[4].

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٨٢٤)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٠)، وابن أبي حاتم (٧٥٧٦) في تفسيرهما.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ١٨٨-١٨٩)، والحجَّة (٣/ ٣٥٠-٣٥١)، والتيسير (١/ ١٠٥).

ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وإسكانها فيه.

قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يعني على القرآن.

و«الذِّكرى»: العظة. و«العالمون» هاهنا: الجنُّ والإنس.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام: ٩١].

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

في سبب نزولها سبعة أقوال:

أحدها: أن مالك بن الصَّيف[١] رأس اليهود، أتى رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَتَجِدُ فِيهَا أَنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينَ؟**» قال: نعم. قال: «**فَأَنْتَ الْحَبْرُ السَّمِينُ**»[٢]. فغضب، ثم[٣] قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٤]. وكذلك قال سعيد بن جُبَيْر،

---

(١) في (ف): (الضَّيف).

(٢) في جميع ألفاظ الأثر: «وَكَانَ حَبْرًا سَمِينًا».

(٣) ليست في (ف).

(٤) بهذا اللفظ رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم (٧٥٩٧) في تفسيرهما من قول سعيد بن جُبَيْر.

وعكرمة[١]: نزلت في مالك بن الصَّيف[٢].

والثَّاني: أن اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: «نَعَمْ». قالوا: والله ما أنزل الله من السَّماء كتابًا، فنزلت هذه الآية، رواه الوالبيُّ عن ابن عبَّاسٍ[٣].

والثَّالث: أن اليهود قالوا: يا محمد، إن موسى جاء بألواح يحملها من عند الله، فائتنا بآية كما جاء موسى، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء:١٥٣]، إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء:١٥٦]. فلما حدَّثهم بأعمالهم الخبيثة، قالوا: والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى، ولا على بشر، من شيء، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن[٤] كعب[٥].

و الرَّابع: أنها نزلت في اليهود والنَّصارى، آتاهم الله علمًا، فلم ينتفعوا به، قاله قتادة[٦].

والخامس: أنها نزلت في فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، قاله السُّدِّي[٧].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٤).

(٢) في (ف): (الضَّيف).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم (٧٥٩١) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٥).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٥).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٤) من طريق أسباط بن نصر، به.

والسَّادس: أنها نزلت في مشركي قريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[١].

والسَّابع: أن أوَّلها، إلى قوله: ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ في مشركي قريش.

وقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ في اليهود، رواه ابن كثير عن مجاهد[٢].

وفي معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ[٣]﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: ما عظَّموا الله حقَّ عظمته، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، [٢٤١/أ] والفرَّاء، وثعلب، والزَّجَّاج[٤].

والثَّاني: ما وصفوه حقَّ صفته، قاله أبو العالية، واختاره الخليل[٥].

والثَّالث: ما عرفوه حقَّ معرفته، قاله أبو عُبَيدة[٦].

قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس.

وقيل: إنما قال: ﴿قَرَاطِيسَ﴾ لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطَّعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاءوا.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم (٧٥٧٨) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم مختصرًا (٧٥٩٢) في تفسيرهما.

(٣) قوله: (حقَّ قدره)، ليس في (ف).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩٧).

(٦) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

قوله: ﴿تُبْدُونَهَا﴾ قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو: «يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون» بالياء فيهن.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: بالتَّاء فيهن(١).

فمن قرأ بالياء، فلأن القوم غُيَّب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾. ومن قرأ بالتَّاء، فعلى الخطاب، والمعنى: تبدون منها ما تحبُّون، وتخفون كثيرًا، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرَّجم، ونحو ذلك مما كتموه.

قوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾.

في المخاطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنه خطاب للمسلمين، قاله مجاهد.

فعلى الأوَّل: عُلِّموا ما في التَّوراة، وعلى الثَّاني: عُلِّموا على لسان محمد ﷺ.

قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وتقديره: فإن أجابوك، وإلا فقل: الله أنزله.

وقوله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ تهديد. و﴿خَوْضِهِمْ﴾: باطلهم.

وقيل: إن هذا أمر بالإعراض عنهم، ثم نُسخ بآية السَّيف.

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٢)، والوقف والابتداء؛ لابن الأنباريِّ (٢/ ٦٤٠)، والحجَّة (٣/ ٣٥٤ـ ٣٥٥)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن.

قال الزَّجَّاج: و«المبارك»: الذي يأتي من قِبَله الخير الكثير(١).

والمعنى: أنزلناه للبركة والإنذار.

قوله: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب.

قوله: ﴿وَلِتُنذِرَ﴾.

قرأ عاصم إلا حفصًا: «ولينذر» بالياء فيكون الكتاب هو المنذر.

وقرأ الباقون: بالتَّاء، على الخطاب للنَّبيِّ ﷺ(٢).

فأما ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، فهي مكَّة.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: لتنذر أهلَ أمِّ القرى(٣).

وفي تسميتها بأمِّ القرى أربعة أقوال:

أحدها: أنها سمِّيت بذلك، لأن الأرض دُحيت من تحتها، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٥٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١).

والثَّاني: لأنها أقدمُها، قاله ابن قُتَيْبة(١).

والثَّالث: لأنها قبلة جميع النَّاس، يَؤُمُّونها.

و الرَّابع: لأنها كانت أعظم القرى شأنًا، ذكرهما الزَّجَّاج(٢).

قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد الأرض كلَّها(٣).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن.

والثَّاني: إلى النَّبيِّ محمد ﷺ.

والمعنى: من آمن بالآخرة آمن به، ومن لم يؤمن به، فليس إيمانه [٢٤١/ب] بالآخرة حقيقة، ولا يعتدُّ به، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فدلَّ على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصَّلوات.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٣)، وابن أبي حاتم (٧٦١٤) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أوّلها، إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزل في مُسيلمة الكذَّاب. وقوله: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣] نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلَّم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ في بعض الأحايين فإذا أُملي عليه: «عزيز حكيم» كتب: «غفور رحيم» فيقول رسول الله ﷺ: «**هَذَا وَذَاكَ سَوَاءٌ**». فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ عجب عبد الله بن سعد، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ، فَاكْتُبْهَا**» فشكَّ حينئذ، وقال: لئن كان محمد صادقًا، لقد أُوحي إليَّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذبًا، لقد قلتُ كما قال، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. قال عكرمة: ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكَّة[١].

والقول الثَّاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد، قاله السُّدِّي[٢].

والثَّالث: أنها نزلت في مسيلمة، والأسود العنسيِّ، قاله قتادة[٣].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٤٠٥) من طريق ابن جُرَيْج، عن عكرمة من قوله. ورواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٨) من طريق العَوْفي عن ابن عباس مختصرًا.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم (٧٦٢٥) في تفسيرهما من طريق معمر، به، بنحوه.

فإن قيل: كيف أفرد قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ وذاك مفترٍ أيضًا؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن الوصفين لرجل واحد، وصف بأمر بعد أمر ليدلَّ على جرأته.

والثَّاني: أنه خصَّ بقوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ[(١)]﴾ بعد أن عمَّ بقوله: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لأنه ليس كلُّ مفترٍ على الله يدَّعي أنه أوحي إليه، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

قوله: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: سأقول.

قال ابن عبَّاسٍ: يعنون الشِّعر، وهم المستهزئون[(٢)].

وقيل: هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح[(٣)].

قال الزَّجَّاج: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١][(٤)].

---

(١) قوله: (وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ) زيادة من (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٨)، وابن أبي حاتم (٧٦٢٧) في تفسيرهما من طريق عطيَّة العَوْفي، به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٦٢٩) عن السُّدِّي.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قوم كانوا مسلمين بمكَّة، فأخرجهم الكفار معهم إلى قتال بدر، فلما أبصروا قلَّة أصحاب رسول الله ﷺ رجعوا عن الإيمان، فنزلت[١] فيهم هذا، قاله أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ قاله أبو سليمان.

والثَّالث: الموصوفون في هذه الآية، وهم المفترون والمدَّعون الوحي إليهم، ومماثلة كلام الله.

قال الزَّجَّاج: وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو تراهم في غمرات الموت لرأيت عذابًا عظيمًا[٢].

ويقال لكلِّ من كان في شيء كثير: قد غمر فلانًا ذلك. [٢٤٢/أ]

قال ابن عبَّاسٍ: غمرات الموت: سكراته[٣].

قال ابن الأنباريِّ: قال اللُّغويون: سمِّيت غمرات لأن أهوالها يغمرن من يقعن به[٤].

---

(١) في (ف): (فنزل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٤٠٩) من طريق ابن جُرَيْج، به.

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٢٩٢-٢٩٣).

قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بالضَّرب، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: بالعذاب، قاله الحسن، والضَّحَّاك.

والثَّالث: باسطوها لقبض الأرواح من الأجساد، قاله الفرَّاء[١].

وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عند الموت. قال ابن عبَّاسٍ: هذا عند الموت، الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وملك الموت يتوفَّاهم[٢].

والثَّاني: يوم القيامة، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: في النَّار، قاله الحسن.

قوله: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ فيه إضمار «يقولون».

وفي معناه قولان:

أحدهما: استسلموا لإخراج أنفسكم.

والثَّاني: أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٥).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم (٧٦٣٠) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قوله: ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾.

قال أبو عُبَيدة: الهُون: مضموم، وهو الهوان، وإذا فتحوا أوَّله، فهو الرِّفق والدَّعة[1].

قال الزَّجَّاج: والمعنى: تجزون العذاب الذي[2] يقع به الهوان الشَّديد[3].

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾.

سبب نزولها:

أن النَّضر [بن الحارث][4] قال: سوف تشفع لي اللَّات والعزَّى، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة[5].

ومعنى ﴿فُرَٰدَىٰ﴾: وُحدانًا.

وهذا إخبار من الله تعالى بما يوبِّخ به المشركين يوم القيامة.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم (٧٦٤٤) في تفسيرهما من طريق ابن جُرَيج، عن الحكم بن أبان، به، بنحوه. وعزاه السيوطي في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٣٢٣) لابن المنذر، وأبي الشيخ.

قال أبو عُبَيدة: ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ أي: فرد فرد[(١)(٢)].

وقال ابن قُتَيْبة: فرادى: جمع فرد[(٣)].

وللمفسِّرين في معنى ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ خمسة أقوال متقاربة المعنى:

أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: كلٌّ واحد على حدة، قاله الحسن.

والثَّالث: ليس معكم من الدُّنيا شيء، قاله مقاتل[(٤)].

و الرَّابع: فكلُّ وَاحِدٍ مُنْفَرِدٌ مِن شريكه في الغَيِّ وشَقِيقِهِ، قاله الزَّجَّاج[(٥)].

والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا مال ولا أهل ولا ولد.

والثَّاني: حفاةً عراةً غرلًا. والغُرْل: القلف.

والثَّالث: أحياءً.

---

(١) من قوله: (وهذا إخبار من الله تعالى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٣).

و﴿خَوَّلْنَٰكُمْ﴾: بمعنى ملَّكناكم. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: في الدُّنيا. والمعنى: أن ما دأبتم في تحصيله في الدُّنيا فني، وبقي النَّدم على سوء الاختيار.

وفي شفعائهم قولان:

أحدهما: أنها الأصنام.

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾ أي: آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم. و﴿زَعَمْتُمْ[1] أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: عندكم ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾.

وقال ابن قُتَيْبة: زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء[2].

والثَّاني: أنها الملائكة كانوا يعتقدون شفاعتها، قاله مقاتل[3]. [٢٤٢/ب]

قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم[4]: بالرَّفع.

وقرأ نافع، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم: بنصب النون على الظرف[5].

قال الزَّجَّاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطَّع وصلكم، والنصب جائز ومعناه: لقد تقطَّع ما كنتم فيه من الشِّركة بينكم[6].

---

(١) من قوله: (أنهم يشفعون لكم)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

(٤) من قوله: (قرأ ابن كَثِيرٍ)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٥٧)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٣).

وقال ابن الأنباريِّ: التَّقدير: لقد تقطَّع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناها.

قال أبو عليٍّ: الذين رفعوه، جعلوه اسمًا، فأسندوا الفعل الذي هو «تقطَّع» إليه، والمعنى: لقد تقطَّع وصلكم. والذين نصبوا، أضمروا اسم الفاعل في الفعل، والمضمر هو الوصل، فالتَّقدير: لقد تقطَّع وصلكم بينكم(١).

وفي الذين كانوا يزعمون قولان:

أحدهما: شفاعة آلهتهم.

والثَّاني: عدم البعث والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: ٩٥].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾.

في معنى الفلق قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الخلق، فالمعنى: خالق الحبِّ والنَّوى، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحَّاك، ومقاتل(٢).

والثَّاني: أن الفلق بمعنى الشَّقِّ.

---

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنه فلق الحبَّة عن السنبلة، والنَّواة عن النَّخلة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّاني: أنه الشِّقَّان اللَّذان في الحَبِّ والنَّوى، قاله مجاهد، وأبو مالك.

قال ابن السَّائب: «الحَبُّ»: ما لم يكن له نوى، كالبرِّ، والشَّعير. و«النَّوى»: مثل نوى التَّمر(١).

قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ قد سبق تفسيره في «آل عمران»(٢).

قوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحقِّ بعد هذا البيان(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦].

قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ في معنى «الفلق» قولان قد سبقا.

فأما ﴿الْإِصْبَاحِ﴾ فقال الأخفش: هو مصدر من أصبح(٤).

وقال الزَّجَّاج: الإصباح والصُّبح واحد(٥).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية (٢٧).

(٣) من توله: (قوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٧).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٤).

وللمفسِّرين في ﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه ضوء الشَّمس بالنَّهار، وضوء القمر باللَّيل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنه إضاءة الفجر، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: فلق الإصباح من اللَّيل.

والثَّالث: أنه نوَّر النَّهار، قاله الضَّحَّاك.

وقرأ أنس بن مالك، والحسن، وأبو مجلز، وأيوب، والجَحْدَري: «فالق الأَصباح» بفتح الهمزة[1].

قال أبو عُبَيدة[2]: ومعناه جمع صبح.

قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر: «جاعل» بألف.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: «وجعل» بغير ألف. «الليلَ» نصبًا[3].

قال أبو عليٍّ: من قرأ: «وجاعل» فلأجل «فالق» وهم يراعون المشاكلة. ومن قرأ: «جعل» فلأنَّ «فاعلاً» هاهنا بمعنى: «فعل» بدليل قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾[4]. [٢٤٣/أ]

---

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي إعراب القرآن (٢/ ٨٤) عن عيسى بن عمر، وزاد في المحرر الوجيز (٢/ ٣٢٥)، والبحر المحيط (٤/ ٥٩٣) أبا رجاء.

(٢) في (ف): (أبو عبيد).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٦١)، والمبسوط (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٦١).

فأما «السَّكن» فهو ما سكنْتَ إليه.

والمعنى: أن النَّاس يسكنون فيه [سكون][١] راحة.

وفي الحسبان قولان:

أحدهما: أنه الحساب، قاله الجمهور.

قال ابن قُتَيْبة: يقال: خذ من كلِّ شيء[٢] بحسبانه، أي: بحسابه[٣][٤].

وفي المراد بهذا الحساب[٥] ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما يجريان إلى أجل جُعل لهما، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: يجريان في منازلهما بحساب، ويرجعان إلى زيادة ونقصان، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور، والأعوام، قاله مقاتل[٦].

والقول الثَّاني: أن معنى الحسبان: الضِّياء، قاله قتادة.

قال الماورديُّ: كأنه أخذه من قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف:٤٠] أي: نارًا[٧].

---

(١) زيادة من (ج)، و(ر)، و(ف).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قوله: (أي: بحسابه)، ليس في (ج)، وفي (ر): (أي: بحسبانه).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٥) في (ج): (الحسبان).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٠).

(٧) انظر: النُكت والعيون (٢/ ١٤٨).

قال ابن جرير: وليس هذا من ذاك في شيء[١].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾.

«جعل» بمعنى[٢] خلق.

وإنما امتنَّ عليهم بالنُّجوم، لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في اللَّيل لمقاصدهم بها.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾.

قرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرو، ويعقوب، إلا رُويسًا: بكسر القاف.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكِسَائِي: بفتحها[٣].

قال الزَّجَّاج: من كسر، فالمعنى: «فمنكم مستقِر»، ومن نصب، فالمعنى: «فلكم مستقَر»[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٣٠).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٦٤)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٤).

فأما «مستودَع» فبالفتح، لا غير. ومعناه على فتح القاف: «ولكم مستودَع» وعلى كسرها: «ومنكم مستودِع».

وللمفسِّرين في معنى «المستقرّ» و«المستودع» تسعة أقوال:

أحدها: فمستقرٌّ في الأرحام، ومستودع في الأصلاب، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، وعطاء، والضَّحَّاك، والنَّخعي، وقتادة، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّاني: المستقرُّ في الأرحام، والمستودع في القبر، قاله ابن مسعود.

والثَّالث: المستقرُّ في الأرض، والمستودع في الأصلاب، رواه ابن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: المستقرُّ والمستودع في الرَّحم، رواه قابوس عن أبيه عن ابن عبَّاسٍ.

والخامس: المستقرُّ حيث يأوي، والمستودع حيث يموت، رواه مِقْسَم عن ابن عبَّاسٍ.

والسَّادس: المستقرُّ في الدُّنيا، والمستودع في القبر.

والسَّابع: المستقرُّ في القبر، والمستودع في الدُّنيا، وهو عكس الذي قبله، رويا عن الحسن.

والثَّامن: المستقرُّ في الدُّنيا، والمستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد.

والتَّاسع: المستقرُّ في الأصلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر[1]، وهو عكس الأول.

(١) هو: عمرو بن بحر بن محبوب، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالمطر.

وفي قوله: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قولان:

[٢٤٣/ب] **أحدهما**: نبات كلِّ شيء من الثِّمار، لأن كلَّ ما ينبت، فنباته بالماء.

والثَّاني: رزق كلِّ شيء وغذاؤه.

وفي قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قولان:

أحدهما: من الماء، أي: به.

والثَّاني: من النَّبات.

قال الزَّجَّاج: الخَضِر بمعنى الأخضر، يقال: اخضرَّ، فهو أخْضر، وخَضِر، مثل: اعورَّ، فهو أعْوَر، وعَوِر[(١)].

قوله: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ كالسُّنبل والشَّعير.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

و«المتراكب»: الذي بعضه فوق بعض.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾.

وروى الخفَّاف عن أبي عمرو: «قُنوان» بضم القاف(١)، وروى هارون عنه بفتحها(٢).

قال الفرَّاء: معناه: ومن النَّخل ما قنوانه دانية، وأهل الحجاز يقولون: «قِنوان» بكسر القاف، وقيس يضمُّونها، وضبَّة وتميم يقولون: «قنيان».

أنشدني المفضَّل عنهم(٣)[من الطويل]:

فأَثَّتْ أعَالِيْهِ وآدَتْ أصُولُه ... وَمَالَ بِقِنْيانٍ من البُسْرِ أحْمَرَا

ويجتمعون جميعًا، فيقولون: «قِنو» و«قُنو»، ولا يقولون: «قِني» ولا «قُني»، وكلب(٤) تقول(٥): «ومال(٦) بقنيان».

---

(١) انظر: الكامل في القراءات العشر (١/ ٥٤٤). وعن أبي عمرو والأعمش والسلمي، عن علي ﷺ، وكذا في ﴿صُنْوان﴾.

(٢) وعن الأعرج في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، والمحتسب (١/ ٢٢٣)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٣١)وقال: ورُوي عنه أيضًا: ضمُّها، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٢٨)، والبحر المحيط (٤/ ٥٩٧) وقال ابن جني: ينبغي أن يكون ﴿قَنْوَان﴾ هذا اسمًا للجمع غير مكسر؛ لأن فعلان ليس من أمثلة الجمع.

(٣) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٢)، والبيت لامرئ القيس في ديوانه (ص ٥٧)، ولسان العرب (٣/ ٧٧)، وتهذيب اللُّغة (٩/ ٣١٥)، وتاج العروس (٧/ ٣٩٦).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ف): (يقولون).

(٦) ليست في (ج).

قلت[١]: هذا البيت لامرئ القيس رواه أبو سعيد السُّكَّري[٢]: «ومال بِقِنوان» مكسورة القاف مع الواو، ففيه أربع لغات: قِنوان، وقُنوان، وقِنيان[٣]، وقُنيان، و«أثَّت»: كثرت، ومنه: شعر أثيث، و«آدت»: اشتدَّت.

وقال ابن قُتَيْبة: «القِنْوَانُ»: عُذُوقُ النَّخل، واحدها قِنْوٌ، جمع على لفظ تثنية صِنْو وصِنْوان في التَّثنية، وصِنْوانٌ في الجمع[٤].

وقال الزَّجَّاج: قِنوان: جمع قِنو، وإذا ثنَّيته فهما قِنوان، بكسر النون، ودانية، أي: قريبة المتناول، ولم يقل: «ومنها قنوان بعيدة»؛ لأن في الكلام دليلًا أن البعيدة السَّحيقة قد كانت غير سحيقة، فاجتزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ[٥] ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١][٦].

---

(١) في (ف): (قال المصنِّف).

(٢) هو: الْحَسَن بن الحسين بْنِ عَبْد الرَّحْمَنِ بن العلاء بن أَبِي صفرة بن المهلب، أَبُو سعيد السُّكَّري النَّحْوي، سمع يَحْيَى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، ومحمد بن حبيب، وعمر بن شبة، وغيرهم، وكان ثقة دَيِّنًا صادقًا، يقرئ القرآن، له من الكتب كتاب أشعار هذيل، والنقائض، وكتاب النبات، وكتاب الوحوش، وكتاب المناهل والقرى، وكتاب الأبيات السائرة. وعمل أشعار جماعة من الشعراء منهم: امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، والنابغة الجعدي، وزهير، والحطيئة، ولبيد، وغيرهم. توفي سنة (٢٧٥هـ).
انظر ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٧)، والسير (١٣/ ١٢٦)، ومعجم الأدباء (٢/ ٨٥٦).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٥).

وقال ابن عبَّاسٍ: «القُنوان الدَّانية»: قِصَار النَّخل اللَّاصِقَة عُذُوقَها بالْأَرْضِ[١].

قوله: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: هو نسق على قوله: ﴿خَضِرًا﴾[٢].

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ المعنى: وأخرجنا منه شجر الزَّيتون والرُّمَّان.

وقد روى أبو زيد عن المفضَّل: «وجنَّاتٌ» بالرَّفع[٣].

قوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: مشتبهًا في المنظر، وغير متشابه في الطَّعم، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: مشتبهًا ورقه، مختلفًا ثمره، قاله قتادة، وهو في معنى الأول.

والثَّالث: منه ما يشبه بعضه بعضًا، ومنه ما يخالف.

قال الزَّجَّاج: وإنما قرن الزَّيتون بالرُّمَّان، لأنهما شجرتان تعرف

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٤٦)، وابن أبي حاتم (٧٧٠٥) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

(٣) عن الأعمش كما في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي التَّحصيل (١/ ٦٣١) عن عاصم، وفي إعراب القرآن (٢/ ٨٦) عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى من قراءة عاصم.

العـرب أن ورقهـا يشـتمل عـلى الغصـن مـن أوّلـه إلى آخـره(١).

قال الشّاعر(٢)[من الخفيف]:

بُـورِكَ الميّـتُ الْغَرِيـبُ كَـمَا بُـو رِكَ نَضْـحُ الرُّمَّـانِ والزَّيْتُـونِ

[٢٤٤/أ] ومعناه: أن البركة في ورقه اشتمالُه على عوده كلِّه.

قوله: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾.

قـرأ ابـن كَثِيرٍ، ونافـع، وأبـو عَمْـرٍو، وابـن عامـر، وعاصـم: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾، و﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الأنعـام:١٤١]، و﴿لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [يـس:٣٥]: بالفتـح في ذلـك.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف: بالضَّمِّ فيهنَّ(٣).

قـال الزَّجَّـاج: يقـال: ثَمَـرَةٌ، وثَمَـرٌ(٤)، وثِـمَارٌ، وثُمُـرٌ، فمـن قـرأ: «إلى ثُمُـره» بالضَّـمِّ أراد جمـع الجمـع(٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

(٢) البيـت لأبي طالـب بـن عبـد المطلـب في المحـرر الوجيـز (٤/ ٢٥٠)، ولسـان العـرب (٢/ ٦٢٠ ــ ١٠/ ٣٩٦)، والبحـر المحيـط (٨/ ٤٦).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٤)، والحجّة (٣/ ٣٦٦)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

وقال أبو عليٍّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: هذا، وهو أن يكون الثَّمر جمع[١] ثمار.

والثَّاني: أن يكون الثَّمر جمع ثمرة، وكذلك: أكمة، وأُكُم، وخشبة، وخُشُب.

قال الفرَّاء: يقول: انظروا إليه أوَّل ما يَعْقِد، وانظروا إلى ينعه، وهو نضجه وبلوغه. وأهل الحجاز يقولون: يَنْعَ، بفتح الياء، وبعض أهل نجد يضمونها[٢].

قال ابن قُتَيْبة: يقال: يَنَعَت الثَّمَرَة وأيْعَنَت: إذا أدْرَكَت. وهو اليَنَع واليَنِع واليُنُوع[٣].

وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن[٤] محيصن: «ويُنعِه» بضم الياء[٥].

قال الزَّجَّاج[٦]: الينع[٧]: النُّضج[٨].

---

(١) من قوله: (الجمع. وقال أبو علي)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٦٦ـ ٣٦٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٤) في (ر): (ابن) بدون واو.

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥) عن مجاهد، وابن إسحاق، وفي التَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٣٦٠) عن مجاهد، وابن محيصن، وانظر: إعراب القراءات الشاذة (١/ ٥٠٠).

(٦) قوله: (قال الزجاج)، ليس في (ر).

(٧) في (ر): (والينع).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

قال الشَّاعر(١)[من المديد]:

في قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعا

وبيَّن الله تعالى لهم بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنه كذلك يبعثهم.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يصدِّقون أن الذي أخرج هذا النَّبات قادر على أن يحيي الموتى(٢).

وقال مقاتل: يصدِّقون بالتَّوحيد(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠].

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾.

«جعلوا» بمعنى وصفوا.

قال الزَّجَّاج: نصبُ «الجنِّ» من وجهين:

---

(١) البيت ليزيد بن معاوية كما في جمهرة اللُّغة (٢/ ٩٥٦)، ونُسب للأخطل كما في المحكم والمحيط (٧/ ١٦٢)، وتاج العروس (١١/ ٢٩٣)، ولسان العرب (٤/ ٢٨٥).
قال أبو عُبَيدة: هذا الشعر يختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. انظر: الكامل (١/ ٣٠١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨١).

أحدهما: أن يكون مفعولًا، فيكون المعنى: وجعلوا لله الجنَّ شركاء، ويكون الجنُّ مفعولًا ثانيًا، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف:١٩].

والثَّاني: أن يكون الجنُّ بدلًا من شركاء، ومفسِّرًا للشُّركاء[١].

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو عمران، وأبو حيوة، والجَحْدَري: «شركاء الجنُّ» برفع النُّون[٢].

وقرأ ابن أبي عبلة، ومعاذ القارئ: «الجنِّ» بخفض النُّون[٣].

وفي معنى جعلهم الجنَّ شركاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أطاعوا الشَّياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، قاله الحسن، والزَّجَّاج[٤].

والثَّاني: قالوا: إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات:١٥٨] فسمَّى الملائكة جنًّا لاجتنانهم، قاله قتادة، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّالث: أن الزَّنادقة قالوا: الله خالق النُّور والماء والدَّواب والأنعام، وإبليس خالق الظُّلمة والسِّباع والحيَّات والعقارب، وفيهم نزلت هذه [٢٤٤/ب] الآية. قاله ابن السَّائب.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٧).

(٢) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي البحر المحيط (٤/ ١٩٦) عن أبي حيوة.

(٣) عن أبي البرهسم في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي البحر المحيط (٤/ ١٩٦) شعيب بن أبي حمزة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٧).

قوله: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾.

في الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشُّركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون.

والثَّاني: أنها ترجع إلى الجنِّ، فيكون المعنى: والله خلق الجنَّ، فكيف يكون الشَّريك لله مُحدَثًا؟ ذكرهما الزَّجَّاج[١].

قوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ[٢]﴾.

وقرأ نافع: «وخرَّقوا» بالتَّشديد، للمبالغة والتَّكثير، لأن المشركين ادَّعوا الملائكة [بناتِ الله][٣]، والنَّصارى المسيحَ، واليهود عزيرًا[٤].

وقرأ ابن عبَّاسٍ، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وحرَّفوا» بحاء غير معجمة وبتشديد الرَّاء وبالفاء[٥][٦].

وقرأ ابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري[٧]: «وخارقوا» بألف وخاء معجمة.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) ليست في (ف).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج)، و(ر)، وفي (ف): (بنات).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٤)، والحجَّة (٣/ ٣٧٢)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٥) ليست في (ر).

(٦) عن ابن عباس، وابن عمر ﷺ في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، ووقع تصحيف في المطبوع فقال: (وخرقوا)، والمحتسب (١/ ٢٢٤)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٥٠).

(٧) ليست في (ج).

قال السُّدِّي: أما «البنون»، فقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النَّصارى: المسيح ابن الله، وأما «البنات» فقول مشركي العرب: الملائكة بناتُ الله[١][٢].

قال الفرَّاء: خرَّقوا، واخترقوا، وخلقوا، واختلقوا، بمعنى: افْتَرَوْا[٣].

وقال أبو عُبَيدة: خرقوا: جعلوا[٤].

قال الزَّجَّاج: ومعنى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أنهم لم يذكروه من[٥] علم، إنما ذكروه تكذُّبًا[٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١، ١٠٢].

قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة؟!.

واحتجَّ عليهم في نفي الولد بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له؟! فإذا نُسب إليه

(١) قول السُّدِّي جاء بعد كلام أبي عبيدة في (ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٧٧٢٤) في تفسيرهما.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٨).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٣).

(٥) في (ر): (عن).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

الولد، فقد جُعل له مثل[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

في الإدراك قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإحاطة.

والثَّاني: بمعنى الرؤية.

وفي ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها العيون، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنها العقول، رواه عبد الرَّحمن بن مهدي عن أبي حصين القارئ.

ففي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تحيط به الأبصار، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيد بن المسيَّب، وعطاء.

وقال الزَّجَّاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته، وليس فيها دفع للرُّؤية، لِما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الرُّؤية، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والعلم والحديث[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

والثَّاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلَّى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: لا تدركه الأبصار في الدُّنيا، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، ومقاتل[١].

ويدلُّ على أن الآية مخصوصة بالدُّنيا، قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ {القيامة:٢٢-٢٣} فقيَّد النَّظر إليه بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيَّد.

وقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فيه القولان.

قال الزَّجَّاج: وفي هذا الإعلام دليل على أنَّ خَلْقَه لا يدركون [٢٤٥/أ] الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه، فأعلم الله أن خلقًا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه فكيف به ﷻ؟![٢].

فأما ﴿اللَّطِيفُ﴾ فقال أبو سليمان الخطَّابي: هو البَرُّ بِعِبَاده، الذي يلطف لهم[٣] من حيث لا يعلمون، ويسبِّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

(٣) في (ج)، و(ر): (بهم).

(٤) انظر: شأن الدعاء (ص:٦٢).

قال ابنُ الأعرابيّ(١): اللَّطِيفُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَيْكَ أَرَبَكَ فِي رِفْقٍ، ومنه قولهم(٢): لطف الله بك، ويقال: هو الذي لَطُفَ عن أن يُدرَك بالكيفيَّة(٣).

وقد يكون اللُّطف بمعنى الدِّقة والغموض، ويكون بمعنى الصِّغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه.

وقال الأزهري: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ من أسماء الله، معناه: الرَّفيق بعباده. و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: العالم بكنه الشَّيء، المطَّلع على حقيقته(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

«البصائر»: جمع بصيرة، وهي الدِّلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر(٥).

---

(١) هو: محمد بن زياد أبي عبد الله ـ المعروف ـ بابن الأعرابي الكوفي النَّحوي اللُّغوي، كان أحد العالمين باللُّغة المشهورين بمعرفتها، توفي (٢٣١هـ). انظر: ترجمته: معجم الأدباء (٦/ ٢٥٣٠)، وإنباه الرواة (٣/ ١٢٩)، وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٩).

(٢) في (ف): (قوله).

(٣) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٣٠٨).

(٤) انظر: تهذيب اللُّغة (١٣/ ٢٣٥).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله ﷻ غنيٌّ عن خلقه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

فصلٌ

وذكر المفسِّرون أن هذه الآية نُسخت بآية السَّيف.

وقال بعضهم: معناها: لست رقيبًا عليكم، أحصي أعمالكم، فعلى هذا لا وجه للنَّسخ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٠٥﴾ [الأنعام: ١٠٥].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾.

قال الأخفش: وَكَذلِكَ معناها: وهكذا[١].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: وَمِثْلُ ما بيَّنَّا فيما تُلي عليك، نُبيِّن الآيات[٢].

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي نبيِّنها في كلِّ وجه، ندعوهم بها مرَّة، ونخوِّفهم بها أُخرى[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٨).

﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ يعني أهل مكّة حين تقرأ عليهم القرآن: «دارست»[١].

قال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: وكذلك نصرِّف الآيات، لنلزمهم الحجَّة، وليقولوا: دارست، وإنما صرَّف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها، فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي.

قال الزَّجّاج: وهذه اللام في: «ليقولوا» يسميها أهل اللُّغة لام الصيرورة.

والمعنى: أن السَّبب الذي أدَّاهم إلى أن يقولوا: دارست!، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨] وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوًّا وحزنًا. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم [٢٤٥/ب] يقصد أن يُهلك نفسه بالكتاب، ولكنَّ العاقبة كانت الهلاك[٢].

فأما «دَرَسْتَ» فقرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرو: «دارسْتَ» بالألف وسكون السين وفتح التاء، ومعناها: ذاكرت أهل الكتاب.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: «درسْتَ» بسكون السين وفتح التاء، من غير ألف، على معنى: قرأت كتب أهل الكتاب.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٧٢)، وابن أبي حاتم (٧٧٤٨) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: قَالُوا: «قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ، تَقُولُ ذَلِكَ قُرَيْشٌ».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

قال المفسِّرون: معناها: تعلَّمت من جَبْرٍ[١] وَيَسَارٍ، وسنبيِّن هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣] إن شاء الله.

وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «دَرَسَتْ» بفتح الرَّاء والسين وسكون التاء من غير ألف، والمعنى: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد دَرَسَتْ. أي: قد مضت وامَّحت.

وجميع من ذكرنا فتح الدَّال في قراءته[٢].

وقد روي عن نافع أنه قال: «دُرِسَت» برفع الدَّال وكسر الرَّاء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابن يعمر[٣]. ومعناها قُرِئت.

وقرأ أبي بن كعب: «دَرُسَتْ» بفتح الدَّال والسين وضم الرَّاء وتسكين التاء[٤].

قال الزَّجَّاج: وهي بمعنى: «دَرَسَتْ» أي: امَّحت إلا أن المضمومة الرَّاء أشدُّ مبالغة[٥].

وقرأ معاذ القارئ، وأبو العالية، ومورِّق: «دُرِّسْتَ» برفع الدَّال، وكسر الرَّاء وتشديدها ساكنة السين[٦].

---

(١) في (ف): (خير)، وفي (ر): (حبر).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٤)، والحجَّة (٣/ ٣٧٣)، والمبسوط (١/ ٢٠٠).

(٣) وعن ابن عباس في خلاف، وقتادة، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، والتَّحصيل (١/ ٦٥١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٣١)، والبحر المحيط (٤/ ٦٠٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠)، والبحر المحيط (٤/ ٦٠٨) بلا نسبة.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

(٦) انظر: البحر المحيط (٤/ ٦٠٨).

وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرِّف: «دَرَسَ» بفتح الرَّاء والسين بلا ألف ولا تاء[١].

وروى عصمة عن الأعمش: «دارس» بألف[٢].

قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ يعني: التَّصريف ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ما بيَّن لهم من الحقِّ فيقبلوه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٦، ١٠٧].

قوله: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

قال المفسِّرون: نُسخ بآية السَّيف.

قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال حكاها الزَّجَّاج:

أحدها[٣]: لو شاء لجعلهم مؤمنين.

والثَّاني: لو شاء لأنزل آية تضطرهم إلى الإيمان.

والثَّالث: لو شاء لاستأصلهم، فقطع سبب شركهم[٤].

---

(١) عن ابن مسعود في المحتسب (١/ ٢٢٥)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٤٥).

(٢) انظر: الكامل (١/ ٥٤٥).

(٣) في (ر): (فيه ثلاثة أقوال: أحدها حكاه الزَّجَّاج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

قال ابن عبَّاسٍ: وباقي الآية نُسخ بآية السَّيف[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ {الأنبياء:٩٨} قالوا: لتنتهينَّ يا محمد عن سبِّ آلهتنا وعيبها، أو لنهجونَّ إلهك الذي تعبده، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٢].

والثَّاني: أن المسلمين كانوا يسبُّون أوثان الكفار، فيردُّون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبُّوا لربِّهم قومًا جهلة لا علم لهم بالله، قاله قتادة[٣].

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وهي الأصنام.

---

(١) قوله: (بآية السيف)، ليس في (ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (٧٧٦٠) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به. وأورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢١) عن سعيد بن جُبَير، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٨٠) في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة، وابن أبي حاتم (٧٧٦١) في تفسيره من طريق معمر، كلاهما عن قتادة، بنحوه.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ أي: فيسبُّوا من أمركم بعيبها، فيعود ذلك إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يصرِّحون بسبِّ الله تعالى، لأنهم كانوا يقرُّون أنه [٢٤٦/أ] خالقهم، وإن أشركوا به.

وقوله: ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: ظلمًا بالجهل.

وقرأ يعقوب: «عُدُوًّا»، بضم العين والدَّال وتشديد الواو[١].

والعرب تقول في الظُّلم: عدا فلان عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدوانًا. وعدا، أي: ظلم.

قوله: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي: كما زيَّنا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشَّيطان، كذلك زيَّنا لكلِّ جماعة اجتمعت على حقٍّ أو باطل عملهم من خيرٍ أو شرٍّ.

قال المفسِّرون: وهذه الآية نُسخت بتنبيه الخطاب في آية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾ [الأنعام: ١٠٩].

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما نزل في «الشعراء»: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الآية: ٤] قال المشركون: أنزلها علينا حتى والله نؤمن بها، فقال المسلمون:

(١) عن الحسن، وأبي رجاء، وقتادة، وسلام، ويعقوب في المحتسب (١/ ٢٢٦)، والتَّحصيل (١/ ٦٥١)، والكامل (١/ ٥٤٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٠) عن يعقوب، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥) بعض المكيين.

يـا رسـول الله، أَنزِلهـا عليهـم لكـي يؤمنـوا، فنزلـت هـذه الآيـة، رواه أبـو صالـح عـن ابـن عبَّـاسٍ(١).

والثَّـاني: أن قريشًـا قالـوا: يـا محمـد، تخبرنـا أن موسـى كان معـه عصـا يـضرب بهـا الحجـر، فينفجـر منهـا اثنتـا عـشرة عينًـا، وأن عيسـى كان يحيي الموتـى، وأن ثمـود كانـت لهـم ناقـة، فائتنـا بمثـل هـذه الآيـات حتـى نصدِّقك: فقـال: «أَيُّ شَيْءٍ تُحِبُّـونَ؟» قالـوا: أن تجعـل لنـا الصَّفـا ذهبًـا. قـال: «فَـإِنْ فَعَلْتُ تُصَدِّقُـونِي؟» فقالـوا: نعـم، والله لئـن فعلـت لنتَّبعنَّـك أجمعـين. فقـام رسـول الله ﷺ يدعـو، فجـاءه جبريـل فقـال: «إِنْ شِـئْتَ أَصْبَـحَ الصَّفَـا ذَهَبًـا، وَلَكِنِّـي لَمْ أُرْسِـلْ آيَـةً فَلَمْ يُصَـدَّقْ بِهَـا، إِلَّا أَنْزَلْتُ الْعَـذَابَ، وَإِنْ شِـئْتَ تَرَكْتُهُـمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُـمْ». فقـال رسـول الله ﷺ «اتْرُكْهُـمْ حَتَّـى يَتُـوبَ تَائِبُهُمْ»، فنزلـت هذه الآية إلى قولـه: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعـام:١١١]، هـذا قـول محمـد بـن كعـب القُرَظِـي(٢).

وقـد ذكرنـا معنـى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآيـة:٥٣] في «المائـدة» وإنـما حلفـوا عـلى مـا اقترحـوا مـن الآيـات، كقولهـم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء:٩٠].

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هـو القـادر عـلى الإتيـان بهـا دوني ودون أحـد مـن خلقـه ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ﴾ أي: يدريكـم أنهـا.

قـرأ ابـن كَثِيرٍ، وأبـو عَمْـرٍو، وأبـو بكر عـن عاصـم، وخلـف في اختياره: بكسر الألف(٣).

---

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦١٣).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٤٨٥-٤٨٦)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢٣).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥)، والحجَّة (٣/ ٣٧٥)، والتيسير (١/ ٧٣).

فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله: ﴿يُشۡعِرُكُمۡ﴾ للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ ويكون المعنى: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون «إنها» مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم.

وقال أبو عليٍّ: التَّقدير: وما يشعركم إيمانهم، فحذف المفعول.

[٢٤٦/ب] والمعنى: لو جاءت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا. فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: «وما يشعركم إنها» فقلت: ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن[1] ذلك في هذا الموضع إنما قال: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ ثم ابتدأ فأوجب، فقال: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» ولو قال: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ[2] أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ كان ذلك عذرًا لهم[3].

وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكِسَائِي[4]: «أنها» بفتح الألف[5].

فعلى هذا، المخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ رسول الله ﷺ وأصحابه.

---

(١) في (ف): (تحسبن).

(٢) قوله: (ثم ابتدأ فأوجب)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٧٥_٣٧٧).

(٤) قوله: (والكسائي)، ليس في (ر).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥)، والحجَّة (٣/ ٣٧٥).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: وما يدريكم لعلَّها إذا جاءت لا يؤمنون.

وفي قراءة أُبيٍّ: «لعلَّها إذا جاءت لا يؤمنون»(١).

والعرب تجعل «أن» بمعنى «لعلَّ». يقولون: ائت السُّوق أنك تشتري لنا شيئًا، أي: لعلَّك.

قال عدي بن زيد(٢)[من الطويل]:

أَعَاذِلَ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى غَدِ

أي: لعلَّ منيَّتي.

وإلى هذا المعنى ذهب الخليل، والفرَّاء في توجيه هذه القراءة(٣).

والثَّاني: أن المعنى: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون «لا» صلة كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] وقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥]، ذكره الفرَّاء، وردَّه الزَّجَّاج واختار الأوَّل(٤).

---

(١) عن أُبي بن كعب ﷺ في معاني القرآن؛ للنحاس (٢/ ٤٧٤)، وبلا نسبة في معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٣٧٩).

(٢) البيت لعدي بن زيد الْعِبَادِيِّ في ديوانه (ص: ١٠٣)، ولسان العرب (١٣/ ٣٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٠ـ ٣٥٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٢ـ ٢٨٣).

والأكثرون على قراءة: «يؤمنون» بالياء منهم ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم.

وقرأ ابن عامر، وحمزة: بالتَّاء، على الخطاب للمشركين.

قال أبو عليٍّ: من قرأ بالياء، فلأنَّ الذين أقسموا غُيَّبٌ، ومن قرأ بالتَّاء، فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠].

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ التَّقليب: تحويل الشَّيء عن وجهه.

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدها: لو أتيناهم بآية كما سألوا، لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحُلْنا بينهم وبين الهدى، فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وابن زيد.

والثَّاني: أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرُّجوع إلى الدُّنيا، فالمعنى: لو رُدُّوا لحُلْنا بينهم وبين الهدى كما حُلْنا بينهم وبينه أَوَّل مرة وهم في الدُّنيا، روى هذا المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥)، والحجَّة (٣/ ٣٨٢_٣٨٣)، والمبسوط (١/ ٢٠٠).

والثَّالث: ونقلِّب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات، قاله مقاتل[١].

و الرَّابع: أن ذلك التَّقليب في النَّار، عقوبة لهم، ذكره الماورديُّ[٢].

وفي هاء «به» أربعة أقوال.

أحدها: أنها كناية عن القرآن.

والثَّاني: عن النَّبيِّ ﷺ. [٢٤٧/أ]

والثَّالث: عمَّا ظهر من الآيات.

و الرَّابع: عن التَّقليب.

وفي المراد بـ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المرَّة[٣] الأولى: دار الدُّنيا.

والثَّاني: أنها معجزات الأنبياء قبل محمد.

والثَّالث: أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو نزلت، والطُّغيان والعمه مذكوران في «[سورة][٤] البقرة»[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٤).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٥٦).

(٣) في (ف): (المراد).

(٤) زيادة من (ف).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾.

سبب نزولها:

أن المستهزئين أتوا رسولَ الله ﷺ في رهط من أهل مكَّة، فقالوا له: ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم: أحقٌّ ما تقول، أم باطل؟ أو أرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله، أو ائتنا بالله والملائكة قبيلًا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ(١).

ومعنى الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ كما سألوا ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ فشهدوا لك بالنُّبوَّة ﴿وَحَشَرْنَا﴾ أي: جمعنا: ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدُّنيا ﴿قُبُلًا﴾ ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته، لا كما ظنُّوا أنهم متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا لم يؤمنوا.

فأمَّا قوله تعالى: «قِبَلًا»، فقرأ ابن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء(٢).

قال ابن قُتَيْبة: معناها: معاينة(٣).

وقرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرٍو، وعاصم، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء(٤).

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥_٢٦٦)، والحجَّة (٣/ ٣٨٣)، والتيسير (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٨).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥_٢٦٦)، والحجَّة (٣/ ٣٨٣)، والتيسير (١/ ١٠٦).

وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جمع قبيل، وهو الصِّنْف.

فالمعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيء قبيلًا قبيلًا، قاله مجاهد، واختاره أبو عُبَيدة، وابن قُتَيْبة[١].

والثَّاني: أنه جمع قبيل أيضًا، إلا أنه: الكفيل.

فالمعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيء، فكَفَلَ بصحَّة ما تقول، اختاره الفرَّاء[٢].

وعليه اعتراض، وهو أن يقال: إذا لم يؤمنوا بإنزال الملائكة، وتكليم الموتى، فَلأَنْ لا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول، أولى.

فالجواب: أنه لو كَفَلَت الأشياء المحشورة، فنطق ما لم ينطق، كان ذلك آية[٣] بينة.

والثَّالث: أنه بمعنى المقابل.

فيكون المعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيء، فقابلهم، قاله ابن زيد.

قال أبو زيد[٤]: يُقال: لقيت فلانًا قِبَلًا وقَبَلًا وقُبُلًا وقَبِيلاً وقبليًّا ومقابلةً، وكلُّه واحد، وهو المواجهة.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٤)، وغريب القرآن (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) هو سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري، صاحب النحو واللُّغة، له من الكتب كتاب المغزى، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان، وغيرها، توفي (٢١٥هـ). انظر: إنباه الرواة (٢/ ٣٠ـ ٣٥).

قال أبو عليٍّ: فالمعنى في القرآن -على ما قاله أبو زيد- واحد، وإن اختلفت الألفاظ(١).

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يجهلون أن الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى.

والثَّاني: أنهم يجهلون أنهم لو أوتوا بكلِّ آية ما آمنوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾ [الأنعام: ١١٢].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.

أي: وكما جعلنا لك ولأُمَّتك شياطين الإنس والجنِّ أعداءً، كذلك جعلنا لمن تقدَّمك من الأنبياء وأُممهم. [٢٤٧/ب]

والمعنى: كما ابتليناك بالأعداء، ابتلينا مَنْ قبلك، ليعظم الثَّواب عند الصَّبر على الأذى.

قال الزَّجَّاج: «عدوٌّ»: في معنى أعداء، و«شياطين الإنس والجنِّ»: منصوب على البدل من «عدو»، ومفسِّر له، ويجوز أن يكون: «عدوًّا» منصوب على أنه مفعول ثان، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجنِّ أعداءً لأُممهم(٢).

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٨٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨١ـ ٢٨٤).

وفي ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم مردة الإنس والجنِّ، قاله الحسن، وقتادة.

والثَّاني: أن «شياطين الإنس»: الذين مع الإنس، و«شياطين الجنِّ»: الذين مع الجنِّ، قاله عكرمة، والسُّدِّي.

والثَّالث: أن «شياطين الإنس والجنِّ»: كفارهم، قاله مجاهد.

قوله: ﴿يُوحِي﴾ أصل الوحي: الإعلام والدِّلالة بِسَتر وإخفاء.

وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: يأمر.

والثَّاني: يوسوس.

والثَّالث: يشير.

وأما ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ فهو ما زُيِّن منه، وحُسِّن، ومُوِّه، وأصل الزُّخرف: الذَّهب.

قال أبو عُبَيدة[١]: كلُّ شيء حسَّنته وزيَّنتَه وهو باطل، فهو زخرف[٢].

وقال الزَّجَّاج: «الزُّخرف» في اللُّغة: الزِّينة؛ فالمعنى: أن بعضهم يزيِّن لبعض الأعمال القبيحة و﴿غُرُورًا﴾ منصوب على المصدر، وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى إيحاء الزُّخرف من القول: معنى الغرور،

(١) في (ر): (أبو عبيد)!.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٥).

فكأنه قال: يَغرُّون غُرورًا(١).

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾: الأمانيُّ بالباطل(٢).

قال مقاتل: وَكَّلَ إبليسُ بالإنس شياطين يُضِلُّونَهم، فإذا التقى شيطان الإنس بشيطان الجنِّ قال أحدهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضلِلْ أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحي بعضهم إلى بعض(٣).

وقال غيره: إن المؤمن إذا أعيا شيطانه، ذهب إلى متمرِّدٍ من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن ليفتنه.

وقال قتادة: إن من الجنِّ شياطين، وإن من الإنس شياطين(٤).

وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشدُّ عليَّ من شيطان الجنِّ، لأنِّي إذا تعوَّذت من ذاك ذهب عنِّي، وهذا يجرُّني إلى المعاصي عِيانًا(٥).

قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۚ﴾.

في هاء الكناية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الوسوسة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٤).

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٦٢) ومن طريقه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٧٧٨٨) في تفسيرهما.

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٣).

والثَّاني: ترجع إلى الكفر.

والثَّالث: إلى الغرور، وأذى النَّبيِّين.

قوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

قال مقاتل: يريد كفار مكَّة وما يفترون من الكذب(١).

وقال غيره: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياؤهم، وما يختلقون من كذب.

وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣].

قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾.

[أي](٢): ولتميل، والهاء: كناية عن الزُّخرف والغرور. [٢٤٨/أ]

و«الأفئدة»: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة.

قال ابن الأنباريِّ: فعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، «وليرضوا» الباطل.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ أي: ليكتسبوا، وليعملوا ما هم عاملون.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٥).

(٢) زيادة من (ف)، و(ر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

قوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾.

سبب نزولها:

أن مشركي قريش قالوا للنَّبيِّ ﷺ: اجعل بيننا وبينك حَكَمًا إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت[١] من أحبار النَّصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية، ذكره الماورديُّ[٢].

فأما «الحَكَمُ» فهو بمعنى الحاكم. والمعنى: أفغير الله أطلب قاضيًا بيني وبينكم؟!.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن.

و«المفصَّل»: المبيَّن الذي بان فيه الحقُّ من الباطل، والأمر من النَّهي، والحلال من الحرام.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **فيهم قولان:**

أحدهما: علماء أهل الكتابين، قاله الجمهور.

والثَّاني: رؤساء أصحاب النَّبيِّ محمد ﷺ، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأشباههم، قاله عطاء.

---

(١) من قوله: (قالو للنبي ﷺ: اجعل بيننا)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦٠).

قوله: ﴿يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ﴾.

قرأ ابن عامر(١)، وحفص عن عاصم: ﴿مُنَزَّلٞ﴾ بالتَّشديد.

وخفَّفها الباقون(٢).

قَوْلُهُ تعالَى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥].

قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «كلمات» على الجمع.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي، ويعقوب: «كلمة» على التَّوحيد(٣).

وقد ذكرت العرب الكلمة، وأرادت الكثرة يقولون: قال قُسٌّ في كلمته، أي: في خطبته، وقال زهير في كلمته، أي: في قصيدته.

وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة.

والثَّاني: أقضيتُه وعداته(٤).

والثَّالث: وعده ووعيده وثوابه وعقابه.

---

(١) في الأصل: (أبو عمرو)، والمثبت من (ف) وغيرها، وهو الصَّواب.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٦)، والمبسوط (١/ ٢٠١)، والتيسير (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) في (ر): (وعذابه).

وفي قوله: ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾ قولان:

أحدهما: ﴿صِدۡقٗا﴾ فيما أخبر، ﴿وَعَدۡلٗا﴾ فيما قضى وقدَّر.

والثَّاني: ﴿صِدۡقٗا﴾ فيما وعد وأوعد، ﴿وَعَدۡلٗا﴾ فيما أمر ونهى.

وفي قوله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قولان:

أحدهما: لا يقدر المفترون على الزِّيادة فيها والنُّقصان منها.

والثَّاني: لا خُلف لمواعيده، ولا مغيِّر لحكمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام: ١١٦].

قوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

سبب نزولها:

أن الكفار قالوا للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل ربُّكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفرَّاء[1].

والمراد بـ﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: الكفار.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٢)، وقد رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٢٢) من طريق عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: مَا قَتَلَ رَبُّكُمْ فَلَا تَأْكُلُونَ، وَمَا قَتَلْتُمْ أَنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ؟» فَأَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وفي ماذا يطيعهم فيه أربعة أقوال:

أحدها: في أكل الميتة.

والثَّاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام.

والثَّالث: في عبادة الأوثان.

و الرَّابع: في اتِّباع ملل الآباء.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه.

قال ابن قُتَيْبة: ومعنى ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يَحْدِسُون ويوقِعون، ومنه قيل للحازر: خَارِصٌ(١).

فإن قيل: كيف يجوز تعذيب من هو على ظنٍّ من شركه، وليس [٢٤٨/ ب] **على يقينٍ من كفره؟!**

فالجواب: أنهم لما تركوا التماس الحجَّة، واتبعوا أهواءهم، واقتصروا على الظنِّ والجهل، عُذِّبوا، ذكره الزَّجَّاج(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١١٧﴾ [الأنعام: ١١٧].

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٥).

قال الزَّجَّاج: موضع ﴿مَن﴾ رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أيُّ النَّاس يَضل عن سبيله[١].

وقرأ الحسن: «من يُضِل» بضم الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابن أبي شريح[٢].

قال أبو سليمان: ومقصود الآية: لا تلتفت إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات، فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝١١٨﴾ [الأنعام: ١١٨].

قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

سبب نزولها:

أن الله تعالى لَمَّا حرم الميتة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم، يريدون الميتة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٨٦).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن الحسن، ونصير عن الكِسَائِي، وفي المحتسب (١/ ٢٢٨)، والتَّحصيل (١/ ٦٥٣) قراءة الحسن، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢١٠) أحمد بن أبي شريح.

(٣) تقدم قريبًا من رواية عكرمة، عن ابن عباس ﷺ.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعـام: ١١٩].

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾.

قـال الزَّجَّـاج: المعنـى: وأيُّ شيء يقـع لكـم في أن لا تأكلـوا؟. وموضـع «أن» نصـب، لأن «في» سـقطت، فوصـل المعنـى إلى «أن» فنصبهـا[١].

قوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾.

قـرأ ابـن كثـير، وأبـو عمـرو، وابـن عامـر: «فُصِّـل لكـم مـا حُـرِّم عليكـم» مرفوعتـان.

وقـرأ نافـع، وحفـص عـن عاصـم، ويعقـوب، والقـزاز عـن عبـد الـوارث: «فَصَّـل» بفتـح الفـاء، «مـا حَـرَّم» بفتـح الحـاء.

وقـرأ حمـزة، والكِسَائِي، وأبـو بكـر عـن عاصـم: «فَصَّـل» بفتـح الفـاء، «مـا حُـرِّم» بضـم الحـاء[٢].

قـال الزَّجَّـاج: أي: فُصِّـل لكـم الحـلال مـن الحـرام، وأُحـلَّ لكـم في الاضطـرار مـا حُـرِّم[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٧)، والحجَّة (٣/ ٣٩٠)، والمبسوط (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

وقال سعيد بن جُبَيْر: فُصِّل لكم ما حُرِّم عليكم، يعني: ما بُيِّن في «المائدة» من الميتة، والدَّم، إلى آخر الآية[١].

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ يعني: مشركي العرب يَضلون في أمر الذَّبائح وغيره.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَيَضلون»، وفي «يونس»: «ربنا لِيَضِلوا» وفي «إبراهيم»: «أندادًا لِيَضِلوا» وفي «الحج»: «ثاني عطفه لِيَضِل» وفي «لقمان»: «لِيَضِل عن سبيل الله بغير علم» وفي «الزمر»: «أندادًا لِيَضِل»، بفتح الياء في هذه المواضع السِّتَّة.

وضمَّهن عاصم، وحمزة، والكِسائِي.

وقرأ نافع، وابن عامر: «لَيَضِلون بأهوائهم»، وفي «يونس» «لِيَضِلوا» بالفتح، وضمَّا الأربعة الباقية[٢].

فمن فتح، أراد: أنهم هم الذين ضلوا، ومن ضم، أراد: أنهم أضلوا غيرهم، وذلك أبلغ في الضَّلال؛ لأن كلَّ مضلٍّ ضالٌّ، وليس كلُّ ضالٍّ مضلًّا[٣].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨١٨) بلفظ: «إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ يَعْنِي: مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ المَيْتَةِ، فَهُوَ الاضْطِرَارُ كُلُّهُ».

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٧)، والحجَّة (٣/ ٣٩٢)، والمبسوط (١/ ٢٠١)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٣) من قوله: (قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ليضلون)... إلى هنا، ليس في (ر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠].

قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾.

في الإثم هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الزِّنا، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. [٢٤٩/أ]

فعلى هذا في ظاهره وباطنه قولان:

أحدهما: أن ظاهره: الإعلان به، وباطنه: الاستسرار به، قاله الضَّحَّاك، والسُّدِّي.

قال الضَّحَّاك: وكانوا يرون الاستسرار بالزِّنا حلالًا.

والثَّاني: أن ظاهره نكاح المحرَّمات، كالأُمهات، والبنات، وما نكح الآباء. وباطنه: الزِّنا، قاله سعيد بن جُبَيْر.

والثَّاني: أنه عامٌّ في كلِّ إثمٍ. والمعنى: ذروا المعاصي سرَّها وعلانيتها، وهذا مذهب أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، والزَّجَّاج[١].

وقال ابن الأنباريِّ: المعنى: ذروا الإثم من جميع جهاته.

والثَّالث: أن الإثم: المعصية، إلَّا أنَّ المراد به هاهنا أمر خاصٌّ.

قال ابن زيد: ظاهره هاهنا: نزع أثوابهم، إذ كانوا يطوفون بالبيت عراة، وباطنه: الزِّنا[٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

(٢) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٣٢).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعـام: ١٢١].

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

سبب نزولها:

مجادلـة المشركـين للمؤمنـين في قولهـم: أتأكلـون ممـا قتلتـم، ولا تأكلـون مـا قتـل الله! عـلى مـا ذكرنـا في سـبب قولـه تعـالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعـام:١١٨] هـذا قـول ابـن عبَّـاسٍ(١).

وقـال عكرمـة: كتبـت فـارس إلى قريـش: إن محمـدًا وأصحابـه لا يأكلـون مـا ذبحـه الله، ويأكلـون مـا ذبحـوا لأنفسـهم، فكتـب المشركـون إلى أصحـاب النَّبـيِّ ﷺ بذلـك، فوقـع في أنفـس نـاسٍ مـن المسـلمين مـن ذلـك شيء، فنزلـت هـذه الآية(٢).

وفي المراد بما لم يُذكر اسم الله عليه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الميتة، رواه ابن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّـاني: أنـه ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾، ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ إلى قولـه تعـالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائـدة:٣] روي عـن ابـن عبَّـاسٍ.

---

(١) تقدم من رواية عكرمة، عنه.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٢١) من طريق عمرو بن دينار، به، بنحوه.

والثَّالث: أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء.

و الرَّابع: أنه عامٌّ فيما لم يسمَّ الله[١] عند ذبحه، وإلى هذا المعنى ذهب عبد الله بن يزيد الخطمي، ومحمد بن سيرين.

فصلٌ

فإن تعمَّد ترك التَّسمية فهل يباح؟

فيه عن أحمد روايتان. وإن تركها ناسيًا أُبيحت.

وقال الشَّافعي: لا يحرم في الحالين جميعًا.

وقال شيخنا علي بن عبيد الله: فإذا قلنا: إن ترك التَّسمية عمدًا يمنع الإباحة، فقد نُسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ {المائدة:٥}.

وعلى قول الشَّافعي: الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ يعني: وإنَّ أكلَ ما لم يُذكر عليه اسم الله لفسقٌ، أي: خروج عن الحقِّ والدِّين.

وفي المراد بـ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ هاهنا قولان:

أحدهما: أنهم شياطين الجنِّ، روي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: قوم من أهل فارس، وقد ذكرناه عن عكرمة. [٢٤٩/ب]

---

(١) في (ر): (أنه عامٌّ فيما لم يُذكر اسم الله).

فعلى الأوَّل: وحيهم الوسوسة، وعلى الثَّاني: وحيهم الرِّسالة.

والمراد بـ ﴿أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفار الذين جادلوا رسول الله ﷺ في ترك أكل الميتة.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم مشركو قريش.

والثَّاني: اليهود.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وأبي جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث، وحمزة لم يؤمن بَعْدُ، فأُخبر حمزةُ بما فعل أبو جهل، فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس، فقال له: أما ترى ما جاء به؟ سفَّه عقولنا، وسبَّ آلهتنا، فقال حمزة: ومن أسفهُ منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله؟! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عبَّاسٍ[1].

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢٤).

والثَّـاني: أنَّهـا نزلـت في عـمَّار بـن يـاسر، وأبي جهـل، رواه أبـو صالـح عـن ابـن عبَّـاسٍ(١)، وبـه قـال عكرمـة(٢).

والثَّالـث: في عمـر بـن الخطَّـاب، وأبي جهـل، قالـه زيـد بـن أسـلم(٣)، والضَّحَّـاك(٤).

و الرَّابع: في النَّبيِّ ﷺ، وأبي جهل، قاله مقاتل(٥).

والخامس: أنها عامَّة في كلِّ مؤمن وكافر، قاله الحسن في آخرين(٦).

وفي قوله: ﴿كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ قولان:

أحدهما: كان ضالًّا فهديناه، قاله مجاهد.

والثَّاني: كان جاهلًا، فعلَّمناه، قاله الماورديُّ(٧).

---

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٣٤) عن رجل، عن عكرمة، به.

(٣) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧٨٥٣) عـن خالـد ابـن حُمَيْـدٍ، عَمَّـنْ حَدَّثَـهُ، عَـنْ زَيْـدِ بْـنِ أَسْـلَمَ أَنَّـهُ قَـالَ فِي قَـوْلِ اللهِ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ فَدَعَـا رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَقَـالَ: «اللهُـمَّ أَعِـزَّ الإِسْـلامَ بِـأَبِي جَهْـلِ بْـنِ هِشَـامٍ أَوْ بِعُمَـرَ بْـنِ الخَطَّـابِ». قَـالَ: وَكَانَـا مَيْتَـيْنِ فِي ضَلالَتِهِـمَا، فَأَحْيَـا اللهُ عُمَـرَ بِالإِسْـلامِ، وَأَعَـزَّهُ، وَأَقَـرَّ أَبَـا جَهْـلٍ فِي ضَلالَتِـهِ وَمَوْتِـهِ، قَـالَ: فَفِيهِـمَا أُنْزِلَـتْ هَـذِهِ الآيَـةُ.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٣٣).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٦) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٤٦).

(٧) انظر: النُكت والعيون (٢/ ١٦٣).

وقرأ نافع: «ميِّتًا» بالتَّشديد[١].

قال أبو عبيدة: الميْتة، مخفَّفة: من ميِّتة، والمعنى واحد[٢].

وفي «النُّور» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الهدى، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: القرآن، قاله الحسن.

والثَّالث: العلم.

وفي قوله: ﴿يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: يهتدي به في النَّاس، قاله مقاتل[٣].

والثَّاني: يمشي به بين النَّاس إلى الجنَّة.

والثَّالث: ينشر به دينه في النَّاس، فيصير كالماشي، ذكرهما الماورديُّ[٤].

قوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾.

المثل: صلة، والمعنى: كمن هو في الظُّلمات.

وقيل: المعنى: كمن لو شُبِّه بشيء كان شبيهُه من في الظُّلمات.

وقيل: المراد بالظُّلمات هاهنا: الكفر.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٨)، والحجَّة (٣/ ٣٩٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٤٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٤) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦٣).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾.

أي: كما بقي هذا في ظلماته لا يتخلَّص منها ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الشِّرك والمعاصي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾.

أي: وكما زيَّنا للكافرين عملهم، فكذلك جعلنا في كلِّ قرية ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾، وقيل معناه: وكما جعلنا فُسَّاق مكَّة أكابرها، فكذلك جعلنا فُسَّاق كلِّ قرية أكابرها.

وإنما جعل الأكابر فُسَّاقَ كلِّ قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرِّياسة والسَّعة. [٢٥٠/أ]

وقال ابن قُتَيْبة: تقدير الآية: وكذلك جعلنا في كلِّ قرية مجرميها أكابر، و«أكابر» لا ينصرف، وهم العظماء[(١)].

قوله: ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾.

قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة، والحيلة، والفجور، والغدر، والخلاف[(٢)].

قال ابن عبَّاسٍ: ليقولوا فيها الكذب.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٩).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

قال مجاهد: أَجْلَسُوا على كلِّ طريق من طرق مكَّة أربعةً، ليصرفوا النَّاس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون للنَّاس: هذا شاعر، وكاهن(١).

قوله: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ذلك المكر بهم يحيق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾.

سبب نزولها:

أن أبا جهل قال: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشَّرف، حتى إذا صرنا كَفَرَسَيْ رِهَان، قالوا: منَّا نبيٌّ يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولا نَتَّبعه أو أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل(٢).

قال الزَّجَّاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم(٣).

وقال أبو سليمان: يعود(٤) على المجادلين في تحريم الميتة.

قال مقاتل: والآية: انشقاق القمر، والدُّخان(٥).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٨).

(٤) في (ر): (تعود).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

قال ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ قال: حتى يوحى إلينا، ويأتينا جبريل، فيخبرنا أن محمدًا صادقٌ[١].

قال الضَّحَّاك: سأل كلُّ واحد منهم أن يختصَّ بالرِّسالة والوحي[٢].

قَوْلُهُ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ بنصب التَّاء على التَّوحيد[٣].

والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل[٤]، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النُّبوَّة حقًّا لكنتُ أولى بها منك، لأني أكبرُ منك سنًّا، وأكثرُ منك مالًا، فنزل قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وقال أهل المعاني: الأبلغ في تصديق الرُّسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم، لأن الطَّعن كان يتوجَّه عليهم، فيُقال: إنما كانوا رؤساء فاتُّبِعوا، فكان الله أعلم حيث جعل الرِّسالة ليتيم أبي طالب، دون أبي جهل والوليد، وأكابر مكَّة.

قوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٩).

(٢) أورده النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٥٨).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٦)، والحجَّة (٣/ ٢٣٩)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٤) قوله: (والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل)، ليس في (ر).

قال أبو عبيدة: «الصَّغَار»: أشَدُّ الذُّلّ[١].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: هم، وإن كانوا أكابر في الدُّنيا، فسيصيبهم صغار عند الله، أي: صغار ثابت لهم عند الله[٢].

وجائز أن يكون المعنى: سيصيبهم عند الله صغار.

وقال الفرَّاء: معناه: صغار من عند الله، فحذفت «مِنْ»[٣].

وقال أبو رَوق: صغار في الدُّنيا، وعذاب شديد في الآخرة[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾.

قال مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل[٥].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٣).

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٨٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٨) وفيه: «﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ لدينه ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ نزلت في النَّبيِّ ﷺ يعني يوسع قلبه ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ عن دينه ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتَّوحيد يعني أبا جهل حتَّى لا يجد التَّوحيد من الضيق مجازًا».

قوله: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾.

قال ابنُ الأعرابيِّ: الشَّرح: الفتح(١).

قال ابن قُتَيْبة: ومنه يقال: شرحتُ لك الأمر، وشرحتُ اللَّحم: إذا [٢٥٠/ب] فتحتَه(٢).

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ أي: يوسعْ قلبه للتَّوحيد والإيمان(٣).

وقد روى ابن مسعود أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشَّرح؟ قال: «نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ، فَيَنْفَتِحُ الْقَلْبُ». قالوا: فهل لذلك من أمارة؟ قال: «نَعَمْ». قيل: وما هي؟ قال: «الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»(٤).

قوله: ﴿ضَيِّقًا﴾.

قرأ الأكثرون بالتَّشديد.

وقرأ ابن كثير: «ضَيْقًا»، وفي «الفرقان»: «مَكَانًا ضَيْقًا». بتسكين الياء خفيفة.

---

(١) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٣٢٠)، والبحر المحيط (٤/ ٦٢١).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٧٤) من طريق عكرمة، به.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣١٥)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٤٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٦٨)، وفي القضاء والقدر (٣٨٩) من طرق لا تسلم من ضعف عن عبد الله بن مسعود ﷺ، به، بنحوه.

قال أبو عليٍّ: الضَّيِّق، والضَّيْق: مثل المَيِّت، والمَيْت[(١)].

قوله: ﴿حَرَجًا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء.

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الراء[(٢)].

قال الفرَّاء: وهما لغتان[(٣)].

وكذلك قال يونس بن حبيب النَّحْوي: هما لغتان. إلا أن الفتح أكثر على ألسنة العرب من الكسر، ومجراهما مجرى الدَّنَفِ والدَّنِفَ.

وقال الزَّجَّاج: الحرج في اللُّغة: أضيق الضِّيق[(٤)].

قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾.

قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بتشديد الصاد والعين وفتح الصَّاد من غير ألف.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يصَّاعد» بتشديد الصَّاد وبعدها ألف.

وقرأ ابن كثير: «يَصْعَد» بتخفيف الصَّاد والعين من غير ألف والصَّاد ساكنة[(٥)].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٨)، والحجَّة (٣/ ٣٩٩ـ ٤٠٠)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٠).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٨ـ ٢٦٩)، والحجَّة (٣/ ٤٠١ـ ٤٠٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٦ـ ١٠٧).

وقرأ ابن مسعود، وطلحة: «تصْعَدُ»[(١)] بتاء من غير ألف[(٢)].

وقرأ أُبيٌّ بن كعب: « يتَصَاعَد » بألف وتاء[(٣)].

قال الزَّجَّاج: قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وَ«يصَّاعَدُ»[(٤)]، أصله[(٥)]: «يَتَصَاعَدُ»، و«يَتَصَعَّدُ»، إلا أن التاء تدغم في الصَّاد لقربها منها، والمعنى كأنه قد كُلِّف أن يَصْعَدَ إلى السَّماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأن قلبه يصعد في السَّماء نُبُوًّا عن الإسلام والحكمة[(٦)].

وقال الفرَّاء: ضاق عليه المذهب، فلم يجد إلا أن يصعد في السَّماء، وليس يقدر على ذلك[(٧)].

وقال أبو عليٍّ: «يَصَّعَّد» و«يَصَّاعد»: من المشقة، وصعوبة الشيء، ومنه قول عمر: ما تَصَعَّدني شيء كما تصعَّدتني[(٨)] خطبة النِّكاح، أي: ما شقَّ عليَّ شيء مشقَّتها[(٩)].

---

(١) في (ر): (يتصعَّد).

(٢) في المصاحف؛ لابن أبي داود (١/ ١٧٦).

(٣) في معاني القراءات (١/ ٣٨٥)، وحجة القراءات (١/ ٢٧١) بلا نسبة.

(٤) من قوله: (قال الزجاج)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) في (ر): (وأصله).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٠).

(٧) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٤).

(٨) في (ر): (ما يصعد في شيء كما تصعدني).

(٩) انظر: الحجَّة (٣/ ٤٠٤).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك.

﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ وفيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه الشَّيطان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ. يعني: أن الله يسلِّطه عليهم.

والثَّاني: أنه المأثم، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد.

و الرَّابع: العذاب، قاله عطاء، وابن زيد، وأبو عبيدة[(١)].

[٢٥١/أ] **والخامس**: أنه اللَّعنة في الدُّنيا والعذاب في الآخرة، قاله الزَّجَّاج[(٢)].

وهذه الآية تقطع كلام القَدَريَّة، إذ قد صرَّحت بأن الهداية والإضلال متعلِّقة بإرادة الله تعالى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦].

قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن مسعود.

والثَّاني: التَّوحيد، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٠).

والثَّالث: ما هو[1] عليه من الدِّين، قاله عطاء.

ومعنى استقامته: أنه يؤدِّي بسالكه إلى الفوز.

قال مَكِّي بن أبي طالب: و﴿مُسْتَقِيمًا﴾: نصب على الحال من ﴿صِرَاطُ﴾، وهذه الحال يقال لها: الحال المؤكدة، لأن صراط الله، لا يكون إلا مستقيمًا، ولم يؤت بها لتفرِّق بين حالتين، إذ لا يتغيَّر صراط الله عن الاستقامة أبدًا، وليست هذه الحال كالحال من قولك: هذا زيد راكبًا. لأن زيدًا قد يخلو من الرُّكوب[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٧].

قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعني الجنَّة.

وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن السَّلام، هو الله، وهي داره، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي.

والثَّاني: أنها دار السَّلامة التي لا تنقطع، قاله الزَّجَّاج[3].

والثَّالث: أن تحية أهلها فيها السَّلام، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

والرَّابع: أن جميع حالاتها مقرونة بالسَّلام، ففي ابتداء دخولهم: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ [الحجر:٤٦]، وبعد استقرارهم: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾ [الواقعة:٢٦]، وعند لقاء الله تعالى ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس:٥٨]، وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ ﴾ [الأحزاب:٤٤].

ومعنى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ أي: مضمونة لهم عنده، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ أي: متولِّي إيصال المنافع إليهم، ودفع المضارِّ عنهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ من الطَّاعات.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني الجنَّ والإنس.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ ﴾ بالياء[1].

قال أبو سليمان: يعني: المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة لكم فيما حرَّمه الله من الميتة.

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٩)، والحجَّة (٣/ ٤٠٦)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾.

فيه إضمار تقديره[١]: فيُقال لهم: يا معشر الجنِّ[٢]، والمعشر[٣]: الجماعة أمرهم واحد، والجمع: المعاشر.

وقوله: ﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أي: من إغوائهم وإضلالهم.

﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ يعني الذين أضلَّهم الجنُّ.

﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن استمتاع الإنس بالجنِّ: أنهم كانوا إذا سافروا، فنزلوا واديًا، وأرادوا مبيتًا، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شرِّ أهله، واستمتاع الجنِّ بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قومهم، ويقولون: قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، [٢٥١/ب] وبه قال مقاتل، والفرَّاء[٤][٥].

والثَّاني: أن استمتاع الجنِّ بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغرُّونهم به من الضَّلالة والكفر والمعاصي. واستمتاع الإنس بالجنِّ[٦]: أن الجنَّ زَيَّنَتْ لهم

---

(١) ليست في (ف).

(٢) زيد في (ر): (والإنس).

(٣) في (ر): (المعشر) بدون واو.

(٤) قوله: (والفراء)، ليس في (ر).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٨)، ومعاني القرآن (١/ ٣٥٤).

(٦) في (ر): (والجن).

الأمور الَّتي يهتوونَها ويشتهونها[(١)] إليهم حتى سهل عليهم فعلها، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال محمد بن كعب، والزَّجَّاج[(٢)].

والثَّالث: أن استمتاع الجنِّ بالإنس: إغواؤهم إيَّاهم. واستمتاع الإنس بالجنِّ: ما يتلقَّون منهم من السِّحر والكهانة ونحو ذلك.

والمراد بالجنِّ في هذه[(٣)] الآية: الشَّياطين.

قوله: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: الموت، قاله الحسن، والسُّدِّي.

والثَّاني: الحشر، ذكره الماورديُّ[(٤)].

قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: المثوى: المقام، و﴿خَٰلِدِينَ﴾ منصوب على الحال[(٥)].

المعنى: النَّار مقامكم في حال خلود دائم، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هو استثناء من يوم القيامة، والمعنى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ مُذْ يبعثون ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومدَّتهم في محاسبتهم.

---

(١) في (ف)، و(ر): (يهونها وشهوها).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

(٣) في (ر): (وهذه) بدلاً من: (في هذه).

(٤) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

ويجوز أن تكون ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يزيدهم من العذاب.

وقال بعضهم: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من كونهم في الدُّنيا بغير عذاب.

وقيل في هذا غير قول، ستجدها مشروحةً في «هود» إن شاء الله تعالى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾.

في معناه أربعة أقوال:

أحدها: جعل بعضهم أولياء بعض، رواه سعيد عن قتادة.

والثَّاني: نُتْبِعُ بعضهم بعضًا في النَّار بأعمالهم من الموالاة، وهي المتابعة، رواه معمر عن قتادة.

والثَّالث: يُسلَّط بعضُهم على بعض، قاله ابن زيد.

و الرَّابع: نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم، ذكره الماورديُّ(١).

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: من المعاصي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

---

(١) انظر: النُكت والعيون (٢/ ١٦٩).

قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾.

قرأ الحسن، وقتادة: ﴿تَأْتِكُمْ﴾[1] بالتاء[2].

﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾

واختلفوا في الرِّسالة إلى الجنِّ على أربعة أقوال:

أحدها: أن الرُّسل كانت تبعث إلى الإِنس خاصَّة، وأن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ إلى الإِنس والجنِّ، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أن رسل الجنِّ، هم الذين سمعوا القرآن، فولَّوا إلى قومهم منذرين، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

وقال مجاهد: الرُّسل من الإِنس، والنُّذر من الجنِّ، وهم قوم يسمعون كلام الرُّسل، فيبلِّغون الجنَّ ما سمعوا[3].

والثَّالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلًا منهم، كما بعث إلى الإِنس رسلًا منهم، قاله الضَّحَّاك[4]، ومقاتل[5]، وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام.

والرَّابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلًا منهم، وإنما جاءتهم رسل [٢٥٢/أ]

---

(١) قوله: (قرأ الحسن)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) في التَّحصيل (١/ ٦٧٩) عن الحسن، وابن هرمز.

(٣) انظر: الكشف والبيان (٤/ ١٩١)، والتفسير الوسيط (٢/ ٣٢٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٦٠) من رواية عبيد بن سليمان، به.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٩).

الإِنـس، قالـه ابـن جُرَيْـج، والفـرَّاء، والزَّجَّاج(١).

قالـوا: ولا يكـون الجمـع في قولـه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ مانعًـا أن تكـون الرُّسـل مـن أحـد الفريقـين، كقولـه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]، وإنـما هـو خـارج مـن المِلْـح وحـده.

وفي دخول الجنِّ الجنَّة إذا آمنوا قولان:

أحدهما: يدخلونها، ويأكلون ويشربون، قاله الضَّحَّاك.

والثَّـاني: [أنَّ](٢) ثوابهـم أن يُجـاروا مـن النَّـار ويصـيروا ترابًا، رواه سـفيان عـن ليث.

قوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: يقرءون عليكم كتبي، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ أي: يخوِّفونكم بيوم القيامة.

وفي قوله: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ قولان:

أحدهما: أقررنا على أنفسنا بإنذار الرُّسل لنا(٣).

والثَّاني: شهد بعضنا على بعض بإنذار الرُّسل إياهم.

ثـم أخبرنـا الله تعـالى بحالهـم، فقـال: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بزينتهـا وإمهالهـم فيهـا ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أقـرُّوا أنهم كانـوا في الدُّنيـا كافرين.

---

(١) انظـر: تفسـير ابـن جريـر الطَّـبري (٩/ ٥٦١)، ومعـاني القـرآن (١/ ٣٥٤)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه (٢/ ٢٩٢).

(٢) زيادة من (ر).

(٣) ليست في (ف).

وقال مقاتل: ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشِّرك والكفر(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [الأنعام: ١٣١].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل، وأمر عذاب من كذَّب، لأنه لم يكن ربُّك مهلك القرى بظلم، أي: لا يهلكهم حتى يبعث إليهم رسولاً(٢).

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لم يأتهم رسول(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: لكلِّ عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات، أي: منازل يبلغها بعمله، إن كان خيرًا فخيرًا، وإن كان شرًّا فشرًّا.

وإنما سمِّيت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدَّرج.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٣).

(٣) انظر: تفسير الوسيط (٢/ ٣٢٤).

قوله: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

قرأ الجمهور بالياء.

وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: ١٣٣، ١٣٤].

قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ يريد: الغني عن خلقه.

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: بأوليائه وأهل طاعته[٢].

وقال غيره: بالكلِّ.

ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك وقيل: هذا الوعيد لأهل مكَّة.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ أي: ابتدأكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ يعني: آباءهم الماضين.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ به من مجيء السَّعة والحشر ﴿لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ١٦١)، والحجَّة (٣/ ٤٠٩)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٢٤).

قال أبو عبيدة: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ١٣٥].

قوله: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ على الجمع[٢].

[٢٥٢/ب] قال ابن قُتَيْبة: أي: على موضعكم، يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة[٣].

وقال الزَّجَّاج: اعملوا على تمكُّنكم.

قال: ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه. تقول للرَّجل إذا أمرته أن يثبت على حال: كن على مكانتك[٤].

قوله: ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ أي: عامل ما أمرني به ربِّي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿مَن تَكُونُ﴾ بالتاء.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القراءات (١/ ٣٨٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٣)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٣).

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: بالياء[١]. وكذلك خلافهم في «القصص».

ووجه التَّأنيث: للَّفظ، ووجه التَّذكير: أنه ليس بتأنيث حقيقي.

و﴿عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: الجنَّة. و﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ هاهنا: المشركون.

فإن قيل: ظاهر هذه الآية أمرهم بالإقامة على ما هم عليه، وذلك لا يجوز؟

فالجواب: أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد، فكأنه قال: أقيموا[٢] على ما أنتم عليه، إن رضيتم بالعذاب، قاله الزَّجَّاج[٣].

فصلٌ

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أن المراد بها التَّهديد؛ فعلى هذا هي محكمة.

والثَّاني: أن المراد بها ترك القتال، فعلى هذا هي منسوخة بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٠)، والحجَّة (٣/ ٤٠٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) من قوله: (أن معنى هذا الأمر)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤).

قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: ﴿ذَرَأَ﴾ بمعنى خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ وهو الزَّرع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم، وكانوا إذا زرعوا، خطُّوا خطًّا، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حصدوا ما جعلوه لله، فوقع منه شيء فيما جعلوه لآلهتهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة، وإذا حصدوا ما جعلوه لآلهتهم، فوقع منه شيء في مال الله، أعادوه إلى موضعه. وكانوا يجعلون من الأنعام شيئًا لله؛ فإذا ولدت إناثها ميتًا أكلوه، وإذا ولدت أنعام آلهتهم ميتًا عظَّموه فلم يأكلوه(١).

وقال الزَّجَّاج: معنى الآية: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ وجعلوا لشركائهم نصيبًا، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾، فدلَّ بالإشارة إلى النَّصيبين على نصيب الشُّركاء، وكانوا إذا زكا ما لله، ولم يزكُ ما لشركائهم، ردُّوا الزَّاكي على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غنيٌّ، وإذا زكا ما للأصنام، ولم يزكُ ما لله، أقرُّوه على ما به(٢).

قال المفسِّرون: وكانوا يَصرفون ما جعلوا لله إلى الضِّيفان والمساكين.

فمعنى قوله: ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى هؤلاء. ويصرفون نصيب آلهتهم في الزَّرع إلى النَّفقة على خُدَّامها.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

فأما نصيبها في الأنعام ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان للنَّفقة عليها أيضًا.

والثَّاني: أنهم كانوا يتقرَّبون به، فيذبحونه لها.

والثَّالث: أنه البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام. [٢٥٣/أ]

وقال الحسن: كان إذا هلك ما لأوثانهم غَرِموه، وإذا هلك ما لله لم يَغْرَمُوه[١].

وقال ابن زيد: كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان[٢].

فأما قوله: ﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾.

فقرأ الجمهور: بفتح الزَّاي.

وقرأ الكِسَائِي، والأعمش: بضمِّها[٣].

وفي الزَّعْمِ ثلاث لغات:

ضم الزَّاي، وفتحها، وكسرها. ومثله: السُّقْط، والسَّقْط، والسِّقْط[٤]، والفَتْك والفُتْك، والفِتْك، والزَّعم، والزُّعم، والزِّعم.

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٧٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٠)، والحجَّة (٣/ ٤٠٩)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

(٤) ليست في (ر).

قال الفرَّاء: فتح الزاي في الزَّعم، لأهل الحجاز وضمها لأسد وكسرها لبعض قيس فيما يحكي[(١)] الكِسَائِي[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٧].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح فيما قسموا بالجهل زيَّن.

قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يكون ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مستأنفًا، غير مشارٍ به إلى ما قبله، فيكون المعنى: وهكذا زيَّن.

وقرأ الجمهور: ﴿زَيَّنَ﴾ بفتح الزَّاي والياء، ونصب اللام من ﴿قَتْلَ﴾، وكسر الدَّال من ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾، ورفع «الشُّركاء». ووجه هذه القراءة ظاهر.

وقرأ ابن عامر: بضم زاي «زُيِّن»، ورفع اللام[(٣)]، ونصب الدال من «أولادَهم»، وخفض «الشُّركاء».

قال أبو عليٍّ: ومعناها: قتلُ شركائهم أولادَهمُ؛ ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهذا قبيح، قليل في الاستعمال[(٤)].

---

(١) في (ف)، و(ر): (حكى).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٦).

(٣) يعني: اللام من (قتلُ)

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٤٠٩ـ ٤١٠)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، والحسن: «زُيِّن» بالرفع، «قتلُ» بالرفع أيضًا، «أولادِهم» بالجرِّ، «شركاؤُهم» رفعًا[١].

قال الفرَّاء: رفع القتل إذا لم يسمَّ فاعله، ورفع الشُّركاء بفعل نواه، كأنه قال: زيَّنه لهم شركاؤهم[٢].

وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة كأنه قيل: مَن زيَّنه؟ فقال: شركاؤهم.

قال مَكِّي بن أبي طالب: وقد روي عن ابن عامر أيضًا أنه قرأ بضم الزاي، ورفع اللام، وخفض الأولاد والشُّركاء؛ فيصير الشُّركاء اسمًا للأولاد، لمشاركتهم للآباء في النَّسب والميراث والدِّين[٣].

وللمفسِّرين في المراد بشركائهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الشَّياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

والثَّاني: شركاؤهم في الشِّرك، قاله قتادة.

والثَّالث: قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفرَّاء، والزَّجَّاج[٤].

والرَّابع: أنهم الغُواة من النَّاس، ذكره الماورديُّ. وإنما أضيف الشُّركاء إليهم، لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، عن علي بن أبي طالب، وفي التَّحصيل (١/ ٦٨٠) عن الحسن، والسُّلمي.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٨).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٤).

وفي الذي زيَّنوه لهم من قتل أولادهم قولان:

أحدهما: أنه وأد البنات أحياءً خيفة الفقر، قاله مجاهد.

والثَّاني: أنه كان يحلف أحدهم أنه إن وُلد له كذا وكذا غلامًا أن [٢٥٣/ب] ينحر أحدهم، كما حلف عبد المطَّلب في نحر عبد الله، قاله ابن السَّائب، ومقاتل[1].

قوله: ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ أي: ليهلكوهم.

وفي هذه اللام قولان:

أحدهما: أنها لام «كي».

والثَّاني: أنها لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوًّا﴾ {القصص:٨} أي: آل أمرهم إلى الرَّدى، لا أنهم قصدوا ذلك.

قوله: ﴿وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡ﴾ أي: ليخلطوا.

قال ابن عبَّاسٍ: ليُدخلوا عليهم الشَّكَّ في دينهم، وكانوا على دين إسماعيل، فرجعوا عنه بتزيين الشَّياطين[2].

قوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: كان أهل الجاهليَّة إذا دفنوا بناتهم قالوا: إن الله أمرنا بذلك فقال: ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ أي: يكذبون وهذا تهديد ووعيد، فهو محكم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٢).

(٢) أورده الواحدي في تفسيره (٢/ ٣٢٨).

وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨].

قوله: **﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾**.

«الحرث»: الزَّرع، و«الحِجر»: الحرام، والمعنى: أنهم حرَّموا أنعامًا وحرثًا جعلوه لأصنامهم.

قال ابن قُتَيْبة: وإنما قيل للحرام: حِجر، لأنه حُجر على النَّاس أن يصيبوه(١).

وقرأ الحسن، وقتادة: «حُجْر» بضم الحاء(٢).

قال الفرَّاء: يقال: حِجْر، وحُجْر، بكسر الحاء وضمِّها، وهي في قراءة ابن مسعود: «حرْجٌ»(٣)، مثل: «جذب» و«جبذ»(٤).

وفي هذه الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان:

أحدهما: أنها البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦١).

(٢) في إعراب القرآن؛ للنَّحَّاس (٢/ ٣٤)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٨٠)، وزاد أبا رجاء، والكامل (١/ ٥٤٨) وزاد عبد الوهاب، عن أبي عمرو.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) أُبي بن كعب فقط، وفي المحتسب (١/ ٢٣١)، والمحرَّر الوجيز (٢/ ٣٥١) أُبي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير، والأعمش، وعكرمة، وعمرو بن دينار.

(٤) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٣).

والثَّاني: أنها الذَّبائح [التي][1] للأوثان[2]، وقد سبق ذكرهما.

قوله: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد.

وفيمن أطلقوا له تناولها قولان:

أحدهما: أنهم منعوا منها النِّساء، وجعلوها للرِّجال، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: عكسه، قاله ابن زيد.

قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ أن هذا التَّحريم زعم منهم، لا حجَّة فيه ولا برهان[3].

وفي قوله: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ **ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنها الحام، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: البحيرة، كانوا لا يحجُّون عليها، قاله أبو وائل.

والثَّالث: البحيرة، والسَّائبة، والحام، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

هي قربان آلهتهم، يذكرون عليها اسم الأوثان خاصَّة.

وقال أبو وائل: هي التي كانوا لا يحجُّون عليها[4].

---

(١) من (ر).

(٢) في (ر): (الأوثان).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٨٢).

وقد ذكرنا هذا عنه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾، فعلى قوله، الصِّفتان لموصوف واحد.

وقال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء، لا إن ركبوا، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن نتجوا[1].

وفي قوله: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ قولان:

أحدهما: أن ذكر أسماء أوثانهم وترك ذكر الله، هو الافتراء.

والثَّاني: أن إضافتهم ذلك إلى الله تعالى، هو الافتراء؛ لأنهم كانوا [٢٥٤/أ] يقولون: هو حرَّم ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٩].

قوله: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

يعني بالأنعام: المحرَّمات عندهم، من البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة.

وللمفسِّرين في المراد بما في بطونها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللَّبن، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة.

والثَّاني: الأجنَّة، قاله مجاهد.

والثَّالث: الولد واللَّبن، قاله السُّدِّي، ومقاتل.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٨٣) من طريق ابن جُرَيْج، به.

قوله: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾.

قرأ الجمهور: «خالِصَةٌ» على لفظ التَّأنيث[١].

وفيها أربعة أوجه:

أحدها: أنه إنما أُنِّث[٢]، لأن الأنعام مؤنَّثة، وما في بطونها مثلها، قاله الفرَّاء[٣].

والثَّاني: أن معنى «ما» التَّأنيث، لأنها في معنى الجماعة، فكأنه قال: جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة، قاله الزَّجَّاج[٤].

والثَّالث: أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف، كما قالوا: «علَّامة» و«نسَّابة».

و الرَّابع: أنه أُجري مجرى المصادر التي تكون بلفظ التَّأنيث عن الأسماء المذكَّرة، كقولك: عطاؤك عافية، والرُّخص نعمة، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والضَّحَّاك، والأعمش، وابن أبي عبلة: «خالصٌ» بالرفع، من غير هاء[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٣)، والتَّيسير (١/ ١٠٩).

(٢) في (ر): (أثبت).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤ـ٢٩٥).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن ابن عباس، وفي المحتسب (١/ ٢٣٢) عن ابن عباس وابن مسعود والأعمش بخلاف، وفي إعراب القرآن (٢/ ٣٤) عن الأعمش، وفي التَّحصيل (١/ ٦٨١) ابن مسعود، وابن عباس.

قال الفرَّاء: وإنما ذُكِّر لتذكير «ما»(١).

وقرأ ابن عبَّاسٍ، وأبو رزين، وعكرمة، وابن يعمر: «خالصُهُ» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكَّر(٢).

قال الزَّجَّاج: والمعنى: ما خلص حيًّا(٣).

وقرأ قتادة: «خالصةً» بالنَّصب(٤).

فأما «الذُّكور» فهم الرِّجال، و«الأزواج»: النِّساء.

قوله: ﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً﴾.

قرأ الأكثرون: ﴿يَكُن﴾ بالياء، ﴿مَّيۡتَةً﴾ بالنَّصب، وذلك مردودٌ على لفظ «ما». والمعنى: وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة.

وقرأ ابن كثير: ﴿يَكُن﴾ بالياء، «ميتةٌ» بالرفع.

ووافقه ابن عامر في رفع «الميتة» غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإن تحدث وتقع؛ فجعل «كان»: تامة لا تحتاج إلى خبر.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٨).

(٢) ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، والتَّحصيل (١/ ٦٨١)، وفي المحتسب (١/ ٢٣٢) ابن عباس بخلاف، والزُّهري، والأعمش، وأبو طالوت، وفي الكامل (١/ ٥٤٩) قرأ الشيزري، والأنطاكي عن أبي جعفر، والأصمعي عن نافع، وابن مِقْسَمٍ، وأبو حيوة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٤) في المحتسب (١/ ٢٣٢)، ابن عباس بخلاف، والأعرج، وقتادة، وسفيان بن حسين، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن الزُّهري، وفي التَّحصيل (١/ ٦٨١) قتادة وابن هرمز.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء، «ميتةً» بالنَّصب[١].
والمعنى: وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة.

قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ يعني الرِّجال والنِّساء.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠].

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قتَّلوا» بالتَّشديد[٣].

قال ابن عبَّاسٍ: نزلت في ربيعة، ومضر، والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياءً في الجاهليَّة من العرب[٤].

وقال قتادة: كان أهل الجاهليَّة يقْتل أحدهم بنته مخافة السَّبْي والْفَاقَةِ، وَيَغْذُو كَلْبَهُ[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٠ـ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٤ـ ٤١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٤).

(٤) في الكشف والبيان؛ للثَّعلبي (٤/ ١٩٦) بلا نسبة.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم (٧٩٤٣) في تفسيرهما من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

قال الزَّجَّاج: وقوله: «سفهًا» منصوب على معنى اللام. تقديره: للسَّفه تقول: فعلت ذلك حذر الشَّرِّ(١).

وقرأ ابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري، ومعاذ القارئ: «سُفَهاءً» برفع [٢٥٤/ب] السِّين وفتح الفاء والهمزة بالمدِّ وبالنَّصب والهمز(٢).

قوله: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾.

أي: كانوا يفعلون ذلك للسَّفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرَّموا ما رزقهم الله من الأنعام والحرث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض، فانتشر مما يعرَّش، كالكرم، والقرع، والبِطيخ. وغير معروشات: ما قام على ساق، كالنَّخل، والزَّرع، وسائر الأشجار.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، والبحر المحيط (٤/ ٦٦٣) عن اليماني.

والثَّاني: أن المعروشات: ما أنبته النَّاس. وغير معروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثِّمار، رُويا عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أن المعروشات، وغير المعروشات: الكرم، منه ما عُرِّش، ومنه ما لم يُعرَّش، قاله الضَّحَّاك.

و الرَّابع: أن المعروشات: الكروم التي قد عُرِّش عنبها، وغير المعروشات: سائر الشَّجر الذي لا يعرَّش، قاله أبو عبيدة(١).

و«**الأُكُل**»: الثَّمر.

﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ قد سبق تفسيره.

قوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾.

هذا أمر إباحة وقيل: إنما قدَّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها.

قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾.

قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكِسَائِي: بكسرها، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفرَّاء(٢).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٧).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٣)، والسَّبعة (١/ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٦)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

وفي المراد بهذا الحقِّ قولان:

أحدهما: أنه الزَّكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عبَّاسٍ، وسعيد بن المسيَّب، والحسن، وطاوس، وجابر بن زيد، وابن الحنفيَّة، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، الآية محكمة.

والثَّاني: أنه حقٌّ غير الزَّكاة فُرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزَّرع والثَّمر، قاله عطاء، ومجاهد.

وهل نُسخ ذلك، أم لا؟

إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزَّكاة، وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقي الحكم.

فإن قيل: هل يجب إيتاء الحقِّ يوم الحصاد؟

فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد، وإن قلنا: إنه الزَّكاة؛ فقد ذكرنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النَّخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما الزُّروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد؛ فيؤخَّر إلى زمان التَّنقية، ذكره بعض السَّلف.

والثَّاني: أن اليوم ظرف للحقِّ، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقَّه الذي وجب يوم حصاده بعد التَّنقية.

[٢٥٥/أ] والثَّالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحقَّ لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحقَّ يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى.

وفي قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ ستة أقوال:

أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزَّكاة إلى حدٍّ يُجحف به، قاله أبو العالية، وابن جُرَيْج.

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ: أن ثابت بن قيس بن شمَّاس صَرَمَ خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئًا، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(١).

والثَّاني: أن الإسراف: منع الصَّدقة الواجبة، قاله سعيد بن المسيَّب.

والثَّالث: أنه الإنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزُّهري.

و الرَّابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطيَّة، وابن السَّائب.

والخامس: أنه خطاب للسُّلطان لئلَّا يأخذ فوق الواجب من الصَّدقة، قاله ابن زيد.

والسَّادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزَّكاة، قاله ابن بحر.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥١٦) من قول ابن جُرَيْج.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام: ١٤٢].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ هذا نسق على ما قبله، والمعنى: أنشأ جنَّاتٍ، وأنشأ حمولة وفرشًا.

وفي ذلك خمسة أقوال:

أحدها: أن «الحمولة»: ما حمل من الإبل، و«الفرشَ»: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قُتَيْبة[١].

والثَّاني: أن «الحمولة»: ما انتفعت بظهورها، و«الفرش»: الرَّاعية، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ[٢].

والثَّالث: أن[٣] «الحمولة»: الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحمَل عليه. و«الفرش»: الغنم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

و الرَّابع: «الحمولة»: من الإبل. و«الفرش»: من الغنم، قاله الضَّحَّاك.

والخامس: «الحمولة»: الإبل، والبقر. و«الفرش»: الغنم، وما لا يحمل عليه من الإبل، قاله قتادة.

وقرأ عكرمة، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء: «حُمولة» بضم الحاء[٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) في (ر): (عن ابن عمران)!.

(٣) ليست في (ف)، و(ر).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن عيسى، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥١٧)=

قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: لا تحرِّموا ما حرَّمتم مما جرى ذكره، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طرقه[1].

قال: وقوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾. والزَّوج في اللُّغة: الواحد الذي يكون معه آخر.

قلت: وهذا كلام يفتقر إلى تمام، وهو أن يقال: الزَّوج: ما كان معه آخر[2] من جنسه، فحينئذ يقال لكلٍّ واحد منهما: زوج.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

قوله: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾.

﴿الضَّأْنِ﴾[3]: ذوات الصُّوف من الغنم، و﴿الْمَعْزِ﴾: ذوات الشَّعر منها.

=ويقرأ بالضم، وهو جمعُ حمل، وفيه حذف مضاف تقديره: ومن الأنعام ذوات حمولةٍ.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨).

(٢) من قوله: (قلت: وهذا كلام يفتقر)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) ليست في (ر).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: من «المَعَز» بفتح العين.

وقرأ نافع، وحمزة، وعاصم، والكِسَائِي: بتسكين العين(١).

والمراد بـ ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: الذَّكر والأنثى.

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضَّأن والمعز(٢) حرَّم الله عليكم أمِ [٢٥٥/ب] ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منها؟ المعنى: فإن كان ما حرَّم الله عليكم الذَّكرين. فكل الذُّكور حرام، وإن كان حرَّم الأنثيين، فكلُّ الإناث حرام، وإن كان حرَّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فهي تشتمل على الذُّكور، وتشتمل على الإناث(٣)، وتشتمل على الذُّكور والإناث، فيكون كلُّ جنين حرامًا.

وقال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: ألِحَقَكم التَّحريم من جهة الذَّكرين، أم من جهة الأنثيين؟ فإن قالوا: من جهة الذَّكرين حَرُم عليهم كلُّ ذكر، وإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كلُّ أُنثى، وإن قالوا: من جهة الرَّحم، حَرُمَ عليهم الذَّكر والأنثى.

وقال ابن جرير الطَّبري: إن قالوا: حَرَّم الذَّكرين، أوجبوا تحريم كلِّ ذكر من الضَّأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض الذُّكران منها وظهوره، وفي ذلك فساد دعواهم. وإن قالوا: حرَّم الأنثيين، أوجبوا تحريم لحوم كلِّ أُنثى من ولد الضَّأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) ليست في (ر).

(٣) قوله: (وتشتمل على الإناث)، ليس في (ر).

بعض ذلك وظهوره. وإن قالوا: ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها[١].

قال المفسِّرون: فاحتجَّ الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها، لأنهم كانوا يحرِّمون أجناسًا من النَّعَم[٢]، بعضها على الرِّجال والنِّساء، وبعضها على النِّساء دون الرِّجال.

وفي قوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

إبطال لما حرَّموه من البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام.

وفي قوله: ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إبطال قولهم: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾.

قوله: ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: فسِّروا ما حرَّمتم بعلم، أي: أنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتاب[٣].

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: هل شاهدتم الله قد حرَّم هذا، إذا كنتم لا تؤمنون برسول؟.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٢٥).

(٢) في الأصل: (الغنم)، والمثبت من (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٩).

قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد عمرو بن لُحَيٍّ، ومن جاء بعده[١].

والظَّالمون هاهنا: المشركون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قوله: ﴿لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾.

نبَّههم بهذا على أن التَّحريم والتَّحليل، إنما يثبت بالوحي.

وقال طاوس[٢]، ومجاهد[٣]: معنى الآية: لا أجد محرَّمًا مما كنتم تستحلُّون في الجاهليَّة إلَّا هذا.

والمراد بالطَّاعم: الآكل.

﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلَّا أن يكون المأكول ميتة.

قرأ ابن كثير، وحمزة: «﴿إِلَّا أَن يَكُونَ﴾ بالياء، ﴿مَيْتَةً﴾ نصبًا.

وقرأ ابن عامر: «إلَّا أن تكون» بالتاء، «ميتةٌ» بالرفع[٤]. على معنى: [٢٥٦/أ] إلا أن تقع ميتةٌ، أو تحدث ميتةٌ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٣١).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم (٨٠٠١) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٣٣).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ١٩٣)، والحجَّة (٣/ ٤٢٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ قال قتادة: إنما حُرِّمَ المسفوحُ. فأما اللَّحم إذا خالطه دم، فلا بأس به(١).

وقال الزَّجَّاج: المسفوح: المصْبُوب(٢).

وكانوا إذا ذَكَّوا يأكلون الدَّم كما يأكلون اللَّحم.

و«الرِّجس»: اسم لما يُستقذَر، والعذاب(٣).

﴿أَوۡ فِسۡقًا﴾ المعنى: أو أن يكون المأكول فسقًا.

﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: رُفع الصَّوت على ذبحه باسم غير الله، فسُمِّي ما ذُكر عليه غير اسم الله فسقًا.

و«الفسق»: الخروج من الدِّين.

فصلٌ

اختلف علماء النَّاسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة.

ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النَّسخ.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/ ٧٠)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٣٤)، وابن أبي حاتم (٨٠١٣) في تفاسيرهم، من طريق معمر، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٠).

(٣) في (ر): (وللعذاب).

والثَّاني: أنها جاءت جوابًا عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السُّؤال، ثم حُرِّم بعد ذلك ما حُرِّم.

والثَّالث: أنه ليس في الحيوان محرَّم إلا ما ذُكر فيها.

والقول الثَّاني: أنها منسوخة بما ذُكر في «المائدة» من المنخنقة والموقوذة، وفي السُّنَّةِ من تحريم[1] الحُمُر الأهليَّة، وكلِّ ذي ناب من السِّباع، ومخلب من الطَّير.

وقيل: إن آية «المائدة» داخلة في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلَّها ميتة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦].

قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾.

وقرأ الحسن، والأعمش: «ظُفْرٍ» بسكون الفاء[2].

وهذا التَّحريم تحريم بلوى وعقوبة.

وفي «ذي الظُّفر» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، والنَّعام، والإوزِّ، والبطِّ، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن جُبَيْر، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

---

(١) قوله: (من تحريم)، ليس في (ر).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٧)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٨٢) عن الحسن، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٦٧٧) أُبي بن كعب، والأعرج.

والثَّاني: أنه[1] الإبل فقط، قاله ابن زيد.

والثَّالث: كلُّ ذي حافر من الدَّوابِّ، ومخلب من الطَّير، قاله ابن قُتَيْبة.

قال: وسمي الحافر ظفرًا على الاستعارة، والعرب تجعل الحافر والأظلاف موضع القدم، استعارة.

وأنشدوا[2][من الطويل]:

سَأمْنَعُها أوْ سَوْفَ أجْعَلُ أمْرَهَا ... إلى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ

أراد قدميه، وإنما الأظلاف للشَّاء والبقر[3].

قال ابن الأنباريِّ: الظُّفر هاهنا، يجري مجرى الظُّفر للإنسان، وفيه ثلاث لغات أعلاهن: ظُفُر، ويقال: ظُفْر، وأُظفور[4].

وقال الشَّاعر[5][من الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَوتَ أدْرَكَ مَنْ مَضَى ... فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ ذَا جَنَاحٍ وَذَا ظُفُرِ

---

(١) ليست في (ف).

(٢) البيت لِعُقْفان بنِ قَيْسِ بنِ عَاصِمٍ في لسان العرب (٩/ ٢٢٩)، وسمط اللآلي (ص:٧٤٦)، وتاج العروس (٢٤/ ١١٥)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ١٣١٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٢٠).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٩٩).

(٤) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ٣٣٨).

(٥) البيت بلا نسبة في المذكر والمؤنث (١/ ٣٣٨).

وقال الآخر(١)[من الطويل]:

لَقَـدْ كُنْـتُ ذَا نَابٍ وَظُفُرٍ عَـلَى العِدَى ... فَأَصْبَحْـتُ مَا يَخْشَـوْنَ نَـابِي وَلَا ظُفُري

وقال الآخر(٢)[من الطويل]:

مَـا بَـيْنَ لُقْمَتِـهِ الْأُولَى إِذَا انْحَـدَرَتْ ... وَبَـيْنَ أُخْـرَى تَلِيهَـا قِيْـدُ أُظْفُـورِ

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال: [٢٥٦/ب]

أحدها: أنه إنما حرَّم من ذلك شحوم الثُّرُوب(٣) خاصة، قاله قتادة.

والثَّاني: شحوم الثُّرُوب والكُلَى، قاله السُّدِّي، وابن زيد.

والثَّالث: كلُّ شحم لم يكن مختلطًا بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جُرَيْج.

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما علق بالظَّهر من الشُّحوم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: الأَلْيَة، قاله أبو صالح، والسُّدِّي.

والثَّالث: ما علق بالظَّهر والجنب من داخل بطونها، قاله قتادة.

---

(١) البيت للعتبي كما في الدُّرِّ الفريد (٥/ ٢٨٢)، والتَّذكرة الحمدونيَّة (٤/ ٢٧٤)، وفي الحماسة البصريَّة (١/ ٢٤٠) لطريف أبو وهب العبسي.

(٢) البيت لحميد بن الأرقط في العقد الفريد (٧/ ٢٠٨)، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث (١/ ٣٣٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ١١٩٤).

(٣) الثُّرُوب: جمع ثَرْب: وهي الشَّحم الرَّقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء من الذَّبائح والأنعام. وانظر: المصباح المنير؛ للفيومي (١/ ٨١).

فأما ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ فللمفسِّرين فيها أقوال تتقارب معانيها.

قال ابن عبَّاسٍ، والحسن، وابن جُبَيْر، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي، وابن قُتَيْبة: هي المَبَاعِرُ[١].

وقال ابن زيد: هي بنات اللَّبن، وهي المرابض التي تكون فيها الأمعاء[٢].

وقال الفرَّاء: الحوايا: هي المَبَاعِرُ، وبنات اللَّبن[٣].

وقال الأصمعي: هي بنات اللَّبن، واحدها: حاوياء، وحاوية، وحَوِيَّة[٤].

قال الشَّاعر[٥][من الرجز]:

أَقْتُلُهُم وَلَا أَرَى مُعَاوِيَهْ ... الْجَاحِظَ العَيْنِ العَظِيمَ الْحَاوِيَهْ

وقال الآخر[٦][من الطويل]:

كَأَنَّ نَقِيقَ الحَبِّ فِي حَاوِيَائِهِ[٧] ... فَحِيحُ الْأَفَاعِي أَوْ نَقِيقُ الْعَقَارِبِ

---

(١) في (ر): (الباعر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم (٨٩٣٩) في تفسيرهما.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٣).

(٤) انظر: الأضداد؛ لابن الأنباريِّ (١/ ٢٢٢).

(٥) البيت لعلي بن أبي طالب في ديوانه (ص: ٢٠٨)، ولسان العرب (١٤/ ٢٠٩)، وكتاب العين (٣/ ٣١٨)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ٢٣١)، والمخصص (٢/ ٣٢).

(٦) البيت لجرير في ذيل ديوانه (ص: ١٠٢١)، ولسان العرب (١٠/ ٣٦٠)، وديوان الأدب (٣/ ١٤٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ١١٢)، ومجمل اللغة (٤/ ٥٤)، والمخصص (١٦/ ٧٤).

(٧) في الأصل و(ج): (حاوياته) بالتاء، والمثبت من (ر) وغيرها، ومصادر البيت.

وقال أبو عبيدة: الحوايا اسم لجميع ما تحوَّى من البطن، أي: ما استدار منها[(١)].

وقال الزَّجَّاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوَّى من الأمعاء، أي: استدار[(٢)].

وقال ابن جرير الطَّبري: الحوايا: ما تحوَّى من البطن. فاجتمع واستدار، وهي بنات اللَّبن، وهي المَبَاعِرُ، وتسمَّى: المرابض، وفيها الأمعاء[(٣)].

قوله: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه شحم البطن والألْية، لأنها على عظم، قاله السُّدِّي.

والثَّاني: كلُّ شحم في القوائم، والجنب، والرَّأس، والعينين، والأذنين، فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جُرَيْج[(٤)].

واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما حلال، بالاستثناء من التَّحريم.

فأما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان:

أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح، والمعنى: وأُبيح لهم ما حملت الحوايا من الشَّحم، وما اختلط بعظم، وهذا قول الأكثرين.

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للنَّحَّاس (٢/ ٥١١)، وغريب الحديث (٣/ ٣٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠١).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٤٣).

(٤) في (ف): (ابن جرير).

والثَّـاني: أنـه نسق عـلى مـا حـرِّم، لا عـلى الاسـتثناء. فالمعنـى: حرَّمنـا عليهـم شـحومهما، أو الحوايـا، أو مـا اختلـط بعظـم، إلا مـا حملـت الظُّهـور، فإنـه غـير محـرَّم، قالـه الزَّجَّـاج[١].

فأمـا «أو» المذكـورة هاهنـا، فهـي بمعنـى الـواو، كقولـه تعـالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسـان:٢٤].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: ذلك التَّحريم عقوبة لهم على بغيهم.

وفي بغيهم قولان:

أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الرِّبا.

والثَّاني: أنه تحريم ما أحلَّ لهم.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٤٧﴾ [الأنعـام: ١٤٧].

قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾. [٢٥٧/أ]

قـال ابـن عبَّـاسٍ: لَمَّـا قـال رسـول الله ﷺ للمشركـين: «هَـذَا مَـا أُوحِـيَ إِلَيَّ أَنَّـهُ مُحَـرَّمٌ عَـلَى الْمُسْـلِمِينَ وَعَـلَى الْيَهُـودِ»، قالـوا: فإنـك لم تصب، فنزلـت هـذه الآية[٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠١).

(٢) لم نقف عليه.

وفي المكذِّبين قولان:

أحدهما: المشركون، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: اليهود، قاله مجاهد.

والمراد بذكر الرَّحمة الواسعة، أنه لا يعجل بالعقوبة. والبأس: العذاب.

وفي المراد بالمجرمين قولان:

أحدهما: المشركون.

والثَّاني: المكذِّبون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ أي: إذا لزمتْهم الحجَّة، وتيقَّنوا باطل ما هم عليه من الشِّرك وتحريم ما لم يحرِّمه الله ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾، فجعلوا هذا حجَّة لهم في إقامتهم على الباطل، فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه، وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لِمَ تقولون عن مخالفيكم: إنهم ضالُّون، وإنما هم على المشيئة أيضًا؟ فلا حجَّة لهم؛ لأنهم تعلَّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعمُّ جميع الكائنات، وأمره لا يعمُّ مراداته، فعلى العبد اتِّباع الأمر، وليس له أن يتعلَّل بالمشيئة بعد ورود الأمر.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: أي: قالوا لرسلهم مثلما قال هؤلاء لك.

﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾ أي: عذابنا.

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ أي: كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرَّمتم.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ لا اليقين، و«إن» بمعنى «ما».

و﴿تَخۡرُصُونَ﴾: تكذبون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩].

قوله: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾.

قال الزَّجَّاج: حجَّته البالغة: تبيينه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج المعجزة[١].

قال السُّدِّي: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يوم أخذ الميثاق[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠﴾ [الأنعام: ١٥٠].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٥٦١).

قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾.

قال الزَّجَّاج: زعم سيبويه أن هَلُمَّ: هاء ضُمَّت إليها «لُمَّ»، وجعلتا كالكلمة الواحدة، فأكثر اللُّغات أن يقال: «هلمَّ»: للواحد والاثنين والجماعة، بذلك جاء القرآن. ومن العرب من يثنِّي ويجمع ويؤنِّث، فيقول للذَّكر: «هلمَّ»، وللمرأة: «هلمِّي»، وللاثنين «هلمَّا»، وللثنتين: «هلمَّا»، وللجماعة: «هلمُّوا»، وللنِّسوة: «هلمُمْن»[١].

وقال ابن قُتَيْبة: هَلُمَّ، بمعنى: «تعال». وأهل الحجاز لا يثنُّونها ولا يجمعونها، وأهل نجد يجعلونها من «هَلمَمْتُ»؛ فيثنُّون ويجمعون ويؤنِّثون، وتوصل باللام، فيقال: «هلمَّ لك»، «وهلمَّ لكما»[٢].

قال: وقال الخليل: أصلها «لُمَّ»، وزيدت الهاء في أوَّلها[٣].

وخالفه الفرَّاء فقال: أصلها «هل» ضُمَّ إليها «أُمَّ»، والرَّفعة التي في اللام من همزة «أُمَّ» لما تركت انتقلت إلى ما قبلها، وكذلك «اللهُمَّ» يرى أصلها: «يا الله أُمَّنا بخير» فكثرت في الكلام، فاختلطت، وتركت[٢٥٧/ب] الهمزة[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٣).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٩٥).

(٣) هَلُمَّ: كلمةُ دعوةٍ إلى شَيْء. التَّثنيةُ والجمعُ والوحدان والتَّأنيثُ والتَّذكيرُ فيه سواءٌ، إلَّا في لغة بني سعدٍ فإنَّهم يحملونَهُ على تَصريفِ الفِعْل، فيقولون: هلُمَّا وهلُمُّوا ونحو ذلك. انظر: العين (٤/ ٥٦)

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٣).

وقال ابن[١] الأنباريِّ: معنى «هَلُمَّ»: أَقْبِل، وأصله: «أُمَّ يا رجل»، أي: «اقصد»، فضمُّوا «هل» إلى «أُمَّ» وجعلوهما حرفًا واحدًا، وأزالوا «أُمَّ» عن التَّصرف، وحوَّلوا ضمَّة همزة «أُمَّ» إلى اللام، وأسقطوا الهمزة، فاتصلت الميم باللام[٢]. وإذا قال الرَّجل للرَّجل: «هَلُمَّ»، فأراد أن يقول: لا أفعل، قال: لا أَهْلُمُّ، ولا أَهَلُمُّ[٣].

قال مجاهد: هذه الآية جواب قولهم: إن الله حرَّم البحيرة، والسَّائبة[٤].

قال مقاتل: ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الحرث والأنعام، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ أن الله حرَّمه ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: لا تصدِّق قولهم[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ «ما» بمعنى «الذي».

وفي «لا» قولان:

أحدهما: أنها زائدة كقوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢].

---

(١) سقطت من (ر).

(٢) في (ر): (فانقلبت الميم واللام) بدلاً من قوله: (فاتصلت الميم باللام).

(٣) انظر: الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٢٥٣ـ ٢٥٤).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٥٥)، وابن أبي حاتم (٨٠٥٣) في تفسيرهما.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٤).

والثَّاني: أنها ليست زائدة، وإنَّما هي نافية.

فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾، محمولاً على المعنى، فتقديره: أتلُ عليكم أن لا تشركوا، أي: أتلُ تحريم الشِّرك.

والثَّاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا، لأن قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحسانًا، ذكرهما الزَّجَّاج[١].

والثَّالث: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾.

ثم في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها إغراء، كقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، فالتقدير: عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الأنباريِّ.

والثَّاني: أن يكون بمعنى: فُرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا.

وفي هذا الشِّرك قولان:

أحدهما: أنه ادِّعاء شريك مع الله ﷻ.

والثَّاني: أنه طاعة غيره في معصيته.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾ يريد دفن البنات أحياءً ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: من خوف فقر.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٤).

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الفواحش: الزِّنا، وما ظهر منه: الإعلان به، وما بطن: الاستسرار به، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، والسُّدِّي.

والثَّاني: أن ما ظهر: الخمر، ونكاح المحرَّمات، وما بطن: الزِّنا، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد.

والثَّالث: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزِّنا، قاله الضَّحَّاك.

والرَّابع: أنه عامٌّ في الفواحش، وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سِرُّها، قاله قتادة.

والخامس: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب[1]، ذكره الماورديُّ في تفسير هذا الموضع[2]، وفي تفسير قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام:١٢٠][3].

و﴿ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: نفس مسلم أو معاهد.

والمراد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: إذن الشَّرع.

---

(١) في (ر): (القلب).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٨٦).

(٣) النظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦١).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعـام: ١٥٢].

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

إنما خصَّ مال اليتيم[١]؛ لأن الطَّمع فيه لقلَّة مراعيه وضعف مالكه أقوى.

وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله [٢٥٨/أ] ابن عبَّاسٍ، وابن زيد.

والثَّاني: أنه[٢] التِّجارة فيه، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، والضَّحَّاك، والسُّدِّي.

والثَّالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السَّائب.

و الرَّابع: أنه حفظه عليه، وتثميره له، قاله الزَّجَّاج[٣].

قال: و﴿حَتَّى﴾ محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشدَّه، فإذا بلغ أشدَّه، فادفعوه إليه.

فأما «الأشُدُّ» فهو استحكام قوة الشَّباب والسِّنِّ.

---

(١) قوله: (إنما خصَّ مال اليتيم)؛ ليس في (ر).

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٥).

قال ابن قُتَيْبة: ومعنى الآية: حتى يتناهى في النَّبات إلى حدِّ الرِّجال. يقال: بلغ أشدَّه: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النُّقصان(١).

وقال أبو عبيدة: «الأَشُدُّ» لا واحد له منه؛ فإن أُكرهوا على ذلك، قالوا: شَدَّ، بمنزلة(٢): ضَبَّ، والجمع: أَضبُّ(٣).

قال ابن الأنباريِّ: وقال جماعة من البصريين: واحد الأَشُدِّ: شُدٌّ، بضم الشين(٤).

وقال بعض البصريين: واحد الأَشُدِّ: شِدَّةٌ، كقولهم: نِعمة، وأَنْعُم.

وقال بعض أهل اللُّغة: الأَشُدُّ: اسم لا واحد له.

وللمفسِّرين في «الأَشُدِّ» ثمانية أقوال:

أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أربعون سنة، روي عن عائشة عليها السلام.

و الرَّابع: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومقاتل.

والخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة.

---

(١) في غريب القرآن (١/ ٢٥٤): «يتناهَى في الثَّبات إلى حدِّ الرِّجال».

(٢) في (ر): (معنى).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٧٨).

(٤) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ٥٩٦).

والسَّادس: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان الثَّوري.

والسَّابع: ثلاثون سنة، قاله السُّدِّي. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء:٦] فكأنه يشير إلى النَّسخ.

والثَّامن: بلوغ الحلم، قاله زيد بن أسلم، والشَّعبي، ويحيى بن يعمر، وربيعة، ومالك بن أنس.

وهو الصَّحيح، ولا أظنُّ بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله فسَّروا هذه الآية بما ذُكر عنهم، وإنما أظنُّ الذين جمعوا التَّفاسير، نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ [يوسف:٢٢] إلى هذا المكان، وذلك نهاية الأشُدِّ، وهذا ابتداء تمامه، وليس هذا مثل[١] ذاك.

قال ابن جرير: وفي الكلام محذوف، تُرك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حُذف، لأن المعنى: حتى يبلغ أشدَّه؛ فإذا بلغ أشدَّه[٢]، فآنستم منه رشدًا، فادفعوا إليه ماله[٣].

قال الشَّيخ[٤]: إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية، فليس بصحيح، وإنما استفدنا إيناس الرُّشد والابتلاء من آية أخرى[٥].

---

(١) في (ر): (ابتداء).

(٢) قوله: (فإذا بلغ أشده)، ليس في (ر).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٦٤).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ر)، وفي (ف): (قال المصنِّف).

(٥) وفي (ر)، وحاشية الأصل، جاءت هذه العبارة بطريقة أخرى، هكذا: (وهذا الذي ذكره ابن جرير ليس بصحيح؛ لأنه ليس في الآية إيناس الرُّشد، وإنما استفيد من سورة=

[٢٥٨/ب] قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي: أتمُّوه ولا تنقصوا منه.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: وَزْنَ الميزان.

و«القسط»: العدل.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما يسعها، ولا يضيق عنه.

قال القاضي أبو يعلى: لمَّا كان الكيل والوزن يتعذَّر فيهما التَّحديد بأقل القليل، كُلِّفنا الاجتهاد في التَّحري، دون تحقيق الكيل والوزن.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾.

أي: إذا تكلَّمتم أو شهدتم، فقولوا الحقَّ، ولو كان المشهود له أو[١] عليه ذا قرابة.

و«عَهْد الله» يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتذَّكَّروه[٢] وتأخذوا به.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تذَّكَّرون» و«يذَّكَّرون»[٣] و«يذَّكَّر الإنسان» و«أن يذَّكَّر» و«ليذَّكَّروا» مشددًا ذلك كله.

=«النِّساء» إيناس الرُّشد، وابتلاء اليتامى، فوجب حمل هذا المطلق على ذلك التقييد).

(١) قوله: (له أو)، ليس في (ر).

(٢) في (ر): (ليتذكَّروه).

(٣) في (ر): (ويتذكَّرون).

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر كلَّ ذلك بالتَّشديد، إلا قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [مريم:٦٧] فإنهم خفَّفوه.

روى أبان، وحفص عن عاصم: «تذْكرون» خفيفة الذال في جميع القرآن.

قرأ حمزة، والكِسَائِي: «يذَّكَّرون» مشددًا إذا كان بالياء، ومخففًا إذا كان بالتاء[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الألف مع تشديد النون[2].

قال الفرَّاء: إن شئت جعلت «أن» مفتوحة بوقوع «أتل» عليها، وإن شئت جعلتها خفضًا، على معنى: ذلكم وصَّاكم به، وبأن هذا صراطي مستقيمًا[3].

وقرأ ابن عامر بفتح الألف أيضًا، إلا أنه خفَّف النون، فجعلها مخفَّفة من الثقيلة، وحكم إعرابها حكم تلك.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: بتشديد النون مع كسر الألف.

قال الفرَّاء: وكسر الألف على الاستئناف[4].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٢)، والحجَّة (٣/ ٤٢٥)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٣)، والحجَّة (٣/ ٤٣٥)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٤).

(٤) انظر: المصدر السابق.

وفي «الصِّراط» قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

والثَّاني: الإسلام.

وقد بيَّنا إعراب قوله: ﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾ آنفًا.

فأما ﴿ٱلسُّبُلَ﴾.

فقال ابن عبَّاسٍ: هي الضَّلالات[1].

وقال مُجاهِد: البدع والشُّبهات[2].

وقال مقاتل: أراد ما حرَّموا على أنفسهم من الأنعام والحرث[3].

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: فتضلِّكم عن دينه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: ١٥٤].

قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٠٣) في تفسيرهما، من طريق عطية العَوْفي، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٠٤) في تفسيرهما، من طريق شبل، عن ابن أبي نجيح، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٧).

قال الزَّجَّاج: «ثُمَّ» هاهنا للعطف على معنى التِّلاوة، فالمعنى: أتل ما حرَّم ربُّكم، ثم أتل عليكم ما آتاه الله موسى[(١)(٢)].

وقال ابن الأنباريِّ: الذي بعد «ثُمَّ» مقدَّم على الذي قبلها في النيَّة، والتَّقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾.

في قوله: ﴿تَمَامًا﴾ قولان:

أحدهما: أنها كلمة متَّصلة بما بعدها، تقول: أعطيتك كذا تمامًا على كذا، وتمامًا لكذا، وهذا قول الجمهور. [٢٥٩/أ]

والثَّاني: أن قوله: ﴿تَمَامًا﴾ كلمة قائمة بنفسها، غير متَّصلة بما بعدها، والتَّقدير: آتينا موسى الكتاب تمامًا، أي: في دفعة واحدة، لم نفرِّق إنزاله كما فُرِّق إنزال القرآن، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي.

وفي المشار إليه بقوله: ﴿أَحۡسَنَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه الله ﷻ.

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: تمامًا على إحسان الله تعالى إلى أنبيائه، قاله ابن زيد.

والثَّاني: تمامًا على إحسان الله ﷻ إلى موسى.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

وعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى «ما».

والقول الثَّاني: أنه إبراهيم الخليل؛ فالمعنى: تمامًا للنِّعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله تعالى؛ فكانت نُبُوَّة موسى نعمة على إبراهيم، لأنه من ولده، ذكره الماورديُّ[(١)].

والقول الثَّالث: أنه كلُّ محسن من الأنبياء، وغيرهم.

وقال مُجَاهِد: تمامًا على المحسنين، أي: تمامًا لكلِّ محسن[(٢)].

وعلى هذا القول، يكون «الذي» بمعنى «مَن»، و«على» بمعنى لام الجر، ومن هذا قول العرب: أتمَّ عليه، وأتمَّ له.

قال الرَّاعي[(٣)][من الوافر]:

رَعَتْهُ أَشْهُراً وَخَلاَ عَلَيْهَا ....

أي: لها.

قال ابن قُتَيْبة: ومثل هذا أن تقول: أُوصي بمالي للذي غزا وحجَّ، تريد: للغازين والحاجِّين[(٤)].

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٧٤) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) البيت للرَّاعي النُّميري، أبو جندل، عبيد بن حصين، من بني نمير، كان سيِّدًا في قومه، وسمِّي بالراعي؛ لأنه أكثر من وصف راعي الإبل في شعره.
وتمام البيت: (فطارَ النِّيُّ فِيهَا واسْتَغارا). انظر: المخصص (٤/ ٢٣٩)، والزَّاهر (١/ ٢١٣)، ولسان العرب (٥/ ٣٨).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٢٧).

والقول الرَّابع: أنه موسى.

ثم في معنى: ﴿أَحْسَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أَحْسَنَ في الدُّنيا بطاعة الله ﷻ.

قال الحسن، وقتادة[١]: تمامًا لكرامته في الجنَّة إلى إحسانه في الدُّنيا.

وقال الرَّبيع: هو إحسان موسى بطاعته[٢].

وقال ابن جرير: تمامًا لنعمنا[٣] عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهينا[٤].

والثَّاني: أحسن من العلم وكُتُب اللهِ القديمةِ، فكأنه زيد على ما أحسنه من التَّوراة، ويكون «التَّمام» بمعنى الزِّيادة، ذكره ابن الأنباريِّ.

فعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى: «ما».

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي، وأبو رزين، والحسن، وابن يَعْمَرَ: «على الذي أحسنُ»، بالرَّفع[٥].

قال الزَّجَّاج: معناه: على الذي هو أحسن الأشياء[٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم (٨١١٢) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٧٦) بلفظ: «فِيمَا أَعْطَاهُ اللهُ».

(٣) في (ر): (لنعمتنا).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٧).

(٥) في المحتسب (١/ ٢٣٤)، والتَّحصيل (١/ ٧٠٢)، والكامل (١/ ٥٤٩) قراءة ابن يَعْمَرَ، و الحسن، وأحمد، والكِسَائِي عن أبي جعفر، وشِبْل.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

وقرأ عبد الله بن عمرو، وأبو المتوكِّل، وأبو العالية: «على الذي أُحْسِنَ» برفع الهمزة وكسر[١] السين وفتح النون[٢]. وهي تحتمل الإحسان[٣]، وتحتمل العلم[٤].

قوله: ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: تبيانًا لكلِّ شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ يعني القرآن ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ﴾ أن تخالفوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: لتكونوا راجين للرَّحمة[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾.

---

(١) في (ر): (وبكسر).

(٢) لم نقف على هذه القراءة.

(٣) في (ر): (الإنسان)!.

(٤) قوله: (وتحتمل العلم)، ليس في (ر).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾.

سبب نزولها:

أن كفار مكَّة قالوا: قاتل الله اليهود والنَّصارى، كيف كذَّبوا أنبياءهم فوالله لو جاءنا نذير وكتاب، لكنَّا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية، قاله [٢٥٩/ب] مقاتل[١].

قال الفرَّاء: «أن» في موضع نصب في مكانين: أحدهما: أنزلناه لئلَّا تقولوا. والآخر: من قوله: واتقوا أن تقولوا[٢].

وذكر الزَّجَّاج عن البصريِّين، أن معناه: أنزلناه، كراهة أن تقولوا، ولا يجيزون إضمار «لا»[٣].

فأما الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكَّة، والمراد إثبات الحجَّة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا[٤] يوم القيامة: إن التَّوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنَّصارى، وكنا غافلين عمَّا فيهما.

و﴿دِرَاسَتِهِمۡ﴾: قراءتهم الكتاب.

قال الكِسَائِي: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتبهم لم تكن بلُغَتِنَا، فأنزل الله تعالى كتابًا بلغتهم لتنقطع حجَّتهم[٥].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٧).

(٤) في (ر): (لا تقولوا).

(٥) انظر: المصدر السابق.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)﴾ [الأنعام: ١٥٧].

قوله: ﴿لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: إنما كانوا يقولون هذا، لأنهم مُدِلُّون بالأذهان والأفهام، وذلك أنهم كانوا[1] يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أُمِّيُّون لا يكتبون[2].

﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي: ما فيه البيان وقطع الشُّبهات.

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي: حجَّة، وهو النَّبيُّ، والقرآن، والهدى، والبيان، والرَّحمة، والنِّعمة[3].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: أكفر.

﴿مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني محمدًا والقرآن.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض فلم يؤمن بها.

و﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قبيحه.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) هكذا جاء الكلام في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٧): لأنهم كانوا مُدِلِّين بالأذهان وحُسْنِ الأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم وآثارهم.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٤٠).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعـام: ١٥٨].

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «يأتيهم» بالياء[١].

وهذا الإتيان لقبض أرواحهم.

وقال مقاتل: المراد بالملائكة: ملك الموت وحده[٢].

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾.

قال الحسن: أو يأتي أمْرُ ربِّك[٣].

وقـال الزَّجَّـاج: أو يـأتيَ إهلاكـه وانتقامـه، إمَّـا بعـذاب عاجـل، أو بالقيامـة[٤].

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٣ـ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٨).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٤) بلفظ: وجاء أمر ربك، وقضاء ربك، لأن في يوم القيامة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٧).

روى عبد الوارث إلا القزّاز تسكين ياء «أو يأتي»، وفتحها الباقون(١).

وفي هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنه طلوع الشَّمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدريُّ عن النَّبيِّ ﷺ(٢)، وبه قال ابن مسعود في رواية زرارة بن أوفى عنه، وعبد الله بن عمرو، ومُجاهِد، وقتادة، والسُّدِّي.

وقد روى البخاريُّ، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ، آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»**(٣).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: **«لا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنَ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ، طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ»**(٤). [٢٦٠/أ]

والثَّاني: أنه طلوع الشَّمس والقمر من مغربهما، رواه مسروق عن ابن مسعود.

---

(١) في الكامل (١/ ٥٥٠) عن عبد الوارث.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣١)، وعبد بن حميد (٩٠٢)، والتِّرمذي (٣٠١٧) وغيرهم من طُرق عن وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن عطية العَوْفي، به، بنحوه
قال التِّرمذي: هذا حديث حسن غريب، رواه بعضهم، ولم يرفعه.

(٣) البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٩٢)، والطَّبراني في الأوسط (٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٢٠) وصحَّحه العلَّامة أحمد شاكر.

والثَّالث: أنه إحدى الآيات الثَّلاث، طلوع الشَّمس من مغربها، والدَّابَّة، وفتح يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود.

والرَّابع: أنه طلوع الشَّمس من مغربها، والدَّجَّال، ودابَّة الأرض، قاله أبو هريرة. والأول أصح.

والمراد بالخير هاهنا: العمل الصالح، وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان.

وقال الضَّحَّاك: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قُبِل منه، كما يُقبل منه قبل الآية[1].

وقيل: إن الحكمة في طلوع الشَّمس من مغربها، أن الملحدة والمنجِّمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله تعالى قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، وليتحقَّق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٢٩).

فصلٌ

وفي قوله: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن المراد به التَّهديد، فهو محكم.

والثَّاني: أنه أمر بالكفِّ عن القتال، فهو منسوخ بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿فَرَّقُواْ﴾ مشدَّدة.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «فارقوا» بألف.

وكذلك قرءوا في «الرُّوم»[1].

فمن قرأ: «فرَّقوا»، أراد: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. ومن قرأ: «فارقوا»، أراد: باينوا.

وفي المشار إليهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل الضَّلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة.

والثَّاني: أنهم اليهود والنَّصارى، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك، وقتادة، والسُّدِّي.

والثَّالث: اليهود، قاله مُجَاهِد.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٣٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

والرَّابع: جميع المشركين، قاله الحسن.

فعلى هذا القول، دينهم: الكفر الذي يعتقدونه دينًا، وعلى ما قبله، دينهم: الذي أمرهم الله به.

و«الشِّيَع»: الفرق والأحزاب.

قال الزَّجَّاج: ومعنى «شيَّعتُ» في اللُّغة: اتَّبعت. والعرب تقول: شاعكم السَّلام، وأشاعكم، أي: تبعكم.

قال الشَّاعر[1] [من الوافر]:

أَلا يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... بَرُوْدِ الظِّلِّ شَاعَكُم السَّلَامُ

وتقول: أتيتك غدًا، أو شِيَعة، أي: أو اليوم الذي يتبعه.

فمعنى الشِّيَعة: الذين يتبع بعضهم بعضًا، وليس كلهم متَّفقين.

وفي قوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قولان:

أحدهما: لست من قتالهم في شيء، ثم نُسخ بآية السَّيف، وهذا مذهب السُّدِّي.

والثَّاني[2]: لست منهم، أي: أنت بريء منهم، وهم منك برآء، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم، فتكون الآية محكمة.

---

(١) البيت للأحوص في ديوانه (ص: ١٩٠)، وخزانة الأدب (٢/ ١٩٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٩)، ولسان العرب (٨/ ١٩١)، وتاج العروس (٢١/ ٣٠٤).

(٢) في (ف): (والثالث).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

وقرأ يعقوب، والقزَّاز عن عبد الوارث: «عَشْرٌ» بالتنوين، «أمثالُها» بالرفع(١). [٢٦٠/ب]

قال ابن عبَّاسٍ: يريد من عَمِلَها، كتبت له عشر حسنات(٢).

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ﴾ إِلَّا جزاء مِثْلِها.

وفي الحسنة والسَّيئة هاهنا قولان:

أحدهما: أن «الحسنة»: قول لا إله إلا الله. و«السَّيئة»: الشِّرك، قاله ابن مسعود، و مُجاهِد، والنَّخعي.

والثَّاني: أنه عامٌّ في كل حسنة وسيِّئة.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٧) عن الحسن، وفي الكامل (١/ ٥٥٠) قراءة عبد الوارث، ومحبوب، وهارون، ويونس عن أبي عَمْرٍو، ويَعْقُوب، وسهل، والْجَحْدَرِي، والحسن، و مُجَاهِد، والأَعْمَش، والزَّعْفَرَانِي، وابْن مِقْسَم، وأبو حنيفة، وفي التَّحصيل (١/ ٧٠٣) الحسن ويعقوب الحضرمي.

(٢) يشير لحديث ابن عباس الذي رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) عن النَّبيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذرٍّ عن النَّبيِّ ﷺ قال: يقول الله ﷻ: «**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ**»[1].

فإن قيل: إذا كانت الحسنة كلمة التَّوحيد، فأي مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها؟

فالجواب: أن جزاء الحسنة معلوم القدر عند الله، فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله، وكذلك السَّيئة.

وقد أشرنا إلى هذا في «المائدة» عند قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية:٣٢].

فإن قيل: المثل مذكَّر، فلم قال: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والهاء إنما تسقط في عدد المؤنَّث؟

فالجواب: أن الأمثال خلقت حسنات مؤنثة، وتلخيص المعنى: فله عشر حسنات أمثالها، فسقطت الهاء من عشر، لأنها عدد مؤنَّث، كما تسقط عند قولك: عشر نعال، وعشر جباب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

---

(١) مسلم (٢٦٨٧).

قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[١].

قال الزَّجَّاج: أي: دلَّني على الدِّين الذي هو دين الحقِّ. ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿دِينٗا قِيَمٗا﴾[٢].

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قَيِّمًا» مفتوحة القاف، مشدَّدة الياء.

والقيِّم: المستقيم.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: «قِيَمًا» بكسر القاف وتخفيف الياء[٣].

قال الزَّجَّاج: وهو مصدر، كالصِّغَر والكِبَر[٤].

وقال مَكِّي: من خفَّفه بناه على «فِعَل»، وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: «قِوَمًا» كما قالوا: عِوَض، وحِوَل، ولكنه شذَّ عن القياس[٥].

قال الزَّجَّاج: ونصب قوله: ﴿دِينٗا قِيَمٗا﴾ محمول على المعنى، لأنه لما قال: «هداني» دلَّ على عرَّفني دينًا، ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ فالمعنى: هداني صراطًا مستقيمًا دينًا قيمًا.

---

(١) قوله: (إلى صراط مستقيم)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٠).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٣٩)، والتَّيسير (١/ ٢٢٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٠).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٩).

و﴿حَنِيفًا﴾ منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: هداني ملَّة إبراهيم في حال حنيفيَّته.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ يريد: الصَّلاة المشروعة.

و«النُّسك»: جمع نسيكة.

وفي النُّسك هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنها الذَّبائح، قاله ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد، وابن قُتَيْبة(١).

والثَّاني: الدِّين، قاله الحسن.

والثَّالث: العبادة.

قال الزَّجَّاج: «النُّسك» كلُّ ما تُقُرِّب به إلى الله ﷻ، إلا أن الغالب عليه أمر الذَّبح(٢).

والرَّابع: أنه الدِّين، والحجُّ، والذَّبائح، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. [٢٦١/أ]

قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾.

الجمهور على تحريك ياء «محياي»، وتسكين ياء «مماتي».

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١١).

وقرأ نافع: بتسكين ياء «محياي»، ونصب ياء «مماتي»(١).

ثم للمفسِّرين في معناه قولان:

أحدهما: أن معناه: لا يملك حياتي ومماتي إلا الله.

والثَّاني: حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه.

ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما تشركون أنتم به.

قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قال الحسن(٢)، وقتادة(٣): أوَّل المسلمين من هذه الأمَّة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤].

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾.

سبب نزولها:

أن كفار قريش قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك الكُفلاء بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل(٤).

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٤٠)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) لم نقف عليه مسندًا.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٨١٨٤) في تفسيرهما، من طريق معمر، به، بنحوه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٦٠٠).

قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا يُؤْخذُ سواها بعملها.

وقيل: المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

قال الزَّجَّاج: لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أخرى[1].

والمعنى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره.

قال أبو سليمان: ولما ادَّعت كلُّ فرقة من اليهود والنَّصارى والمشركين أنهم أولى بالله من غيرهم؛ عرَّفهم أنه الحاكم بينهم يوم القيامة بقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، ونظيره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج:١٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾.

قال أبو عبيدة: الخلائف: جمع خليفة[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٩).

قال الشَّمَّاخ[1][من الوافر]:

تُصيبُهُـمُ وتُخْطِئُنـي المَنَايـا وَأَخْلُـفُ في رُبُـوعٍ عَـنْ رُبُـوعِ

وللمفسِّرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خلفوا الجنَّ الذين كانوا سكَّان الأرض، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أن بعضهم يخلُف بعضًا، قاله ابن قُتَيْبة[2].

والثَّالث: أن أمة محمد ﷺ خلفت سائر الأمم، ذكره الزَّجَّاج[3].

قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: في الرِّزق، والعلم، والشَّرف، والقوة، وغير ذلك.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيظهر منكم ما يكون عليه الثَّواب والعقاب.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه سمَّاه سريعًا، لأنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ.

والثَّاني: أنه إذا شاء العقوبة، أسرع عقابه.

آخر تفسير سورة الأنعام[4].

---

(١) البيت للشَّمَّاخ بن ضرار في ديوانه (ص: ٢٢٤)، ولسان العرب (٨/ ١٠٢ـ٩/ ٨٩)، وتهذيب اللُّغة (٢/ ٣٦٩)، وتاج العروس (٢١/ ٢٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٢).

(٤) قوله: (آخر تفسير سورة الأنعام)، ليس في (ف).

فهرس الآيات

رقم الآية		الصفحة
سورة المائدة		
١	....	٥
٢	....	٩
٣	....	٢١
٤	....	٣٣
٥	....	٣٩
٦	....	٤٥
٧، ٨	....	٥٣
٩، ١١	....	٥٥
١٢	....	٥٧
١٣	....	٦١
١٤	....	٦٥
١٥، ١٦	....	٦٧
١٧، ١٨	....	٦٩
١٩	....	٧١
٢٠	....	٧٣
٢١	....	٧٧
٢٢	....	٧٩
٢٣	....	٨١

٢٤	٨٣
٢٥، ٢٦	٨٥
٢٧	٨٩
٢٨، ٢٩	٩٣
٣٠	٩٥
٣١، ٣٢	٩٩
٣٣	١٠٥
٣٤	١٠٩
٣٥، ٣٨	١١١
٣٩، ٤١	١١٧
٤٢	١٢٣
٤٣، ٤٤	١٢٧
٤٥	١٣٥
٤٦، ٤٨	١٣٩
٤٩	١٤٥
٥٠	١٤٧
٥١	١٤٩
٥٢	١٥١
٥٣	١٥٥
٥٤	١٥٧
٥٥، ٥٦	١٥٩
٥٧، ٥٨	١٦٣

٥٩، ٦٠ .... ١٦٥
٦١، ٦٢ .... ١٧٣
٦٣، ٦٤ .... ١٧٥
٦٥، ٦٧ .... ١٨١
٦٨ .... ١٨٥
٦٩، ٧٠ .... ١٨٧
٧١ .... ١٨٩
٧٢ .... ١٩١
٧٣ .... ١٩٣
٧٤ .... ١٩٥
٧٥، ٧٦ .... ١٩٧
٧٧، ٧٨ .... ١٩٩
٧٩، ٨١ .... ٢٠١
٨٢، ٨٣ .... ٢٠٣
٨٤، ٨٨ .... ٢٠٧
٨٩ .... ٢١١
٩٠ .... ٢١٧
٩١، ٩٢ .... ٢٢١
٩٣ .... ٢٢٣
٩٤ .... ٢٢٧
٩٥ .... ٢٢٩
٩٦ .... ٢٣٧

٩٧، ٩٨ .... ٢٣٩

٩٩، ١٠٠ .... ٢٤٣

١٠١ .... ٢٤٥

١٠٢، ١٠٣ .... ٢٤٩

١٠٤، ١٠٥ .... ٢٥٥

١٠٦ .... ٢٥٩

١٠٧ .... ٢٦٧

١٠٨، ١٠٩ .... ٢٧٣

١١٠ .... ٢٧٥

١١١، ١١٢ .... ٢٧٧

١١٣ .... ٢٧٩

١١٤ .... ٢٨١

١١٥ .... ٢٨٣

١١٦ .... ٢٨٩

١١٧ .... ٢٩١

١١٨، ١٢٠ .... ٢٩٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الأنعام	

١ .... ٢٩٧

٢ .... ٢٩٩

٣، ٦ .... ٣٠١

٧	....	٣٠٥
٨، ١١	....	٣٠٧
١٢، ١٣	....	٣٠٩
١٤، ١٥	....	٣١١
١٦	....	٣١٣
١٧، ١٩	....	٣١٥
٢٠	....	٣١٧
٢١، ٢٢	....	٣١٩
٢٣	....	٣٢١
٢٤	....	٣٢٣
٢٥، ٢٦	....	٣٢٥
٢٧	....	٣٢٩
٢٨، ٣٠	....	٣٣٣
٣١	....	٣٣٥
٣٢	....	٣٣٧
٣٣	....	٣٣٩
٣٤	....	٣٤٣
٣٥	....	٣٤٥
٣٦	....	٣٤٧
٣٧، ٣٨	....	٣٤٩
٣٩، ٤١	....	٣٥٣
٤٢، ٤٤	....	٣٥٥
٤٥، ٤٦	....	٣٥٩
٤٧، ٥٠	....	٣٦١
٥١، ٥٢	....	٣٦٣

٥٣، ٥٤	٣٦٩
٥٥، ٥٦	٣٧٣
٥٧	٣٧٥
٥٨، ٥٩	٣٧٧
٦٠، ٦١	٣٨١
٦٢، ٦٤	٣٨٣
٦٥	٣٨٧
٦٦	٣٨٩
٦٧، ٦٨	٣٩١
٦٩	٣٩٣
٧٠	٣٩٥
٧١، ٧٢	٣٩٩
٧٣	٤٠١
٧٤	٤٠٥
٧٥، ٧٦	٤٠٧
٧٧، ٨٠	٤١٣
٨١، ٨٢	٤١٥
٨٣، ٨٧	٤١٧
٨٨، ٨٩	٤٢١
٩٠، ٩١	٤٢٣
٩٢	٤٢٧
٩٣	٤٢٩
٩٤	٤٣٣
٩٥، ٩٦	٤٣٧
٩٧، ٩٨	٤٤١

٩٩	....	٤٤٣
١٠٠	....	٤٤٩
١٠١، ١٠٢	....	٤٥١
١٠٣	....	٤٥٣
١٠٤، ١٠٥	....	٤٥٥
١٠٦، ١٠٨	....	٤٥٩
١٠٩	....	٤٦١
١١٠	....	٤٦٥
١١١	....	٤٦٧
١١٢	....	٤٦٩
١١٣	....	٤٧١
١١٤، ١١٥	....	٤٧٣
١١٦، ١١٧	....	٤٧٥
١١٨، ١١٩	....	٤٧٧
١٢٠	....	٤٧٩
١٢١	....	٤٨١
١٢٢	....	٤٨٣
١٢٣	....	٤٨٥
١٢٤	....	٤٨٧
١٢٥	....	٤٨٩
١٢٦، ١٢٧	....	٤٩٣
١٢٨	....	٤٩٥
١٢٩، ١٣٠	....	٤٩٧
١٣١، ١٣٤	....	٥٠١
١٣٥، ١٣٦	....	٥٠٣

١٣٧	٥٠٧
١٣٨	٥٠٩
١٣٩	٥١١
١٤٠، ١٤١	٥١٥
١٤٢	٥١٩
١٤٣، ١٤٤	٥٢١
١٤٥	٥٢٣
١٤٦	٥٢٥
١٤٧، ١٤٨	٥٣١
١٤٩، ١٥٠	٥٣٣
١٥١	٥٣٥
١٥٢	٥٣٧
١٥٣	٥٤١
١٥٤	٥٤٣
١٥٥، ١٥٦	٥٤٧
١٥٧، ١٥٨	٥٤٩
١٥٩	٥٥٣
١٦٠، ١٦١	٥٥٥
١٦٢، ١٦٣	٥٥٧
١٦٤، ١٦٥	٥٥٩